افتتاحية العدد

يصدر هذا العدد من (تراثيات) والمنطقة العربية تموج بغير قليل من مظاهر الفرقة والتشرذم. ولاسبيل للخروج من هذا الشتات إلا بأن تستحضر الأمة ماضيها، وأن تحيي تراثها؛ ففي إحيائه إحياء لوحدتها، وجمع لكلمتها، وتوحيد لصفوفها. وذلك أن الاهتمام بتراث الأمة وإحياءه ونشر نفائسه ليس ترفًا علميًا، ولا ردَّةً حضارية كما يدعي البعض، وإنما هو واجب وطني ينبغي أن يسعى إليه ويحرص عليه كلٌّ من يريد لشمل هذه الأمة أن يجتمع، ولكلمتها أن تتوحد.

فقد سبق لهذا التراث أن أسهم في توحيد صفوف الأمة، وفي تشكيل عقلها ووجدانها، وفي وضعها في مقدمة الصفوف في عصور سابقة. وفي بوتقة هذا التراث انصهرت علوم مختلفة، وفي صنعه أسهمت شعوب كثيرة، وفي سمائه لمعت أسماء من المشرق والمغرب، كالبخاري، والخوارزمي، والبيروني والطبري والمقدسي، وابن خلدون وسيبويه، والحسن بن الهيثم، وجابر بن حيان، ونصير الدين الطوسي، وغيرهم ممن لايتسع المقام لذكرهم. جَمَعهم لسان واحد ودين واحد وثقافة واحدة امتزج فيها العربي والعجمي، والفارسي، والأوزبكي.

ومما يؤسف له أن تراثنا يتعرض في هذه الأيام لحملات ظالمة في وسائل الإعلام المرئية والمقروءة، تتهجم عليه وعلى أعلامه، وتتهمه بأنه السبب فيما نعانيه من تخلف، وتطالب بأن نتحرر منه وأن نلقى به خلف ظهورنا وننطلق لنلحق بركب الحضارة، وكأن هذا التراث نقيض للعلم والحضارة، وكأنه هو الذي كبَّل خطانا وشلَّ حركتنا وعطّل مسيرتنا؛ ناسيةً أو متناسية أن هذا التراث أفادت منه البشرية كلها في شتى فروع المعرفة، وأن انفتاح أوروبا عليه وترجمتها له هو الذي انتشلها من جهالات العصور الوسطى إلى مشارف عصر النهضة.

وإذا كنا نستنكر التهجم على التراث والتهوين من شأنه وتجريح رموزه، فإننا في الوقت نفسه نستنكر تقديس هذا التراث، ونطالب بموقف وسط بين التهويل والتهوين، موقف يستخرج من هذا التراث نفائسه وينشرها على الناس، ويَستلهم منه كل ما من شأنه أن يقرِّب ولا يباعد؛ وأن يجمِّع ولا يُفرق، موقفٍ يوظف هذا التراث فيما ينفع الناس من رأب للصدع وجمع للشمل وتوحيد للكلمة، وفيما يحققه للفرد من غذاء للعقل وطمأنينة للقلب وسلام مع النفس ومع الناس.

رئيس التحرير

المكتبات الوقفية ودورها في حفظ التراث
مكتبات المدينة المنورة نموذجا

د. محمد سيد عمر الشنقيطي(*)

المقدمة

الحضارة الإسلامية حضارة علم وتعليم وعلماء، فمنذ اللحظة الأولى كانت أول الآيات المعبرة عن ذلك هي قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[(١)] منذ تلك اللحظة الخالدة في غار حراء بمكة المكرمة، ظهرت واحدة من أعظم الحضارات الإنسانية، تحمل للبشر كل معاني الخير والتسامح والعدل والمساواة، وكانت العناية بالعلم وأهله أبرز سماتها، وقد تسابق أبناء الأمة الإسلامية في مجال العلم يبنون صروحه على مدى قرون متتابعة دون كلل ولا ملل، يحدوهم في ذلك الأجر العظيم الذي وعد الله ورسوله ﷺ به العلماء والمتعلمين.

وقد شرَّع النبي ﷺ تحبيس الأموال (وقفها) على أمور الخير والبر كافة، والتي كان من أبرزها الوقف على العلم والعلماء وطلبته. ومما يستدل به على ذلك ما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علَّمهُ ونشره، وولدًا صالحا تركه، ومصحفًا وَرَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقه أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته"[(٢)]. وأيضًا ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[(٣)].

وبناء عليه اقترن العلم مع الوقف في عمل مشترك ومستمر، فالعلماء متفرغون للعلم والتعليم والمجتمع بمختلف فئاته من أمراء ووزراء وأثرياء، وحتى البسطاء من عامة الناس يبذلون أموالهم سخيَّة بها نفوسهم يدعمون مسيرة التعليم بمختلف أنواعه. ونتيجة لذلك انتشرت المكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية في مختلف الأقطار

(*) مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

(١) سورة العلق: الآيات ١ – ٥.

(٢) الألباني، محمد ناصر: صحيح سنن ابن ماجه، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ص ٤٦.

(٣) النووي، يحيى بن شرف: صحيح مسلم بسرح النووي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ٨٥/١١.

شرقًا وغربًا. وتنوعت، فلم تعد حكرًا على أماكن العبادة كالمساجد، أو أماكن التعليم كالمدارس والكتاتيب فقط، بل شملت الأربطة والزوايا والمراصد والخانقاهات والبيمارستانات (المستشفيات)، حتى التُّرَب (المقابر) أقيمت فيها المكتبات الوقفية. وقد حفظت هذه المكتبات للأمة العربية والإسلامية الكثير من تراثها، بالرغم من كل ما تعرضت له من تعديات بشرية وكوارث طبيعية.

١/٠ - مشكلة الدراسة:

من خلال ما ذُكر سابقًا نلاحظ أن للمكتبات الوقفية دورًا بارزًا ومميزًا في الحضارة الإسلامية، وذلك بمحافظتها على تراث الأمة وعلومها ممثلا في المخطوطات التى كتبها أولئك العلماء على مر السنين، والتساؤل هنا، ما هي المكتبات الوقفية؟، وما هي مميزاتها؟، وهل هناك من سلبيات للمكتبات الوقفية؟، وهل يوجد نموذج يدلل على الدور الذي قامت به المكتبات الوقفية في الحفاظ على المخطوطات.

٠/ ٢ - تساؤلات الدراسة

من سؤال البحث السابق يمكن استنتاج التساؤلات التالية :

- ما هو تعريف المكتبات الوقفية؟
- ما هي مميزات إنشاء المكتبات الوقفية في التاريخ الإسلامي؟.
- هل توجد سلبيات للمكتبات الوقفية؟
- هل وجدت بالمدينة المنورة مكتبات وقفية؟، وما هي حصيلتها من المخطوطات؟.

٠/ ٣ - أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من كونها تسعى للكشف عن جانب مهم من جوانب تاريخ المكتبات الإسلامية المضيء. وذلك بالتعريف بالدور الرائد للمكتبات الوقفية في حفاظها على المخطوطات فى أرجاء العالم الإسلامي وعلى مدى قرون طويلة، وقد خدمت الحضارة الإنسانية بما حفظته من ذخائر ونوادر المخطوطات والكتب عبر التاريخ، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث: ليعرِّف بالمكتبات الوقفية، ومميزاتها وسلبياتها، مع ذكر نموذج لذلك ممثلا في المكتبات الوقفية القائمة حاليًا بالمدينة المنورة، وما حفظته من نوادر وتراث الأمة إلى يومنا هذا. والخروج بتوصيات يمكن أن تفيد مستقبل المكتبات الوقفية للحصول على أفضل عائد منها بما يخدم العلم والعلماء.

٠ / ٤ - أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تعريف المكتبات الوقفية، وأنواعها، ومميزاتها، وسلبياتها، ورصد محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، وينقسم هذا الهدف إلى الأهداف التالية:

- وضع تعريف للمكتبات الوقفية.
- استنباط المزايا التي حظيت بها المكتبات الوقفية عبر القرون الماضية.
- التعرض للسلبيات التي قد تمر بها المكتبات الوقفية.
- رصد محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المخطوطات.

٠ / ٥ - حدود تغطية الدراسة

٠ / ١/٥ - الحدود الموضوعية: تغطي هذه الدراسة مفهوم وأنواع المكتبات الوقفية، ومميزاتها وسلبياتها، مع التعرف على نموذج ممثل فى مكتبات المدينة المنورة الوقفية.

٠/٥/٢ - الحدود المكانية : ترصد الدراسة المخطوطات الموجودة في مكتبة المسجد النبوي الشريف، وكذلك مخطوطات المكتبات الوقفية المدمجة في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة.

٠/٦ - منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي للوصول إلى معرفة أنواع المكتبات الوقفية، ومميزاتها وسلبياتها، كما استخدمت المنهج الوصفي المسحي للتعرف على محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المخطوطات التراثية.

٠/٧ - أداة الدراسة

تعتمد الدراسة على:

- الاطلاع على المراجع والمصادر التي تتضمن معلومت عن تاريخ المكتبات الوقفية عمومًا، وتلك التي تتناول مزايا وسلبيات المكتبات الوقفية، للوصول إلى نتائج في هذا الخصوص.

- إجراء مسح ميداني للمكتبات الوقفية المدينة، للحصول على معلومات عن محتوياتها من المخطوطات والكتب.

٨/٠ - المصطلحات المستخدمة في الدراسة:

١/٨/٠ - الوقف: انتشر لفظ الوقف والأوقاف فى العالم العربي والإسلامي منذ قرون، ووجد للوقف وزارات في معظم الدول الإسلامية، ومعنى كلمة الوقف لغةً: الحبس والمنع، وهو مصدر الشئ إذا حبسته وأوقفته، والوقف شرعًا: حبس العَيْن عن أن تُملَّك لأحد من العباد. والتصدق بمنفعتها ابتداء وانتهاء. أو انتهاء فقط. واختلف العلماء فى معنى الوقف اصطلاحًا، ولعل أقرب تعريف هو ذلك الذي ذهب إليه ابن قدامة ـ يرحمه الله ـ حيث قال: "والوقف مستَحبٌّ، ومعناه تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة"[١]. والباحث يميل إلى تعريف محمد أبو زهرة "الوقف: حبس العين، والتصدق بمنفعتها"[٢].

٢/٨/٠ - الواقف: الواقف هو الشخص الذي يوقِف ماله أو جزءًا من ماله لأعمال الخير والبر، وحتى يكون الوقف صحيحًا يلزم توافر عدة شروط فيه، يذكر صالح السعد "الوقف كما يقول الفقهاء عقد من عقود التبرعات؛ لذلك يلزم أن يكون الواقف ممن تتوافر فيهم أهلية التبرع، وهي أهلية الأداء الكاملة، بأن يكون بالغًا، عاقلا، حرا، غير محجور عليه لسفه أو غفلة"[٣].

٣/٨/٠ - شرط الواقف: للواقف أن يشترط شروطًا للوقف الذي أوقفه، وهي مُلزِمة لمن بعده. يقول عبدالجليل عشوب: "وهكذا كل شرط لا يضر بمصلحة الوقف ولا يخالف حكم الشرع فإنه يجب اتباعه والعمل به"[٤]، ويلزم أن تكون الشروط موافقة للشرع وغير مضرة بالوقف، لتكون نافذة ومُلزَمًا بتنفيذها من يتولى مسئولية إدارة الوقف، قال صالح السعد: قال ابن تيمية: "وقد اتفق المسلمون على أن شروط الواقف تنقسم إلى: صحيح، وفاسد كالشروط فى سائر العقود" وعليه يمكن تقسيم اشتراطات الواقفين إلى نوعين:

أ - اشتراطات صحيحة: وهى ما يشترطه الواقف مما لا يخالف الشرع، ولا ينافي مقتضى العقد ولا يتعارض مع مصلحة الوقف والمستحقين له، وهذه لا حرج فيها.

ب - اشتراطات غير صحيحة (فاسدة)، وهي التي تخالف الشرع، أو تنافي مقتضى العقد، أو تتعارض مع مصلحة الوقف أو المستحقين له[٥].

---

(١) السعد، صالح بن عبدالرحمن، الوقف في الإسلام، ودوره في تنمية المجتمع، ط ١. جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٠، ص ٩ - ١٠.

(٢) السابق...، ص ١٠.

(٣) السابق...، ص ٢٩.

(٤) عشوب، عبدالجليل عبدالرحمن، كتاب الوقف، ط ١. القاهرة: دار الآفاق العربية، والدراسات الإسلامية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٤٦.

(٥) السعد.... الوقف في الإسلام، ص ٣٠ - ٣١.

٩/٠ - الدراسات السابقة

من خلال مراجعة الإنتاج الفكري تم رصد العديد من الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوعات لها علاقة بالمكتبات الوقفية بشكل ما، ولكن لم يُتَوَصَّل إلى دراسة وافية تغطي موضوع البحث بالشكل الذي تهدف هذه الدراسة إلى إنجازه، واستفاد البحث من المصادر التالية:

- في كتابه (الوقف وبنية المكتبة العربية) تناول يحيى محمود بن جنيد عددًا كبيرا من المكتبات الوقفية في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، ومنها ممكتبة المسجد النبوي، ومكتبة عارف حكمت، وتناول عددًا من المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، ولكنه لم يشملها جميعًا، وخاصة مكتبة الملك عبدالعزيز لم يرد ذكرها، وهي التي ضمت أكثر من ثلاثين مكتبة وقفية، وقد أورد البحث معلومات جد قيمة، ووضع أساسًا للبحث العلمي في موضوع المكتبات الوقفية يقتدى به، يقول المؤلف: "وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح نشأة ومسار المكتبة العربية التي اعتمدت على الوقف أو قامت عليه، دون تناول المكتبات الخاصة، أو تلك التي لم يثبت ما يؤيد وقفها، كل ذلك اعتمادًا على الشواهد التراثية طالما توفرت، مع الاستعانة بأعمال حديثة عند عدم توفر النص التراثي... وتنطلق الدراسة من مجموعة من المسلمات التي تتمحور حول التالي:

١ - أن وقف الكتب عند المسلمين كان العامل الأساسي في توفير المعرفة لطلاب العلم على مدى قرون طويلة.

٢ - أن هذا النمط من الوقف أسهم في انتشار المكتبات بأنواعها المختلفة في التاريخ الإسلامي.

٣ - أن الكتب الوقفية تبددت، وفقد منها الكثير نتيجة للإهمال، وتعرضها للسرقة والنهب.

٤ - أن أغلب التراث العربي الإسلامي الذي تضمه المكتبات في العالم كان نتيجة لتجميع المكتبات الوقفية في العصر الحديث، أو التصرف في المكتبة الوقفية بالبيع؛ وبالتالي قيام أفراد أو هيئات بشرائها ووضعها في مكتبات من جديد"[١].

---

(١) جنيد، يحيى محمود ساعات، الوقف وبنية المكتبة العربية، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٩.

- وتناول محمد ماهر حمادة تاريخ المكتبات الإسلامية في كتابه (المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها) وذكر بعض المكتبات الوقفية مؤكدًا أن الوقف كان يعد مصدرًا مهما من مصادر تزويد الكتب وحبسها على المكتبات، وكان للمكتبات نصيب موفور من حسنات المحسنين وأوقاف الواقفين، حيث درج الخلفاء والحكام والأغنياء وأهل الخير على أن يوقفوا أشياء كثيرة على المساجد والمدارس؛ ولذا كان الوقف يعد مصدرًا مهمًا من مصادر تزويد المكتبات بالكتب(١).

- كتاب (مكتبة الملك عبدالعزيز بين الماضي والحاضر) لعبدالرحمن سليمان المزيني من المصادر الهامة عن مجموعة من المكتبات الوقفية الموجودة حاليًا بالمدينة المنورة، ويلقي هذا المصدر الضوء على أنواع من المكتبات الوقفية هي أربع مكتبات عامة، وسبع مكتبات مدرسية وقفية، وثلاث مكتبات وأربطة، وتسع مكتبات وقفية خاصة تقع جميعًا تحت مظلة مكتبة الملك عبدالعزيز، ولا يعني هذا أن هذه هي جميع المكتبات الوقفية بالمدينة، ذلك أن كلا من مكتبة المصحف ومكتبة المسجد النبوي الشريف مستقلة بذاتها في داخل المسجد، إضافة إلى عدد من المكتبات الوقفية الخاصة التي يحتفظ أهلها بها(٢).

- ومن الدراسات التي تتعلق بموضوع البحث دراسة بعنوان (أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة) أعدتها سحر بنت عبدالرحمن الصديقي، وطبعها مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، وتقع في ٥٠٠ صفحة، وتناولت الدراسة بقية المكتبات بالمدينة المنورة سردًا حسب ذكر بعض المصادر لها، ذلك أن هدف هذه الدراسة معرفة أثر الوقف على الحياة العلمية والتعليمية بالمدينة المنورة. وفي معرض حديث المؤلفة عن المكتابت الوقفية بالمدينة المنورة تقول: "تجمَّع في المدينة في العهد العثماني مكتبات عظيمة، أُلحِق معظمها بالمسجد أو خارجه، والتي تكون في الغالب موقوفة لمصلحة الطلاب الذين يدرسون بالمسجد، مما جعل المدينة بجانب دورها الديني وقداستها تلعب دورًا مهما في مجال العلم والتعلم، بما احتوته مكتباتها من كنوز المخطوطات ونفائسها، التي توسّعت وتطورت من خلال الوقف وتبرعات السلاطين والملوك والعلماء والأثرياء، وتنوعت هذه المكتبات إلى مكتبات عامة كمكتبات المساجد

(١) حمادة، محمد ماهر، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها، ط ٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٨٩هـ. ١٩٧٨م، ص ١٠.

(٢) المزيني، عبدالرحمن سليمان، مكتبة الملك عبدالعزيز بين الماضي والحاضر، ط ١. الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١١.

والجوامع والأربطة والمدارس، أو المكتبات التي أنشأها الخليفة أو الحاكم أو الأثرياء، ومكتبات خاصة يملكها العلماء والفقهاء وغيرهم"(١).

- وفي كتابه (فصول من تاريخ المدينة المنورة) أورد علي حافظ معلومات عن عدد من مكتبات المدينة العامة والخاصة، بعضها اندثر والبعض لا زال قائمًا، وأهم ما تناوله من المكتبات تلك التي كونت مجموعاتها المكتبة العامة التى أنشئت بقرار من الملك سعود بهدف الحفاظ على المكتبات الوقفية المتناثرة حول المسجد النبوي عندما بدأت عملية الإزالة للأحياء المجاورة له بهدف توسعته(٢).

- رسالة الماجستير التي أعدها حمادي على التونسي بعنوان: (المكتبات العامة بالمدينة المنورة: ماضيها وحاضرها) من الدراسات العلمية التي تناولت المكتبات بالمدينة المنورة وغطت أربعًا من المكتبات العامة بها، وتعرضت لذكر بعض المكتبات الوقفية، لكنها لم تشمل جميع المكتبات الوقفية؛ ذلك أن هدف الدراسة كان مقصورًا على أربع مكتبات رئيسة بالمدينة. ويقول الباحث عن ذلك في مقدمة رسالته: "يبحث الباب الأول منها في تاريخ المكتبات العامة بالمدينة المنورة، وهي: المكتبة المحمودية، ومكتبة عارف حكمت، ومكتبة الحرم النبوي الشريف، ثم مكتبة المدينة العامة، مرتبة على هذا النسق نظرًا لأقدمية إنشاء كل منها، كما يبحث الباب الثاني عن واقع هذه المكتبات الأربع، مضافًا إليها المكتبة العامة التابعة لوزارة المعارف"(٣). ويتضح مما سبق أن موضوع الرسالة كان عن المكتبات العامة بالمدينة المنورة، وإن كان بعضها مكتبات وقفية، ولكن الدراسة وفرت كمًا من المعلومات عن المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة سوف يساعد الباحثين في دراستهم المتعلقة بهذا الموضوع.

- ومن المصادر كتاب (صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة) لياسين أحمد الخياري، ذلك أن والده كُلِّف من قِبَل الدولة السعودية بإعادة تأسيس مكتبة الحرم النبوي الشريف في عام ١٣٥٩هـ، حيث ضم والده مجموعته الخاصة إلى ١٢ مصدرًا

---

(١) الصديقي، سحر عبدالرحمن. أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة. المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ص ٤٢.

(٢) حافظ، علي، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط ٣. جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٣) التونسي، حمادي على محمد. الكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها. رسالة ماجستير. جدة: قسم المكتبات والمعلومات، كلية الآداب، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١١٣.

آخر تم تجميع الكتب منها لتكون نواة لإعادة مكتبة الحرم النبوي لدورها الريادي[١].

- ومن المقالات المنشورة في مجال البحث مقالة بعنوان: (مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني) لعبداللطيف عبدالله بن دهيش، تحوي معلومات عن بعض المكتبات الوقفية، وخاصة تأسيس بعضها مثل المكتبة المحمودية والعثمانية، ودور مكتبة عارف حكمت في حفظ النوادر، وبعض المكتبات الخاصة في عهد الأشراف، يقول الكاتب: "وفي هذا البحث القصير سوف نستعرض تاريخ أهم المكتبات العامة والخاصة في المدينة المنورة خلال العهد العثماني فقط، وذلك على ضوء المعلومات التي أمكننا الحصول عليها، على أن تتبع تاريخ المكتبات في هذه المدينة المقدسة أمر فيه بعض الصعوبة؛ وذلك لقلة المراجع المتخصصة التي تبحث في هذا الموضوع"[٢].

- وصدر مؤخرًا عن الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي كتابٌ تعريفيٌ بعنوان: (مكتبة المسجد النبوي: النشأة والأثر) ويضم الكثير من المعلومات عن المكتبة، وتعريفًا بأقسامها المختلفة، التقليدية بقسميها: الرجال، والنسائي، وكذلك المكتبة الرقيمة، ومكتبة المخطوطات[٣].

١/٠ - تعريف المكتبات الوقفية

يتكون مصطلح المكتبة الوقفية من جزأين: لفظ مكتبة، ولفظ وقف، وللوصول إلى تعريف يشمل اللفظين نتعرف أولا على معنى كل لفظ، فالمعجم الموسوعي يعرف المكتبة (Library): بأنها :

١ - مجموعة من الكتب والمواد الأخرى المحفوظة للقراءة والدراسة والاستشارة.

٢ - مكان أو مبنى أو حجرة أو حجرات معدة لحفظ واستعمال مجموعات من الكتب...إلخ"[٤]. وعن لفظ المكتبة يقول محمد ماهر حمادة بأنها: "مؤسسة ثقافية اجتماعية توجد في مجتمع من المجتمعات، وتهدف لخدمة ذلك المجتمع عن طريق جمع

---

(١) الخياري، أحمد ياسين، صورة من الحياة الاجتماعية، ط ١. جدة: مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١٣هـ/ ١٣٩٨م، ص ١١٣.

(٢) ابن دهيش، عبداللطيف عبدالله، مكتبات المدنية المنورة في العهد العثماني، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز، السنة ٣، ع٣، مكة المكرمة: فرع جامعة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٧ - ١٤.

(٣) الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير، ط١. المدينة المنورة: السروات، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٤) الشامي، أحمد محمد. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٦٥٢.

المواد الثقافية التي تساعد ذلك المجتمع أفرادًا وجماعات، على زيادة حصيلته الحضارية وتحقيق متعته، وتسليم تلك المواد للأجيال القادمة سليمة متطورة، وتنظيمها تنظيمًا يتضمن الاستفادة منها"(١)/ ويقول ربحي عليان في تعريفه للمكتبة: "إذا كان لا بد من تعريف شامل للمكتبة يضعها في مكانها الطبيعي باعتبارها مؤسسة أوجدها الإنسان لتعمل علي خدمته من خلال قيامها بجمع ثروته الفكرية وتنظيمها ونقلها للأجيال القادمة، فيمكن القول: بأن المكتبة هى تلك المؤسسة الثقافية التربوية الاجتماعية التي وجدت لتجمع وتحفظ مجموعات معينة من مصادر المعرفة، بحيث ترتَّب وفق طرق معينة، وتحت إشراف فرد أو مجموعة أفراد متدربين على القيام بأعمال المكتبة وخدمة روادها"(٢).

وبالنسبة للوقف مر بنا سابقًا تعريفه، وهو حبس العين فلا يتصرف فيها بالبيع، ولا الرهن، ولا الهبة، ولا تنتقل بالميراث، وكلمة الوقف والحبس لها نفس المعنى، يقول محمد محمود التلاميد الشنقيطي في قصيدة له:(٣)

صارت جوامعها بعد الصلاة بها   على الأذى والخنا موقُوفةً حُبُسا

وبالنسبة للغة الإنجليزية نجد أن كلمة (Endowment) هي المرادفة لمعنى الوقف، ورد في قاموس Webster's Third new International Dictionary أن معنى هذه الكلمة(٤):

١ - عملية منح الهبات، أو التمويل أو الإمداد الدائم بالدعم.

٢ - شيء ما يتم منحه (وقفه) نسبة من دَخْل إحدى المؤسسات، على هيئة حصص من التمويلات مثل: القانون الإسلامي للأحوال الشخصية (The Islamic Law of Personal Status) حيث ذكر(٥) في الفصل ١٤: مصطلح وقف (حبس) يعني منع، تقييد، وبالمصطلحات القانونية تعنى «حماية شيء لمنعه أن يكون ملكية لشخص آخر».

---

(١) حماد.... علم المكتبات والمعلومات، ص ١٦.

(٢) عليان.... المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، ط١. عمان: دار صفاء للنشروالتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١١٣.

(٣) حمدان، عاصم علي، صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنور، ط١. جدة: الشركة السعودية للتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ص ٥٥.

(4) Webster's Third new International Dictionary/ vI, A to G, Ch. 1998. p487.

(5) Nasir J. Jamal. The Islmic Law of Personal Status(. London. Graham & Trotman.

هذا وبالرغم من أن المصادر الأخرى استخدمت كلمة (Endowment) للتعبير عن مفهوم ومعنى الوقف ومن أمثلة ذلك استخدام عباس صالح طاشكندي لهذا المصطلح في رسالة الدكتوراه التي أنجزها بعنوان: **A Descriptiv Catalogue of the Historical Collection of the Scientific Menuscripts at the Library of 'Arif Hikmat in Medina, Saudi Arabis)** حيث ذكر أن من المصادر التي تعتمد عليها المكتبات الوقفية لتنمية مجموعاتها ما نصه: Endowments, and so on [(١)].

ومن خلال ما سبق ذكره توصل هذا البحث إلى تعريف المكتبة الوقفية بأنها: هي **المكتبة التى أنشئت بشكل قانوني عن طريق الأفراد أوالجهات الاعتبارية، بغرض تقديم خدماتها لأفراد المجتمع بشكل خيري حسب شروط الواقف.**

وهذه المكتبة عادة تكون مستقلة في مبانٍ خاصة بها، وقد يلحقها البعض بالجوامع أو المدارس أو الأربطة، وغيرها من الأماكن، وقد ينشئها بعض الحكام والوجهاء في منازلهم وتكون متاحة للإفادة منها، حسب شروط الواقفين.

٢/١ - أنواع المكتبات الوقفية

مع الأخذ في الاعتبار أن شرط الواقف هو الأساس في كل ما يخص أعمال البر، ومن ضمنها وقف الكتب والمكتبات، فقد يوحي أحيانًا اسم المكتبة أنها مكتبة خاصة ولكن شرط الواقف قد يخرجها من هذا المفهوم فتكون عامة، وقد يكون العكس صحيحًا أيضًا، وقد توصل هذا البحث إلى تقسيم المكتبات الوقفية إلى ثلاثة أنواع رئيسة، وهي:

٢/١/أ - المكتبات الوقفية العامة

وهي التي تقدم خدماتها لعموم الجمهور، مثل: مكتبات المساجد، والمكتبات الوقفية العامة بالمدن، وكذلك التي يشترط مُوقِفُها أن تكون متاحة للجميع، حتى وإن كانت فيما يبدو أنها خاصة لأن العبرة بشرط الواقف.

٢/١/ب - المكتبات الوقفية الخاصة

وهي التي يتم إنشاؤها لخدمة فئة معينة أو ضمن مكان محدد لأشخاص معيَّنين، ومن أمثلتها: مكتبات المدارس، والكتاتيب، والأربطة، والزوايا، والبيمارستانات (المستشفيات)، والخانقاه، والمكتبات الخاصة.

---

(1) Tashkandy, Abbas Saleh A Descriptive Catalogue of the Historical Collection of the Scientific Manuscripts at the Library of 'Arif Hikmat in Medina, Saudi Arabia...p. 6.

٢/١/ج - المكتبات الوقفية المدمجة:

وهي مكتبة وقفية تم دمجها ضمن مكتبة أخرى، وقفية كانت أو غير وقفية. ويتم الدمج لأسباب مختلفة، مثل الخوف من ضياع محتوياتها، أو الخوف عليها من السرقة والنهب، أو لعدم تمكن القائمين عليها من الوفاء بمستلزمات العمل بها... إلخ. ومن أمثلتها المكتبات التي دمجت في مكتبة عارف حكمت زمن الأشراف أواخر الدولة العثمانية، وتلك التي دمجت في مكتبة المدينة العامة بتوجيه من الملك سعود، كما دمجت هى الأخرى في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

وفيما يلي نستعرض أبرز أنواع المكتبات الوقفية التي مرت عبر تاريخ الحضارة الإسلامية، ثم نورد بعد ذلك نماذج لأشهر تلك المكتبات في مناطق جغرافية مختلفة من العالم الإسلامي.

٢/١/١ - مكتبات المساجد

ويعرف البستاني في قاموسه محيط المحيط: "مسجد: وجمعها مساجد، بيت الصلاة والعبادة عند المسلمين: "جامع المسجد الحرام": جامع مكة، "المسجد الأقصى": جامع القدس، "المسجد النبوي": جامع المدينة المنورة"[(١)].

ومكتبات المساجد أول وأقدم أنواع المكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية، فالمساجد وما تحويه وقف لعموم المسلمين. وكانت البداية من مكتبة المسجد النبوي في المدينة المنورة، فعند تدوين القرآن الكريم تم إيداع أول نسخة من تلك المصاحف التي خطها الصحابة الكرام في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمسجد النبوي، "وقد روى ابن شبة عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة، قال: إن أول مَن جمع القرآن في مصحف وكتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم وضعه في المسجد فأمر به أن يقرأ غداة"[(٢)]. ويقول محمد ماهر حمادة: "فلما استمر القتلُ في الصحابة، وبخاصة القراء منهم أثناء حروب الردة زمن أبي بكر رضي الله عنه، خاف على القرآن من الضياع، فاستشار الصحابة في جمع القرآن في طرس واحد. فوافقوه عليه وشكلوا لجنة لهذا الغرض، يرأسها زيد بن ثابت، فكتبوا القرآن في الرق (الجلود)؛ لطول بقائه أو لأنه الموجود عندهم حينئذ، ولما

---

(١) البستاني، المعلم بطرس، محيط المحيط، قاموس عصري مطول للغة العربية، بيروت: دار الكتب العلمية، مج٨، ص ٣٢٦.

(٢) حماد، سامي زين العابدين، مصادر التشريع ونظم الحكم والإدارة في الإسلام، موسوعة الإدارة في الإسلام (مصادر التشريع ونظم الحكم)، جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ص ٣٢.

أتى الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ورأى اختلاف الأمصار في قراءة القرآن أمر باستنساخ نسخة رسمية للقرآن، وتوزيعها على الأمصار، حتى لا يحدث اختلاف في القراءات بين المسلمين، فنسخت خمسة مصاحف أرسلت إلى الكوفة والبصرة ودمشق ومكة والمدينة، وأبقى عثمان لنفسه مصحفًا عُرِف بالمصحف الإمام"(١).

وقد حفظت مكتبات المساجد رصيدًا ضخمًا من تراث الأمة وعلومها، ودعمت المسيرة العلمية، وذلك بالرغم من كل ما تعرضت له من كوارث طبيعية، وتعديات بشرية. "وللتعرف على ضخامة ما كانت تحويه مكتبات الجوامع والمساجد فى أنحاء العالم الإسلامي، فإن في إمكان المرء الرجوع إلى كتاب سزكين حين أورد أسماء بعض الجوامع التي تضم مخطوطات، ووضع لها فهارس تنم عن محتوياتها"(٢). ويقول محمد أمين: "بدأت الحياة العلمية في مصر بعد تحريرها من السيطرة البيزنطية، في مسجد عمرو ابن العاص، ولم تلبث أن أصبحت مساجد مصر الكبرى مثل جامع أحمد بن طولون، والجامع الأزهر من أشهر مراكز الحركة العلمية، ليس في مصر وحدها، بل في أنحاء الدولة الإسلامية"(٣).

ونتيجة لهذا الحراك العلمي بالمدينة كان من الطبيعي أن تكون بدايات ظهور الكتب والمكتبات في زمن الصحابة، الأمر الذي سنورد شواهده لاحقًا لتأكيد صحة هذه المقولة، والتي من آثارها الواضحة الأحاديث المنعنعة التي تملأ كتب الحديث إلى يومنا هذا، فليس هناك من حديث إلا ويروى عن صحابي، ومن أبرز كتب ذلك العصر تفسير ابن عباس الذي لا زال يطبع إلى يومنا هذا.

٢/١/٢ - **مكتبات الكتاتيب**: ومفردها كُتَّاب "والكُتَّاب جمع الكاتب، وموضع التعليم وقيل الكُتَّاب الصبيان، وجمعه كتاتيب"(٤).

وقد ظهرت الكتاتيب بداية في المدينة المنورة، وكانت نواتها تتمثَّل في تأسيس الرسول ﷺ لأول مؤسسة تعليمية بالمدينة، وذلك باتفاقه مع أسرى بدر. في السنة

---

(١) حماد، محمد ماهر. المكتبات فى الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها. ط٧. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣٧.

(٢) جنيد، يحيى محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ص ٧٦.

(٣) أمين، محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م. دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ٢٥٩.

(٤) البستاني.... محيط المحيط، مج ٣، ص ٤٤٨.

الثانية من الهجرة . أن يكون عتقهم بتعليم الواحد منهم عددًا من صبيان المدينة القراءة والكتابة، ومن هنا كانت بداية الكتاتيب في تاريخ الحضارة الإسلامية، ومن بعدها جاء إنشاء المدارس على نفس النهج، يقول محمد باشميل عن موضوع أسرى بدر: "وأُطلِق سراح بعض الأسرى من غير فداء لفقرهم، كما اتفق مع المثقفين من الأسرى على إطلاق سراحهم مقابل قيامهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة"[١]. ولعل هذا العمل، هو الأساس الذي أنشئت على نهجه الكتاتيب في الحضارة الإسلامية، والتي ظهرت أولا في المدينة المنورة، ثم انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي.

٣/١/٢ - مكتبات المدارس الوقفية:

"والمدرسة: الموضع الذي يدرس فيه القرآن وغيره، وتتعلم فيه الطلبة. سميت به لكثرة الدّرس فيها. وجمعها مدارس"[٢]. واختلف المؤرخون في تاريخ تأسيس أول مدرسة نظامية في الحضارة الإسلامية، ولكن فيما يخص أول مدرسة احتوت على مكتبة وقفية، يقول يحيى جنيد: "وإذا كان من الصعب أن نحدد بشكل دقيق أول مدرسة في تاريخ الإسلام احتوت على مكتبة، إلا أن من الممكن أن نقول: إن من أقدمها ما كان في المدرسة البيهقية في نيسابور، فهذه المدرسة يعود تاريخها التقريبي إلى القرن الرابع الهجري، والتي كانت متخصصة في علم الحديث ضمت مكتبة وقفت عليها"[٣]. وقد انتشرت المكتبات بالمدارس الوقفية في طول وعرض الخلافة الإسلامية، من الجزيرة العربية إلى ما وراء النهر، إلى بلاد الرافدين، والشام ومصر والمغرب والأندلس. وقد جاءت المكتبات الوقفية المدرسية تالية لمكتبات المساجد والكتاتيب، وكانت معينًا لا ينضب للمدرّسين والدارسين جميعًا، والمدارس تنوّع مستحقوها كما تنوّع مدرسوها بحسب ما شرطه الواقف، وقد ساهم الوقف بدور فعال؛ بتوفيره مخصصات مالية للطلاب لمساعدتهم علي العيش، والتفرغ لطلب العلم.

٤/١/٢ - مكتبات الأربطة

يقول البستاني: "الرباط: ربط الشيء يربطه، ويربطه رَبْطًا أوثقه وشدّه، أى ضد حله، ورابط الجيش لازم ثغر العدوّ، والرجل فرسًا اتخذه للرباط"[٤]. وينقل يحيى جنيد

---

(١) باشميل، محمد أسرى بدر (١٩) سابق.

(٢) البستاني....، محيط المحيط، مج٣، ص ٣١٩.

(٣) جنيد ....، الوقف وبنية المكتبة العربية. ص ٧٧.

(٤) البستاني....، محيط المحيط، مج٤، ص ٤٠.

عن المقريزي قوله: "الرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم، ولكل قوم دارهم، والرباط دارهم... ويذكر أحد الباحثين المعاصرين أن الرباط والخانقاهات كانتا تعمل جنبًا إلى جنب مع المدارس على رعاية شئون الطلبة الفقراء وإيوائهم... ومن هنا فقد أنشئت بداخلها مكتبات؛ كي يلجأ إليها الطلاب عند الرغبة في البحث والمطالعة خارج أوقات الدراسة الرسمية"(١).

وقد انتشرت الأربطة في العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة، ولا زال بعضها قائما إلى يومنا هذا. وقد تنوع مستحقوها بحسب ما يشترط الواقف، وكثير منها كان يشتمل على مدرسة، وبعضها على مكتبة، أو الاثنين معًا، أو على كتّاب لتعليم الصبيان القرآن الكريم، وأسهم الوقف إسهامًا مهمًا بتوفيره مخصصات لساكني الأربطة، ولما يحتاجه أهلها في معيشتهم وتعليمهم، وسكن الأربطة وتخرَّج فيها علماء كبار.

٢/١/٥ - مكتبات الخوانق

الخوانق: عرفت بالتكايا في العهد العثماني، وكان الغرض الشائع من إنشائها هو إيواء الدراويش المنقطعين للنُّسك والعبادة، ولتدريس العلوم الدينية، أو توفيره مكتبة يرتادها من يشاء من طلاب العلم، أو تطبيب المرضى وعلاجهم. ويذكر المقريزي أن الخانقاهات "حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سني الهجرة لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى(٢). وتقول سحر الصديقي: "وأما خانقاه فهو الاسم الفارسي لكلمة ربط بالعربية، وقد جرت العادة أن يعين لكل خانقاه شيخ أو أكثر... وقد جعلت هذه الخوانق تأخذ صورة المعهد العلمي بجانب التصوف حسبما يشترطه الواقف"(٣).

ويقول يحيى جنيد: "وكانت الربط والخانقاهات، التي كانت تأوى الفقراء والغرباء والطلاب وتعتمد اعتمادًا كليًا على الوقف مسرحًا لنشاط علمي مكثف، ولا يستبعد المرء أن بعضها استُغِل في التعليم وإقامة حلقات الدرس نظرًا لمجاورة مجموعة كبيرة منها للمساجد والمدارس، إضافة إلى احتوائها خزائن للكتب، وإقامة أعلام مشاهير الفقهاء والعلماء فيها(٤).

(١) جنيد ....، الوقف وبنية المكتبة العربي، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) السابق، ص ١٠٧.

(٣) الصديقي....، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٣٢.

(٤) جنيد ....، الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ١٠٧.

٦/١/٢ - مكتبات الزوايا

قد يخلط البعض بين الأربطة والخوانق والزوايا، إلا أن محمد محمد أمين يرى أن هناك فارقًا بين كل منها، فيقول عن الرباط: "فلا يشترط فيمن ينزل به أن يكون متبعا لأحد طرق التصوف؛ إذ هو عبارة عن ملجأ ومأوى لفقراء المسلمين، أو عتقاء الوقف... والخانقاه "هو مسجد وبيت الصوفية، يتسع لعدد كبير قد يصل إلى أربعمائة... ويشترط فيمن يقيم بالخانقاه أن يكون مُتَّبِعًا لإحدى الطرق الصوفية... أما الزوايا فهي في الغالب تنشأ برسم شخص معين ينقطع فيها للعبادة، ويلتف حوله مُحِبُّوه ومريدوه الذين يأخذون عنه الطريقة"(١). وقد شاعت الزوايا في المدينة المنورة بسبب قدوم عدد من شيوخ الطرق الصوفية إليها، وإقامتهم بها، أو قدوم بعض أتباعهم، وكان المترددون عليها يقيمون الأذكار المقررة في طريقتهم، ويستمعون إلى دروس مختلفة يلقيها شيوخهم، ويقرأون في الكتب التي ألفها الشيوخ الأوائل، وفي الغالب كان لكل منها مكتبة محددة، فيها نسخ من القرآن الكريم وبعض التفاسير وبعض الكتب الصوفية، ومنها ما أنشئ لهدف تعليمي، ويغلب على ذلك زوايا العلماء، ومنها ما كان فرديًا يقيم به شيخ يقصده الناس والمريدون في أوقات معينة، ومنها ما كان جماعيًا يقيم فيه المريدون مع الشيخ.

٧/١/٢ - مكتبات المشافي (المارستانات)

في صورة معبرة عن مدى الرقى العلمي فى الحضارة العربية الإسلامية، نرى بشكل واضح وجلي تعدد أشكال المكتبات وانتشارها في مختلف المواقع، حتى فى مواطن المرض حيث الأسباب الداعية للخلود للراحة قوية، نجد المكتبات قد غَزَتْها أيضًا. و"المارستان أوالبيمارستان كلمة فارسية الأصل تعنى بمفهومنا المعاصر المستشفيات، وكانت معروفة ومنتشرة على مدى قرون طويلة فى أرجاء العالم الإسلامي، وكان بعضها مخصصًا للعلاج والدراسة في الوقت نفسه، وهو ما دفع بأحد الباحثين المعاصرين إلى اعتبارها مدارس طبية. والعجيب في الأمر أن تكون مكتبات البيمارستانات من أقدم ما عُرِف في تاريخ المكتبات العربية رغم التخصص الدقيق للمارستان أو البيمارستان"(٢).
ومن أشهر البيمارستانات:

- بيمارستان نور الدين زنكي في دمشق.

---

(١) أمين...، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص ٢١٩ - ٢٢٢.

(٢) جنيد...، الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ١٠٦.

- البيمارستان العضدي في بغداد.

بيمارستان أحمد بن طولون في القاهرة.

٨/١/٢ - مكتبات المراصد

لم تنتشر المراصد كما هو الحال بالنسبة للمدارس والأربطة، ولكنها وجدت في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي في الشرق، وفي مصر. "والمرصد: موضع الرصد: رصَد حركاتها: رقبها، رصد النجوم: لاحظ حركاتها ومواقعها"(١). ومن أشهر هذه المراصد:

- مرصد مراغة في أذربيجان.
- المرصد الحاكمي في القاهرة.
- مرصد ملكشاه في نيسابور.

٩/١/٢ - مكتبات الخلوات

يفضل بعض العلماء الانزواء عن الناس والبعد عنهم، وذلك بهدف الاشتغال بطلب العلم أو العبادة، لما يرون في مخالطة الناس من ضياع الوقت وإهداره لافائدة فيه، ومن هنا نشأت الخلوات عند أهل الديانات والعلماء أيضًا. "والخَلوة: المكان الذي يختلي فيه الرجل، جمعها خَلَوات، ومن هذا القبيل خلوات الدروز، وهي أبنية في صوامع معتزلة عن القرى تنفرد بها العقال منهم للعبادة، الواحدة منها خَلوة"(٢).

وقد انتشرت الخلوات في العديد من المساجد، وخاصة الحرمين الشريفين، وكانت عادةً لعالِم بعينه، وضم بعضها مكتبات خاصة بهؤلاء العلماء، ومنها خلوة الإمام السمهودي بالمسجد النبوي الشريف، والتي كانت تضم أكثر من ثلاثمائة كتاب، وكانت ضمن ما احترق يوم شبت النار في المسجد النبوي.

١٠/١/٢ - مكتبات التُرَب:

ويعبر بها عن المقابر ، قال في محيط المحيط: "تربة: جمعها ترب، "واراه في تربته، في قبره"(٣). وقد اهتمت بها بعض الأقطار الإسلامية، وأولتها عناية خاصة باعتبار أنها مكان تستجلب فيه الرحمة للأموات عبر الذكر والدعاء لهم، بينما أنكرها فريق آخر ورأى فيها نوع من البدع المنهي عنها، وقد ضمت بعض هذه التُرَب مكتبات، من أشهرها:

---

(١) البستاني.... محيط المحيط. مج ٤، ص ٦٢.

(٢) البستاني.... محيط المحيط. مج٢، ص ٤٠.

(٣) البستاني.... محيط المحيط. مج١، ص ٣٧.

- تربة أم الخليفة في بغداد.
- القبة المنصورية بالقاهرة.
- تربة أحمد باشا الكوبري في استانبول.

٢/١/١١ - المكتبات الوقفية العامة

يتم إنشاء المكتبات العامة عادة لخدمة الجمهور بمختلف فئاته، وقد ظهرت نماذج لها في الحضارات القديمة، واستمر إنشاؤها عبر القرون وإلى يومنا هذا، حيث لا تكاد تخلو مدينة منها في مختلف الدول المتقدمة. يقول حسن رشاد: "المكتبات العامة مؤسسات ثقافية يحفظ فيها تراث الإنسانية الثقافي وخبراتها، ليكون في متناول المواطنين من كافة الطبقات والأجناس والأعمار والمهن، وبهذا تعد من أهم الوسائل التي تعين على نشر المعرفة والارتقاء بمستوى الفن والثقافة والبيئة، وهذا النوع من المكتبات ظهر في الشرق منذ زمن بعيد، فقد كان به منذ الحضارة الأولى مكتبات في قصور ومعابد مصر وآشور وبابل، وكان للعرب في العصر العباسي والعصر الأموي شأن كبير في هذا المضمار"(١).

وقد انتشرت المكتبات الوقفية العامة في العالم الإسلامي، وإن كان مسمى بعضها لا يوحي بأنها عامة؛ إذ تكون ضمن رباط، أو تحمل اسم شخص معين مثل مكتبة عارف حكمت، أو بشير أغا، أو المحمودية، وغيرها من المكتبات، إلا أن العبرة بشرط الواقف الذي ينص على استفادة الجميع منها.

٢/١/١٢ - المكتبات الوقفية الخاصة

وهي مكتبات ينشئها البعض فى داره ويخصصها لنفسه وعائلته، أو لفائدة فئة معينة من المستفيدين، وبالتالي فهي غير متاحة لعموم الجمهور. وقد انتشرت في مواطن عدة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبلاد كمصر والشام والأندلس، ومع ظهور الدول الحديثة بعد عصر الاستعمار، قامت الدول بجمع محتوياتها ووضعها ضمن مكتبات قومية أو عامة مثل دار الكتب فى مصر، والمكتبة العامة بالمدينة المنورة.

ومن المهم ملاحظة أنه مع كثرة تنوع المكتبات الوقفية إلا أن دلالة المسمى قد تختلف أحيانًا تبعًا لشرط الواقف كما تم التأكيد على ذلك سابقًا، فمثلا مكتبة الرباط أو الزاوية من المعلوم أنها خاصة بالمجموعة الموجودة في ذلك الرباط أو تلك الزاوية، إلا

(١) رشاد، حسن، المكتبات العامة، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ، ص ٥.

أن شرط الواقف قد يتيح استفادة الآخرين من مكتبتها، وقد يُتَوَسَّع في ذلك فيُسمَح لأهل الحي أو ربما المدينة جميعا بالاستفادة من هذه المكتبة، فتتحول من مكتبة وقفية خاصة كما يدل المسمى، إلى مكتبة وقفية عامة حسب شرط الواقف. وفي هذا المعنى يقول محمد ماهر حمادة: "فمن الناس من يوقف كتبه على المسلمين عامة دون تعيين فتوضع كتبه في خزانة الجامع، ومنهم من يخصص، فيقول: أوقفتها على المكان الفلاني أو البلد الفلانية أو أو... إلخ. ومنهم من يترك استعمالها حرًا، على حين يضع آخرون شروطًا لاستعمالها وإعارتها كما فعل القاضي ابن حبان الذي منع إعارة الكتب خارج المبنى، وكما فعل ابن خلدون الذى منع إعارة كتابه العبر إعارة خارجية إلا لقاء رهن، ولمدة لا تزيد على الشهرين، وبعضهم وقف كتبه على أهل العلم كما فعل ابن الخشاب"(١).

ويقول يحيى جنيد: "واعتمادًا على المصادر التي اطلعنا عليها نجد أن وقف دور الكتب أو خزائن الكتب المستقة هو أقدم أنواع وقف الكتب والمكتبات عند المسلمين، ومن الطبيعي أن يكون أوائل المسهمين في هذا النوع من الوقف هم الخلفاء والحكام والوزراء والأثرياء نظرا لتوفر المال لديهم، ووجود الحافز نحو المشاركة في عمل خيري عن طريق استغلال جزء من ثرواتهم للصالح العام رغبة في الثواب"(٢). ومن المعلوم أن مكتبات المساجد والكتاتيب هي أقدم أنواع المكتبات الوقفية كما ورد ذكره سابقا عند الحديث عن مكتبات المساجد.

٣/٠ - مزايا المكتبات الوقفية وسلبياتها

كان للوقف الإسلامي أكبر الأثر في إنماء الحياة العلمية والاجتماعية لدى المسلمين عبر قرون طويلة، ويعتمد في مصادره على جهود وهبات المحسنين، فكان رافدًا آخر يساند جهود الدولة في البناء والتنمية، وربما تفوق عليها في بعض الأحيان عند نضوب موارد الدولة أو تعرضها للانهيار أو الزوال بسبب ظروف الحروب والفتن. فظل الوقف مستمرًا في عطائه للأفراد وللمجتمع بالرغم من كل الظروف، ومع تعرضه لبعض العقبات أحيانًا إلا أنه إجمالا يمثل واحدة من أجمل صور التكافل الاجتماعي الإنساني في خدمة الفرد للمجتمع، والبذل من أجل تعليمه وتنميته، والإحسان إلى أفراده ومختلف فئاته، وبالرغم من كل مزايا الوقف، وخاصة في مجال العلم والتعليم والكتب والمكتبات، إلا أن هناك بعض السلبيات التي قد يتعرض لها، وربما كانت سببًا مانعًا في

(١) حمادة..... المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها، ص ١٧٣.

(٢) جنيد..... الوقف وبنية المكتبة العربية. ص ١٧.

حصول المنفعة المرجوة منه، وإن كانت هذه السلبيات لا توازي في حجمها المنافع الجمة لحقيقة، وواقع الوقف. وسيتم التعرض لها بغرض معرفتها؛ وذلك حتى يمكن التعامل معها ودراستها تمهيدًا لمعالجتها.

١/٣ - مزايا المكتبات الوقفية

١/١/٣ - حفظ الكثير من المصادر والمراجع العلمية للحضارة العربية الإسلامية

لقد كان لنظام الوقف الإسلامي وخاصة في مجال الكتب والمكتبات أكبر الأثر في المحافظة على تراث الحضارة العربية الإسلامية إبان ازدهارها في العصور الأولى، وأكبر شاهد على ذلك عشرات الألوف من المخطوطات العربية والإسلامية في مختلف العلوم والفنون التي تزخر بها المكتبات العامة والخاصة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقاهرة ودمشق، وبغداد، وفاس، وتونس، واستانبول وغيرها. هذا فضلا عما تم نقله أو بيعه للمكتبات الغربية في باريس ولندن ومدريد، ومدن أخرى كثيرة. وربما كان طريق الحصول عليها النهب أو السرقة، الأمر الذي أدى في أحيان معينة إلى تولي الدولة مسئولية هذه المكتبات للمحافظة على محتوياتها باعتبارها إرثًا قوميًا للأمة وللإنسانية جمعاء، وأكبر مثال على ذلك دار الكتب القومية بمصر، يقول حسن رشاد: "يرجع الفضل في تأسيس هذه الدار رسميًا إلى جهود المرحوم على مبارك وزير المعارف، فإنه لما رأى أكثر المخطوطات النفيسة التي حبسها المؤلفون والعلماء، ووقفها السلاطين والمماليك والأمراء على المدارس والمساجد والأضرحة وغيرها يتسرب إلي أوروبا وأمريكا، عرض على إسماعيل باشا أن يجمع هذه الكتب المتفرقة في الجهات الأميرية والمساجد وغيرها، في مكان واحد، فوافق الخديوي على ذلك سنة ١٨٧٠م وأسست الكتبخانة الخديوية، فبلغ عدد ما جمع فيها من الكتب نحو ثلاثين ألف مجلد، وجعل مقرها بالطابق الأرضي تجاه السلاملك بسراي مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز بجوار المدارس وقتئذٍ. وكان هذا الجمع بدء تأسيس دار الكتب، وأبيح للجمهور في ديسمبر سنة ١٨٧٠م القراءة فيها والاستعارة منها. ولما توفي مصطفى فاضل سنة ١٨٧٦م وجد عنده خزانة نفيسة بها أكثر من ثلاثة آلاف كتاب عربي، بخلاف نحو ألف كتاب أخرى بالتركية والفارسية فضمت هذه الكتب للدار"[٢].

(١) رشاد، حسن، المكتبات ورسالتها، ط ٣. القاهر: دار الفكر العربي ، ص ٣٤، ٣٥.

وقد كان لهذه المبادرة أثرها فى المحافظة على الإرث العلمي في مصر، وأخذت تنمو هذه المكتبة إلى أن أصبحت على ما هى عليه فى زماننا الحاضر واحدة من أكبر المكتبات القومية، يقول حسن رشاد عن تطورها التاريخى بعد ذلك: "ولوحظ بعد ذلك أن مكانها بدرب الجماميز أصبح يضيق بمحتوياتها؛ نظرًا للزيادة المطردة فى رصيدها فنقلت إلى السلاملك الذى كان يقابلها وظلت به إلى أن بُنِي لها وللمتحف الإسلامي الدار الحالية بباب الخلق. وقد تولى أمانتها عدد من المستشرقين الألمان حتى الحرب العالمية الأولى، ثم أشرف عليها أحمد لطفى السيد وجماعة من رجال الفكر والتربية كان آخرهم توفيق الحكيم، ثم تولاها أمناء ممن تدرجوا فى وظائفها، وبذلك بدأت دار الكتب بداية المكتبات الكبرى أواخر القرن التاسع عشر، فتجمع لها رصيد ممتاز من الكتب والمخطوطات، يبلغ حوالي مليون مجلد، منها حوالي ٨٠ ألف مخطوط. وقد شيدت لها الحكومة أخيرا مبنى ضخمًا على كورنيش النيل يليق بمكانتها، بوصفها المكتبة القومية لجمهورية مصر العربية"(١).

ومن خلال ما ذكره حسن رشاد في النص السابق يتضح أن واحدة من أكبر المكتبات القومية كان مبدؤها وأساسها الوقف، والحرص علي المحافظة على الإرث الحضاري العلمي الذي خلفه الأوائل، وحمايته من الضياع عبر التسرب للخارج بالبيع أو السرقة والنهب.

ويماثل هذا أيضًا تجميع المكتبات الوقفية المتناثرة بالمدينة المنورة خوفًا عليها من الضياع عند إزالة الأحياء القديمة بغرض توسعة المسجد النبوي الشريف، لتكون أساسًا للمكتبة العامة التي أنشأها الملك سعود بن عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ومن بعدها مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة أيضًا،، وهو ما سيرد ذكره تفصيلا عند تناولنا لتاريخ المكتبات بالمدينة المنورة.

٢/١/٣ - عامل أساسي في دعم الحركة العلمية على مدى قرون

لقد كان وقف الكتب والمكتبات على الكتاتيب والمدارس وحلق التعليم في المساجد ومعاهد التعليم، من أهم الأسباب لدعم حركة العلم والتعليم في مختلف الحقب التاريخية، وفي مختلف الأقطار الإسلامية، بما وفرته من كتب ومصادر للمعلومات ومراجع تقدم العلم مجانًا للمعلمين والمتعلمين على حد سواء، يقول يحيى جنيد: "أسهم الوقف في إرساء دعائم ثقافية متنوعة في المجتمعات الإسلامية، من بينها:

(١) السابق، ص ٣٥.

- تشييد المدارس، وتعيين المدرسين فيها، والإنفاق على طلبة العلم.
- الاستفادة من المساجد في التعليم بإيجاد زوايا العلم وحلقات الدرس.
- العناية بتوفير مصادر للمعلومات في المدارس والمساجد والربط والمارستانات.

وقد شارك في هذه الأنماط الوقفية قطاع عريض من المجتمع خلفاء وسلاطين وحكام وأمراء وأثرياء وعلماء ووزراء، وبعضٌ من عامة الناس، والمتتبع للتاريخ الإسلامي يدرك عظم العناية المولاة لإنشاء المدارس الوقفية التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي المعروف، إذ كان التسابق نحو إنشائها وإقامتها ظاهرة واضحة للعيان حتى بالقرى النائية، فما بالك بالمدن الكبيرة التي كانت تعج بالمدارس المتنوعة"(١). ويقول محمد محمد أمين عن تأثير الوقف في العصر المملوكي على الحركة التعليمية: "وهذا يؤكد لنا أن ريع الأوقاف هو المصدر المالي الأساسي والوحيد لغالبية مدارس ومكاتب الأيتام في العصر المملوكي، وبالتالي فإن الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها مصر في ذلك العصر، والتي تدين بوجودها إلى إنشاء المدارس واستمرار التعليم بها، وإنما هي في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الوقف، وانتشاره في العصر المملوكي"(٢).

وقد بدأ الوقف على المؤسسات التعليمية كما تشير معظم المصادر منذ العصر العباسي وكان في مبدئه معتمدًا علي جهود الواقفين الشخصية، ويقول سليمان عبدالله أبو الخيل: "ثم بدز التوسع في إنشاء المدارس معتمدًا على الأموال الموقوفة، ففي عهد الدولة العباسية رغم كثرة الدواوين التي وصلت إلى ثلاثين ديوانًا لم يكن بينها ديوان يختص بالتعليم؛ وذلك لأن النشاط التعليمي كان يعتمد أساسًا على الأموال الموقوفة، بل يذهب بعض الباحثين إلي أن كل مؤسسات التعليم التى أنشئت في ذلك الوقت كانت قائمة على الوقف" . ثم يورد أبو الخيل أمثلةً عدةً لذلك، لأزمنة وأماكن مختلفة . ومن أمثلة هذه المدارس المدرسة المستنصرية التى أسسها المستنصر بالله العباسي سنة ٦٣١هـ، وأوقف عليها وقفًا جليلا من مال وعقار.. «ومن النماذج على انتشار المدارس والوقف عليها في عصور الإسلام ما حصل في الدولة الرسولية التي حكمت اليمن، حيث إن المدارس في عهد من سبقهم أصابها الركود، وبعد ظهورها أصبحت مشاعل هداية ومقصدًا لطلاب العلم والمعرفة من أنحاء البلاد اليمنية وغيرها من البلدان المجاورة، حتى أصبحت زبيد ثالث المدن العلمية في الجزيرة بعد مكة والمدينة، مما جعل

(١) جنيد ....، الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ١٦.
(٢) أمين.... الأوقاف وأثره في تنمية موارد الجامعات، ص ٤٧ - ٥٠.

العلماء يفدون إليها بعد فراغهم من الأخذ عن علماء مكة والمدينة.... ومن النماذج على انتشار المدارس القائمة على الوقف ما أورده بعض المؤرخين أنه فى عام ٩٢٧هـ وقف بدمشق ما يقرب من ثمانمائة من دور القرآن الكريم والحديث والمدارس، وما يتعلق بها من الربط والمساجد والجوامع من الأوقاف. وسبق نقل كلام ابن خلدون عن آراء الترك في دولتهم، وأنهم استكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط، وأوقفوا عليها الأوقاف المغلة، وذلك لما فيها من الجنوح إلى الخير والتماس الأجور في المقاصد والأفعال، فكثرت الأوقاف، وعظمت الغلات، وكثر طلاب العلم ومعلموه بكثرة جرايتهم منها، وارتحل إليها الناس في طلب العلم وزخرت بحارها. وفي المغرب كثير من المدارس التي كانت أوقافًا خاصة وفيها مساكن معدة لسكنى الوافدين من طلبة العلم... هذا ما يتعلق بوقف دور العلم ومؤسسات التعليم، ويدل انتشارها على عناية بالحركة العلمية ومؤسساتها فى العصور السابقة"(١).

ولقد كان للمكتبات دورها الرئيس في دعم هذه الحركة العلمية، وصنع تلك الحضارة الإسلامية الشامخة، وخاصة في زمن الدولة العباسية، فقد كانت هي الأساس الذي مد العلماء والطلبة بما يحتاجون إليه من معارف ومعلومات، حيث بلغت محتوياتها حدا كبيرًا بمقاييس ذلك العصر، وكانت تقدم خدماتها للمستفيدين بأرقى وأكمل وجه ممكن، حيث كانت تعتمد على معونات وهبات المحسنين التي تمثل جلّها في الوقف. يقول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: "وكانت في معظم المساجد مكتبات، كما كان في معظم المدن دور عامة للكتب، تضم عددًا كبيرًا منها، وكانت مفتحة الأبواب لطلاب العلم. وكان في مدينة الموصل عام ٩٥٠ (ميلاديًا) مكتبة عامة أنشأها بعض المحسنين، يجد فيها من يؤمونها حاجتهم من الكتب والورق. وبلغت فهارس الكتب التي اشتملت عليها مكتبة الرّي العامة عشر مجلدات. وكانت مكتبة البصرة تعطي رواتب وإعانات لمن يشتغلون فيها من الطلاب، وقضى ياقوت الجغرافي في مكتبتي: مرو، وخوارزم ثلاث سنين يجمع المعلومات التي يتطلبها كتابه معجم البلدان. ولما أن دمر المغول بغداد كان فيها ست وثلاثون مكتبة عامة، فضلا عن عدد لا يحصى من المكتبات الخاصة، ذلك أنه كان من العادات المألوفة عند الأغنياء أن يقتني الواحد منهم مجموعة كبيرة من الكتب... وكان عند بعض الأمراء كالصاحب بن عباد من الكتب بقدر ما في دور الكتب الأوروبية مجتمعة. ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم. اللهم إلا

---

(١) أبو الخيل،... الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات، ص ٤٧ - ٥٠.

في بلاد الصين في عهد منج هوانج ـ ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون: الثامن، والتاسع، والعاشر، والحادي عشر (الميلادي). ففي هذه القرون الأربعة بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية"(١).

٣/١/٣ - وفرت الجهد والوقت والمال للباحثين

كان للوقف والمكتبات الوقفية دور كبير في مساندة ودعم جهود الباحثين عبر توفير المصادر من كتب ومعلومات، وأحيانا من خلال الدروس والمناقشات العلمية كما يحدث في مكتبات المساجد، أو عبر المساندة المادية بتوفير السكن والمعيشة لهم؛ ليتفرغوا لطلب العلم، يقول يحيى جنيد: "وقد انتشرت خزائن الكتب الوقفية في أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري، لدرجة أننا قلّما نجد مدينة تخلو من كتب موقوفة وأصبحت هذه المكتبات بما فيها من كتب وقفية قبلة لطلاب العلم تعينهم على التزود بكل جديد، وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء المدونة لمؤلفين من أصقاع العالم الإسلامي، وقد بلغ من انتشارها وتوافرها في الأندلس أن أبا حيان النحوي كان يعيب على مشتري الكتب، ويقول: الله يرزقك عقلا تعيش به، وأنا أى كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف. وللتدليل على ضخامة عدد المكتبات الوقفية وشيوعها نشير إلى أنه كانت فى مدينة مرو الشاهجان عشرة خزائن للوقف، وذلك في القرن السابع الهجري"(٢). ويضيف: "ويبدو أن كثيرا من الأعمال المشهورة التي كانت في حوزة علماء كبار كانت تستقر بشكل أو بآخر في مكتبات الوقف... وكانت مكتبات الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وراء حركة الازدهار الفكري الثقافي التي شهدها العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة، فقد اعتمد عليها علماء مشاهير في وضع مصنفاتهم، من مثل ياقوت الحموي الذي يشير إلى استفادته من خزائن كتب مرو الشاهجان، حيث يقول:" وأكثر فوائد هذا الكتاب (يقصد معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن"(٣).

وقد تجاوزت سمعة هذه المكتبات والندوات العلمية التي تعقد فيها حدود العالم الإسلامي لتكون هدفًا ومطمحًا لطلاب العلم من الخارج، يقول ربحي عليان: "وتقول المصادر أن الطلاب غير المسلمين من إنجلترا واسكوتلندا وبقية أوروبا كانوا يقصدون

(١) ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج ٢، مج ٤، بيروت: دار الجيل، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٢) جنيد .... الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ٣٣.

(٣) السابق.... ص ٣٤.

هذه الجلسات التي كانت تُعْقَد في جامع طليطلة الذي كان يضم مكتبة غنية اشتهرت كمركز للثقافة الإسلامية، وكانت هناك مجموعات ضخمة من الكتب في مختلف فروع المعرفة في كل من الحرم المكي والمسجد النبوي، غذاهما المسلمون بالكتب على مدى العصور، أما الجامع الأزهر فيعتبر أقدم جامعة في العالم، وكان يضم - ولا يزال - مكتبة غنية بثمرات العقول، والشيء نفسه لجامع الزيتونة في تونس"(١).

وقد كان الإنفاق على العلم والكتب والمكتبات وسيلة لنشر مذهب معين أو تغييره، وأوضح الأمثلة على ذلك نشر الفاطميين للمذهب الشيعي في شمال إفريقيا، وجعلهم مصر منارة لذلك، ومن بعدهم كانت جهود الأيوبيين لاستعادة المذهب السني. يقول ربحي عليان: "وإذا أتينا إلى مصر زمن الخلافة الفاطمية وجدنا اهتماما منقطع النظير بالعلم والكتب والمكتبات، ذلك أن الدعوة الفاطمية قامت على العلم"(٢).

وعن الطريقة التي قضى بها صلاح الدين الأيوبي على المذهب الشيعي واستعادة المذهب السني نجد أن الوقف لعب دورًا رئيسًا فى ذلك، يقول محمد أمين: "ويتفق هذا الاستنتاج مع الحكم العام الذى يمكن أن نطلقه بصفة عامة على أوقاف صلاح الدين، وهو القول بأن صلاح الدين اتخذ من نظام الأوقاف سبيلا لتدعيم حكمه السياسي، بعد أن قضى على حكم الفاطميين الشيعة، وأعاد مصر إلى حظيرة المذهب السني، وكان هدف صلاح الدين الأساسي من إنشاء المدارس في مصر هو تدعيم المذاهب السنية ونشرها في مصر، والبعد عن المذهب الشيعي، ووجد صلاح الدين أن الوقف على هذه المدارس، وعلى عمارتها، وفقهائها، وطلبة العلم بها، فيه ضمان لاستمرار هذه المدارس في أداء رسالتها، وتحقيق الهدف من إنشائها"(٣).

ولايقتصر اهتمام الوقف على النواحي المادية لطلبة العلم، بل تعدى ذلك إلى النواحي الاجتماعية بالاعتناء بسكنهم ومعيشتهم، ويرقى ذلك إلى تحقيق رغباتهم الشخصية، سواءً في المعيشة أو طريقة الدراسة، سعيًا وراء تفرغهم للدراسة والبحث والإبداع. تقول سحر الصديقي: "وبذلك فتح الوقف الباب أمام كل الفئات، مهما كان المستوى الاجتماعي والاقتصادي للتزود من العلم والمعرفة، فوفَّر نفقات كبيرة ومتنوعة لا يقدر على تحملها إلا فئة قليلة في المجتمع: فهناك نفقات التعليم والحصول على الكتب، ونفقات السفر، ونفقات الإقامة، ونفقات الأكل والشرب واللبس والعلاج لطالب العلم.

---

(١) عليان.... المكتبات في الحضارة الإسلامية، ص ١١٦.

(٢) السابق..... ص ١٢٢.

(٣) أمين.... الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر، ٦٥، ٦٦.

ومن مظاهر العدالة الاجتماعية في التعليم التي وفرتها الأوقاف أن اشتملت الدراسة فيها على قسمين: قسم داخلي للغرباء الذين لا تساعدهم أحوالهم المادية أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وهو بالمجان، فيهيأ للطالب الطعام، والنوم والاستذكار، والعبادة، وقسم خارجي لمن يريد أن يعود في المساء إلى بيت أهله وذويه، وتضيف: ومن مظاهر الرعاية ما توفره تلك المؤسسات من الإرشاد النفسي، والأكاديمي لطلاب العلم على أيدى علماء تلك المؤسسات مشتملة على الأخلاق، والواجبات، والجوانب الخاصة باختيار العلوم التي يدرسها الطالب، وأيضًا اختيار الشيخ الذي يتعلم على يديه؛ وبالتالي يؤدى ذلك إلى مزيد من الترغيب للمقتدر، ومزيد من التمكين والدعم لغير المقتدر"[١].

٤/١/٣ - من صور التكافل الاجتماعي الراقي بين المسلمين

حفلت قصة الحضارة الإسلامية عبر تاريخها بنماذج رائعة من صور التعاون والتكافل بمساعدة المعوزين والمحتاجيم، وكانت تلك الصور عبارة عن عربون وفاء للمدن أو المجتمع، وأحيانا تتبع من الإحساس بالمسئولية ولسد الخلل والنقص الحادث فيه، وربما شحذ تلك الهمم عنصر التنافس مع المدن والأمم المجاورة للتقدم عليها وحيازة قصب السبق في مجال العلم والتعلم، فسخت أنفسهم ببذل الأموال طيبة بها نفوسهم، ينشئون الأوقاف للفقراء والمساكين وأبناء السبيل والمرضى، وفي مجال العلم يتبرعون بذخائرهم لفائدة الفرد والمجتمع، فيوقفون الكتب وينشئون المكتبات. ومن الملاحظ أن الأوقاف في الحضارة الإسلامية كان معظمها بمبادرات فردية.

يقول عباس طاشكندي: "ولم نعرف عبر تاريخ العالم الإسلامي منذ نشوء دولة بني أمية وبني العباس حتى عهد متأخر أن تعمير المساجد وبناء المدارس والمعاهد، وإقامة الأربطة ودور الأيتام والمشافي، وتشييد المكتبات العامة والخاصة هي من مسئوليات الدولة بقدر ما كانت مسئولية إقامة تلك الهيئات جزءًا من مسئوليات الأفراد تجاه مجتمعاتهم، يثرون بتلك الالتزامات روابطهم بالمجتمع، وتعمق تحقيق التكافل المطلوب بين الأفراد القادرين والأفراد المحتاجين من شرائح المجتمع، يبتغون مرضاة الله ورضوانه، وعملا صالحًا متواصلا يسري مسرى الصدقة الجارية"[٢]. والمقصود بالصدقة الجارية هنا الوقف. ويمثل عباس طاشكندي لواحدة من تلك الصور بواقع المكتبات الوقفية في الحرمين الشريفين، فيقول: "والمكتبات الوقفية في المملكة العربية

(١) الصديقي...، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ١٦، ١٧.

(٢) طاشكندي...، دور القطاع الخاص في دعم المكتبات الوقفية، ص ٦٣٨.

السعودية هي جزء من الصورة التي سادت المجتمعات الإسلامية بعامة والعربية خاصة، إذ استأثرت المدن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبخاصة الحرمين الشريفين حين ظلا طوال التاريخ الإسلامية - وسيظلان إلى حين يرث الله الأرض ومن عليها - مركز إشعاع واستقطاب، لاهتمام الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء ورجال العلم والأثرياء من مناطق العالم الإسلامي كافة. وتوافرت نتيجة ذلك الاهتمام عدد من المكتبات الوقفية الملحقة بالحرمين الشريفين أو بالمدارس المحيطة بهما أو الربط المجاورة لهما، فضلا عن توافر العديد من المجموعات الخاصة التي أوقفت ضمن مجموعات المكتبات الوقفية في سائر أنحاء المملكة العربية السعودية"[١]. وعن مدى تأثير الوقف في المجتمع وعلى أصعدة مختلفة يقول عبدالله العويسي: "كما أن الوقف خلَّف آثارًا نظرية، كذلك ظهرت آثاره العملية من خلال المجالات المتنوعة والمتعددة التى شملت جوانب الحياة الاجتماعية، فقد نهض الوقف برسالة ضخمة في إقامة المؤسسات الخيرية ورعايتها، وبرزت أهميته بوجه خاص في توفر الرعاية الاجتماعية للطبقات الضعيفة والفقيرة، ولكل محتاج إلى العون والرعاية، كابن السبيل، وطالب العلم، والمريض، بل اتسع نطاقه ليشمل أوجه الحياة الاجتماعية. وتكاثرت الأوقاف وتنوعت تعبيرًا عن إحساس الواقفين بأن هناك ثغرة في المجتمع لا بد أن تستر، أو منكرًا يجب أن يزول، أو معرورفًا مهملا يحب أن يراعى"[٢]. ويذهب عبدالله العويسي إلى أن الهدف من إنشاء الوقف هو لدوافع معينة تنتهي بتحقيق النفع للفرد عن طريق خدمة مجمتعه، فيقول: "أما ما يهدف إليه بصفة خاصة فهو استثمار الدوافع الذاتية لدى الإنسان بناء على ما جبل عليه، كالرغبة في الثواب، أو التكفير عن الخطأ، أو الشعور بالمسئولية، أو علاقة الرحم والقرابة، أو بناء على ما يعرض له كعدم وجود الوارث، أو الاغتراب، أو الرغبة في الحفاظ على ما يملك والإبقاء عليه في ذريته، فيكون الواقف محققًا لما يطمح إليه الإنسان بوجود الحافز، أو الدافع الذاتي، وإتاحة الفرصة له للتعبير عن ذلك الدافع بطريقة برٍّ صحيحة تعود عليه بالنفع في آخرته، وتنفع مجتمعه"[٣]، ويضيف: "فتنوعت الأوقاف بحسب الحوائج الناشئة في المجتمع، وأدى دورًا رئيسًا في نشر التربية والتعليم والتقدم العلمي، وكان السبب الرئيس لأغلب الإنجازات العلمية والحضارية في تاريخ الإسلام، وكان لمؤسساته أثرها الفعَّال في عملية التطور والنمو

(١) السابق.... ص ٦٤٢.

(٢) العويسي.... الوقف مكانته وأهميته الحضارية، ص ١٤.

(٣) السابق.... ص ١٠.

الاقتصادي في مختلف عصور الإسلام... فأمد المؤسسات الاجتماعية بالموارد المالية التي تعينها على أداء رسالته الإنسانية النبيلة، حيث تحقق أهدافها المباشرة، وتحقق بها التنمية الاقتصادية، إذ هي نتيجة غير مباشرة لكل هدف اجتماعي أقيم له وقف، لقد كانت الأوقاف حجر الأساس الذي قامت عليه كل المؤسسات الخيرية التي ظهرت في ديار المسلمين"[١].

٣/١/٥ - طريق للعمل الخيري، وتخليد للذكر الحسن

أتاحت الشريعة الإسلامية طرقًا ووسائل متعددة للمساهمة في العمل الخيري ومساعدة المعوزين والمحتاجين، فتم فرض الزكاة، وهي من أركان الإسلام وواجبة على الأغنياء، وذلك بهدف سد حاجة الفقراء، وفرض الكفارات التي تعطى للفقراء والمساكين أيضًا، ثم رغب في الصدقات بأنواعها المادية والمعنوية للجميع أغنياء وفقراء، وهي غير إلزامية وغير محددة بزمن أو مبلغ معين، ووعد بالجزاء الجميل عليها عاجلاً وآجلاً. وبناء عليه تسابق المسلمون في هذا المضمار على مدى القرون، كل بحسب رغبته وقدرته، وكان من ضمن هذه المجالات مجال الوقف، الذى كان للجميع شرف المساهمة فيه سواء كانوا حكامًا أو محكومين، أفرادًا وجماعات، رجالا ونساء. وفي الشواهد التي مرت سابقا ما يغني عن إيراد المزيد.

ومن الجميل في الوقف أنه يخلد اسم صاحبه على مدى قرون طويلة، ويظل ذكر صاحب الوقف قائمًا على مدى السنين ولا يذكر منه إلا الجميل من صنعه ومعروفه، فبئر عثمان رضي الله عنه التي تصدق بها على المسلمين في المدينة المنورة لا زالت حاضرة إلى يومنا هذا، معروفة باسمه، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت كذلك، ومكتبة مظهر خلدت اسم الأسرة، وفي دمشق جامع الأمويين شاهد على ذلك، وفي فاس جامع القرويين، وفي مصر الأزهر خلد اسم الفاطميين، وغير ذلك كثير جدًا.

٣/٢/٠ - سلبيات المكتبات الوقفية:

لا يخلو عمل ولا مجال مهما تعددت حسناته من السلبيات، هذا بالرغم من أن وقف الكتب والمكتبات مجمع على أنه من أفضل أعمال البر والخير. والسلبيات حقيقة لاتقارن بالفوائد والمزايا التي يحققها هذا العمل، ويؤكد على هذا المعنى على النملة بعد سرده لعدد من الصعوبات التي تعترض وقف الكتب والمكتبات: «والملحوظ أن هذه الصعوبات التي تعترض وقف الكتب أو الوقف عليها لا ترقى إلى أن تحول دون

(١) السابق.... ص ٣، ٤.

الاستمرار في هذا النهج الحضاري المطلوب دائمًا في سبيل نشر الكتاب بين مريديه والمستفيدين منه، مما ينعكس إيجابًا على العلم والفكر والثقافة... ذلك أنه مع الصعوبات التى تعترض وقف الكتب والمكتبات، يظل هذا الأسلوب الحضاري من أهم الموارد التي تعين على بناء المكتبات»[١]. وقد أورد في مقالة نشرت له ضمن فعاليات (ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية) إحدى عشرة مشكلة اعتبرها المعوقات السلبية التي تواجه وقف المكتبات، وهي إجمالا:

١ - الوعي بالوقف.

٢ - الإعراض عن الوقف.

٣ - الجهل العلمي.

٤ - شرط الواقف.

٥ - الإجراءات الفنية.

٦ - النُّظُم والضوابط.

٧ - عزل الكتب.

٨ - السرقة.

٩ - البيع.

١٠ - الكوارث.

١١ - التقانة.[٢].

ويعزو يحيى جنيد السلبيات التي تواجه الكتب والمكتبات الوقفية إلى ثلاثة أسباب في مرحلة الانفراط، والتي يقول عنها: «وهي التي شهدت تدهور أوضاع المكتبات بتخريبها وتدميرها والسطو عليها وسوء إدارتها والتفريط في تحمل أمانتها. ففي هذه المرحلة واجهت أغلب الكتب والمكتبات الوقفية مصيرًا مؤلمًا ينم عن جحود ونكران المجتمعات التي قامت فيها، ذلك لأن أغلب ما حل بها من تفريط مصدره أفراد أو جماعات استفادت هي أو استفاد أسلافُها من محتوياتها، إضافة إلى أن بعضها نكب من جراء الغزو الخارجي أو بفعل الكوارث الطبيعية، خاصة الحرائق»[٣].

والأسباب الثلاثة التي يراها هي:

---

(١) النملة.... أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوقات دوام الإفادة منها، ص ٥٦٦.

(٢) السابق.... ص ٥٥٢ - ٥٦٤.

(٣) جنيد.... الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ١٧٢.

١ - الفتن والقلاقل والتغيرات السياسية

ولعلها كانت أكبر عنصر شر استغل في القضاء على البنية الثقافية العربية، وعلى رأسها تدمير المكتبات، فكان النهب والسلب والسرقة والحرق من الطرق التي كان المشاركون في الفتن أو عامة الناس من الجهلاء يلجأون إليها في التعامل مع الكتب والمكتبات.

٢ - استغلال الكتب الموقوفة ونهبها من قبل بعض العلماء

والمؤسف في الأمر أن بعض رجال العلم قد ساهموا في تدمير بنية المكتبة العربية التي شيدت علي الوقف العام، ونهبوا نفائسها للاستئثار بها لأنفسهم وحجبها عن عامة القراء.

٣ - تفريط المشرفين علي المكتبات وسوء إداراتهم

وكان لبعث المشرفين على المكتبات والكتب الوقفية دور مباشر في خلخلة بنيتها والإساءة إلى هدفها السامي، وذلك عن طريق التهاون في أداء الرسالة الموكلة إليهم، أو المشاركة في استغلال محتوياتها عن طريق تسهيل سطوها ونهبها أو إعارتها دون ضمان لبعض المتنفذين رغبة في الوصول إلى أغراض دنيوية عن طريقهم[١].

وهذا البحث يذهب إلى أن أهم السلبيات التي تواجه المكتبات الوقفية يمكن إجمالها تحت ثلاثة عناصر أساسية، هي:

١/٢/٣ - شرط الواقف بين السلبية والإيجابية

إذ قد يضع الواقف شرطا أو شروطا لا تتماشى مع النظام أو بيئة العمل، مما قد يؤثر فى حصول المنفعة المرجوة من هذا المشروع الخيري، وهذه يمكن معالجتها بالرجوع إلى الجهات المختصة بالإشراف على الأوقاف ومعالجتها؛ ذلك لأن فقه الشريعة الإسلامية حافل بالأحكام والتشريعات، تجيز تعديل الشروط والأحكام بما يحقق الفائدة المرجوة من الوقف، وبما يتماشى مع شروط الواقف؛ ولذلك أجاز الفقهاء نقل الوقف عند خراب الحى أو البلدة إلى مكان آخر تتحقق المنفعة فيه، وتم استحداث الحكر وغيره من الأحكام بما يخدم استمرار الوقف وعطائه.

ويعبر علي النملة عن ذلك فيقول: "وشرط الواقف، وهو مُعتَبَر شرعًا قد يكون عقبة في الإفادة من الكتاب أو الكتب الموقوفة، ولا سيما إذا كان الشرط بتعارض مع

(١) السابق...، ص ١٧٢ - ١٧٩.

النظرة الفنية لتنظيم المجموعات، إذ قد يشترط الواقف عزل الكتب عن بقية المجموعات الأخرى، وإفراد المكتبة الموقوفة بزاوية خاصة، وربما شرط أن يكون الاطلاع عليها مقصورا على فئة علمية محددة، إما بالعمل أو الجنس أو الانتماء الثقافى. وهذا يحد من الإفادة منها إفادة فاعلة، ولا سيما إذا علمنا أن وقف الكتب يمكن أن ينظر إليه على أنه من العلم الذي ينتفع به. وهذا هو مراد الواقف منه، إذ أنه يبحث عمن يستفيد من هذه الكتب التي أفاد منها هو في حياته، أو في فترة من فترات إقباله على القراءة، فلمَّا أحس أنه أعرض عنها لأى سبب، لم ينس أن هناك من يقبل عليها، فأتاحها للآخرين بوقفها عليهم"(١).

وما يعتبره البعض من أن شرط الواقف قد يكون عنصرًا سلبيًا في حق الوقف، قد يكون عنصرًا إيجابيًا في الحفاظ على الوقف واستمرار المنفعة منه، إذ أن الواقف عندما تصدق بهذا المال وحبسه في سبيل الله وخدمة الأفراد والمجتمع كان حريصًا علي الاستفادة الكاملة منه، وهو أدرى بالهدف، والمقصود من حبس هذا المال، والمنافع المرجوة من وراء ذلك، تقول سحر الصديقي: "يتضح لنا كيف أن الواقف اشترط شروطًا على المدرس أصبحت على مر السنين تقليدًا معمولا به، حرصًا على تنفيذ شرط الواقف، حتي ولو لم ينص على ذلك ... ولم يكتف الواقفون بتحديد شروط خاصة للمدرس، فهناك من الواقفين من اشترط كتبًا معينة للدراسة، وهو بذلك يضع الحد الأدنى في التعليم الذى يجب أن يلقنه المدرس لطلابه. ولما كان وقت المدرس لا يسع عادة شرح بعض الدروس لمن يحتاج إلى ذلك من الطلبة، فقد حرص بعض الواقفين على توفير معيد أو أكثر بالمدرسة يساعد المدرس الذى يتبعه في المذهب أو مادة التخصص فى أعماله، ويحضّر الدروس التى يكلفه بها المدرس ليقرأها في أثناء الدرس"(٢). وبناء عليه فإن شرط الواقف غالبًا يخدم الوقف والمنفعة المرجوة منه، وفي أحيان أخرى قد يكون عقبة في سبيل تحقيق المنفعة المرجوة منه. وهذه يمكن معالجتها عبر اللجوء للفقهاء أوالقضاء لإيجاد حل للتوفيق بين شرط الواقف وكيفية تحقيق المنفعة المرجوة من وقفه.

٢/٢/٣ - الكوارث الطبيعية

وهي سنة كونية تحدث على مر الأزمان وفي مختلف البلدان "تتعرض المكتبات الوقفية، مثلما تتعرض غيرها من المكتبات، للعوارض الكونية والكوارث الطبيعية،

(١) النملة.... أوقاف الكتب والمكتبات مدى استمرارها ومعوقات الإفادة منها، ص ٥٥٦ - ٥٥٧.

(٢) الصديقي...، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ١٨.

كالزلازل التي تتعرض لها بعض بلاد المسلمين بين الفينة والأخرى. وقد تعرضت مصر، وهي غنية بالمكتبات الوقفية لهذه الكوارث أكثر من مرة. ويذكر السيد النشار: "أن المكتبات قد تأثرت بالزلازل التي مرت على مصر في العصر المملوكي سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، وما تبعها من فيضانات أتت على المساجد والمدارس والبيوت، وفيها جميعًا مكتبات"(١).

إلا أن هذه الكوارث قد يكون لها جانب إيجابي آخر، فهي جعلت العلماء والفقهاء يدرسونها ليجدوا حلولا للمشاكل والنوازل التي تحدث، وينتج عنها تعطل مصالح الوقف، في مثل حالات الكوارث، أو الكساد. فلا يوجد من يستأجر الوقف فينضب مصدر الدخل؛ ولذلك وجدت حلول عبر استحداث أحكام مثل الحكر وعقد الإجارتين. يقول محمد الفاتح المغربي: "وقد تم اللجوء إلى هذا العقد إثر الحرائق التي شملت العقارات التابعة للأوقاف في القسطنطينية بعد عام ١٢٢٠هـ، حيث عجزت غلاتها من تجديدها وتشوه منظر البلدة، ولا يوجد من يقوم باستثمارها بإجارة واحدة بحيث يتم تعميرها؛ ولذا اهتمت الدولة العثمانية في ذلك الوقت بالبحث عن طريقة تكفل بها المؤسسات الخيرية (الأوقاف) واستمرار عملها من أجل تجديد ما خُرِّب منها، والطريقة هي عقد الإجارتين فاستحدثت هذه الطريقة ووضعت لها أحكامًا وضوابط مستندة في ذلك إلى القاعدتين الفقهيتين تُنزل الحالة العامة منزلة الضرورة (الضرورات تبيح المحظورات). وبذلك أجازت الإجارة الطويلة في الأوقاف خلافًا للقياس لزيادة الحاجة، وتحديد وتخصيص الأجرة السنوية هو لإعلام الناس بأن العقار المؤجر هو عائد للوقف، فلا تكن هناك أى فرصة للمستأجر للادعاء بملكيته للوقف من ناحية، وكذلك لاعتبار تجديد العقد سنويا بدفع الإجارة، فلا يكن هناك مجال للاعتراض على صحة عقد الإجارة، كونها طويلة الأجل"(٢).

٣/٢/٣ - الأخطاء والعديات البشرية

تتعرض المكتبات الوقفية مثل غيرها من المشاريع الخيرية للتعديات البشرية، سواء كانت مقصودة أو غيره مقصودة عبر التفسير أو الفهم الخاطئ لشروط الواقف، وذلك نظرًا لاختلاف الزمان، أو تغير معاني ومفاهيم الكلمات والتعبير بها، وهذه أخطأ تلافيها من خلال الدراسة والبحث.

(١) النملة،... أوقاف الكتب والمكتبات مدى استمرارها ومعوقات الإفادة منها، ص ٥٦٣.

(٢) المغربي، محمد الفاتح، تمويل الوقف واستثماراته، أم درمان: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ٢٠١١. ص ١٥٢.

وقد يكون ذلك عبر أخطاء مقصودة مثل النهب والسرقة، كما حصل من قبل عدد من الأشخاص ذكرت سيرهم في بعض المصادر، أو الحرق مثلما حدث في القسطنطينية عام ١٢٢٠هـ كما ذكر سابقا، وكالحريقين اللذين تعرض لهما المسجد النبوي، وكان من أثرهما حرق المكتبة الموجودة فيه ونهب الكثير من المخطوطات من ممتلكات المسجد في ذلك الوقت، كما سيأتي ذكره لاحقًا بإذن الله، وقد تتجاوز أعمال النهب الأفراد إلى الدول مثلما فعل المغول من إغراق المكتبات في العراق إثر غزوهم لها، وسلب الكثير منها. وكما يذكر بنعلة: "مثلما حدث من أسبانيا باستيلائها على حمولة سفينة من الكتب تابعة للمغرب، ولم يتم استرجاعها إلى اليوم"(١).

٤/٠ - دور المكتبات الوقفية في الحفاظ على المخطوطات بالمدينة المنورة

حفلت المدينة المنورة بالعديد من المكتبات الوقفية التي حافظت علي رصيد جيد من المخطوطات القيمة، سواء كانت مصاحف أو كتبًا. وبالرغم من كل التعديات البشرية والكوارث الطبيعية التي مرّت بها المكتبات الوقية بالمدينة المنورة والتي أرهقتها، إلا أنها لا زالت تحفل بنوادر المصاحف والمخطوطات، التي تمثل مراحل ونماذج الإبداع في مختلف الأقطار الإسلامية، وفيما يلي نورد حصرًا تاريخيًا للمخطوطات فيما قبل عهد الدولة السعودية، ثم نسرد محتويات هذه المكتبات من المصاحف والمخطوطات في الوقت الحاضر.

أشار علي بن موسى في رسالته لوصفه للمدينة عام ١٣٠٣هـ إلى بعض المكتبات الموجودة حينذاك، وذكر أنه يوجد مكتبات كثيرة في سائر المدارس، ولم يذكر عدد الكتب الموجودة في هذه المكتبات وموادها، واكتفى بذكر أسماء ثماني مدارس فقط، وحصرها على النحو التالي: فأما الكتبخانة فواحدة في دار العشرة تجاه بيت النائب المرحوم عارف حكمت بك شيخ الإسلام بالإسلامبول سابقًا، وهي أنظم الكل وأعلاهم، وواحدة للمرحوم أمين ابن شيخ الحرم - أسبق - قرب الشرشورة عند رأس زقاق المديرية، وواحدة للسلطان محمود في المدرسة المحمودية، وواحدة في مدرسة بشير أغا الملاصقة لباب السلام، وواحدة في المدرسة الحميدية جهة الساحة في آخر البلاد عند حارة الخرازة، وواحدة في بيت المرحوم السيد جمل الليل، وواحدة بأحمد بساطي، وواحدة في رباط سيدنا عثمان، وغير ذلك كثير في سائر المدارس، ولكنه بالنسبة إلى ما في هؤلاء فقليل"(١).

(١) بنعلة،... تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، ص ٢٨.

(٢) موسى، الأفندى علي، رسالة في وصف المدينة، مخطوطة مودعة بدار الكتب برقم ١٤٦٦، القاهرة: ١٣٠٣هـ، ص ٢١.

وقد رصد أيوب صبري في كتابه (مرآة الحرمين) باللغة التركية أسماء وعدد الكتب الموجودة بالمدينة المنورة كما يوضحة الجدول التالي[١]:

جدول رقم (١) عدد مكتبات المدينة وما تحويه من كتب ومصاحف لأيوب صبري في عام ١٣٠٤هـ

م	عدد الكتب	البيانات	إيضاحات
١	١٨٠١	المصاحف الشريفة الموجودة بالروضة المطهرة	في المسجد النبوي
٢	٥٤٠٤	الكتب الموجودة في مكتبة عارف حكمت	مكتبة عامة
٣	١٥٨	الكتب الموجودة في مكتبة حاجي أمين باشا	مكتبة خاصة
٤	٢٠٦٣	الكتب الموجودة في مكتبة بشير آغا	مكتبة ومدرسة
٥	١٦٥٩	الكتب الموجودة في مكتبة الحميدية	مكتبة ومدرسة
٦	٠٠٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة جمل الليل	لم يتحقق من عددها
٧	١٠٥٠	الكتب الموجودة في مكتبة البساطي أفندي	مكتبة خاصة
٨	٠٠٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة رباط (سيدناعثمان)	لم يتحقق من عددها
٩	١٢٤٦	الكتب الموجودة في مكتبة فيض الله أفندي	مكتبة خاصة
١٠	١٢٦٩	الكتب الموجودة في مكتبة قرة باش	مكتبة ومدرسة
١١	٥٩٣	الكتب الموجودة في مكتبة ساقزلي	مكتبة ومدرسة
١٢	٤٦١	الكتب الموجودة في مكتبة أرنبود	مكتبة ومدرسة
١٣	١٢٩	الكتب الموجودة في مكتبة الشيخ عبد الغفور	مكتبة خاصة
١٤	١١٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة مظهر	مكتبة رباط
١٥	١٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة حسين آغا	مكتبة خاصة
١٦	١٥٠	الكتب الموجودة في مكتبة فنايرجي	مكتبة ومدرسة
١٧	٢٠٦	الكتب الموجودة في مكتبة ثروت أفندي	مكتبة خاصة
١٨	١٥٧	الكتب الموجودة في مكتبة اكيلي	مكتبة ومدرسة
١٩	٥٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة سليم بيك	مكتبة خاصة
٢٠	٤٥٦٩	الكتب الموجودة في مكتبة المحمودية	مكتبة ومدرسة
	٢٢٦١٥	المجموع الكلي لعدد الكتب	

(١) الصديقي.... أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة. ص ١٩٥ - ١٩٦.

وذكرت سالنامة ولاية الحجاز التي صدرت في سنة ١٣٠٩هـ (١٨٩١/١٨٩٢م) أن بها ثماني عشرة مكتبة، وقد أوردت هذه السالنامة البيان التالي، الذي فصلت فيه عدد المصاحف والكتب التي كانت موجودة حينذاك في الروضة، وفي مدارس المدينة ومكتباتها[١].

جدول رقم (٢) عددالكتب في الروضة ومدارس المدينة ومكتباتها، كما ورد في سالنامة ولاية الحجاز عام ١٣٠٩هـ

م	العدد	النوع
١	١٠٨١	المصاحف الشريفة الموجودة بالروضة المطهرة
٢	٤٥٦٩	مكتبة مدرسة السلطان محمود خان
٣	١٦٦٩	مكتبة مدرسة السلطان عبد الحميد خان الأول
٤	٢٠٦٣	مكتبة مدرسة بشير آغا
٥	١٢٤٦	مدرسة الشفا التي أنشأها فيض الله أفندي شيخ الإسلام الأسبق
٦	١٢٤٦	مكتبة عارف حكمت بك شيخ الإسلام
٧	١٢٦٩	مكتبة مدرسة عمر أفندي قرة باش
٨	٥٩٣	مكتبة مدرسة مصطفى أفندي ساقزلي
٩	١٥٨	مكتبة أمين باشا شيخ الحرم السابق
١٠	٤٦١	مكتبة مدرسة مصطفى أفندي المسماة بالإحصائية
١١	١٢٩	مكتبة الشيخ عبد الغفور أفندي البخاري
١٢	١١٠٠	مكتبة تكية الشيخ مظهر أفندي
١٣	١٠٠	مكتبة مدرسة حسين آغا ناظر التكية المصرية السابق
١٤	١٠٠	مكتبة مدرسة أمين أفندي الفنايرجي
١٥	٢٠٦	مكتبة محمد ثروت أفندي
١٦	١٠٥٠	مكتبة أحمد البساطي
١٧	١٥٧	مكتبة مدرسة الكيلي الناظر
١٨	٥٠٠	مكتبة سليم بك
	٢١٨٥٥	المجموع

(١) السابق.... ص ١٩٦ - ١٩٧.

وتقول سحر الصديقي: "ووجدتُ أن هناك من تناول مكتبات المدينة، فذكر أنها ثلاثًا وخمسين مكتبة إضافة إلى ما أشير فيما سبق منها، تحت اسم مكتبات مدرسية وهي: مكتبة مدرسة الشونة بحارة الأغوات، ومكتبة مدرسة ثروت باشا بزقاق الزرندي بحارة الأغوات، ومكتبة مدرسة العلوم الشرعية، ومكتبة مدرسة التجويد والقراءات بحارة الأغوات، ومكتبة البوشناق خارج باب المجيدي، ومكتبة مدرسة زقاق الشرجية بالساحة، ومكتبة مدرية الصادقية، ومكتبة مدرسة ثروت.

ومنها تحت اسم أربطة وهي: مكتبة رباط السنود بحارة الأغوات، ومكتبة رباط الهنود، ومكتبة رباط العجم، ومنها ما ذكره تحت مسمى مكتبة، وهى مكتبات مدرسية: مكتبة الكشميري بذروان بحارة الأغوات، ومكتبة أمين أفندي بورسلي بحارة الأغوات، ومكتبة الموقتية بحارة الأغوات، ومكتبة أزبك بحارة الأغوات، ومكتبة أمان الله خوجه السمرقندي خارج باب المجيدي، ومكتبة دار الأيتام، ومكتبة دار الحديث.

ومنها ما كان مكتبات خاصة، وهي: مكتبة خوشبيقي بحارة الأغوات، ومكتبة تكية أمير بخارى خارج باب المجيدي، ومكتبة طاهر إيشان، ومكتبة أمين باشا بين باب الرحمة وباب المجيدي، ومكتبة نورد الدين باي، ومكتبة آل المدني، ومكتبة آل هاشم، ومكتبة عبدالباقى الأيوبي الأنصاري، ومكتبة عابدين أفندي التركي، ومكتبة الشيخ الوزير، ومكتبة الأمير طوسون باشا، ومكتبة أمين باشا، ومكتبة الخوقندية، ومكتبة الخياري، ثم وجدت آخرَ عدَّها ثلاثًا وأربعين مكتبة، كما أن باحثًا آخر حصر عدد المكتبات العامة والخاصة بالمدينة المنورة فى بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه، فأوصلها إلى خمس وتسعين مكتبة[١].

وعندما زار شكيب أرسلان المدينة المنورة عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، اطلع بها على سبع عشرة مكتبة، وقدَّم وصفًا موجزًا لكل منها، فقال: أشهر المكتبات العمومية في المدينة المنوة وأجملها وأبدعها نظامًا، مكتبة المرحوم عارف حكمت بك شيخ الإسلام، فإنها لا تقل عن سبع عشرة مكتبة عمومية، مشرعة الأبوب للطلبة والنسَّاخ والمطالعين، نجد المجاورين يقتبسون من أنوارها، ويعيشون من كل حدب إلى ضوء نارها، وأهم مكتبة بعد مكتبة عارف حكمت هى المكتبة المحمودية المنسوبة إلى المرحوم السلطان محمود العثماني، وهي بجانب الحرم الشريف أيضًا إلى الغرب، كما أن مكتبة عارف حكمت هى منه إلى القبلة، ثم المكتبة الحميدية المنسوبة إلى السلطان عبدالحميد الأول رحمه الله،

(١) السابق.... ص ١٩٨.

ثم مكتبة بشير أغا، وهي مهملة نوعًا ما، ولا يجدها الإنسان مفتوحة الأبواب كلها كغيرها من دور الكتب، ثم مكتبة الصاقزلي (الساقزلي)، وهي شبيهة من هذا الوجه بمكتبة بشير أغا، ثم مكتبة العرفانية، وهي أشبه بما تقدمها، ثم مكتبة أمين باشا، وهي من أبدع المكتبات وأنفسها ترتيبًا، مشرعة الأبواب كل يوم إلى آخر النهار، وهي ثالثة ثلاثة مع المكتبة المحمودية والمكتبة العارفية، ثم مكتبة رباط سيدنا عثمان ﵁، ثم مكتبة ناظر الكلية، وهى مهمة تفتح أبوابها مرتين كل شهر، ثم مكتبة مدرسة ثروت، وهي قريبة الحال من التي تقدمتها، ثم مكتبة مدرسة قرة باش، وقد سرت إليها عدوى الإهمال، وطار إليها غبار السنين من جارتها...، ثم مكتبة حسين أغا، وهي دار كتب صغيرة مختصة بمدرسة حسين أغا منتظمة مفتوحة كل يوم، ثم مكتبة مدرسة إحسان، وهي مفتوحة أبدًا، ثم مكتبة الشيخ أحمد (البساطي)، وهي في بيت هذا الشيخ تحت نظر ولده محمد حسن أفندي، مشرعها جار لكل وارد، ثم مكتبة حوش العريضة في بيت السيد جمل الليل، وهي وقف على المستفيدين أيضًا، ثم مكتبة مظهر، وهي في تكية الشيخ مظهر بسكان التكية[١].

١/٤ - محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المخطوطات حاليًا

وبداية نرصد ما كان موجودًا من المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في بدايات العهد السعودي، فنجد أن عددًا من مؤرخي المدينة المنورة في العصر الحاضر قد رصدوا المكتبات المختلفة بالمدينة، والتي كانت لا تزال قائمة بالمدينة المنورية فى بدايات العهد السعودي، ومعظمها كان مكتبات خاصة سواء كانت وقفية أو غير وقفية، وهو أمر يؤكد مدى حرص أهل المدينة على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات، ومعظم هذه المكتبات كان وقفيًا، وبعضها كان خاصًا أو تابعًا لمدرسة، ثم تحول برغبة أصحابها إلى مكتبات وقفية، ومن ذلك ما رصده علي حافظ في كتابه (فصول من تاريخ المدينة) عند رصده للمكتبات بأنواعها المختلفة في بداية العهد السعودي الحاضر، فيقول: "يوجد في المدينة المنورة مكتبات لبعض المدارس لم تضم للمكتبة العامة، كما توجد مكتبات خاصة لأهل المدينة المنورة فيها نفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة نذكرها معتمدين على إحصاء لم يصل إلى درجة الحصر، وهي:

١ - مكتبة مدرسة ذوران، تحت نظارة آل المدرس.

٢ - مكتبة المدرسة الحميدية قرب حوش الجمال، تحت نظارة آل توفيق.

---

(١) السابق.... ص ١٩٨ - ١٩٩.

٣ - مكتبة مدرسة العلوم الشرعية قرب المسجد النبوي في شارع الملك عبدالعزيز، تحت نظارة السيد حبيب محمود.

٤ - مكتبة دار الحديث قرب باب بصري، تابعة للجامعة الإسلامية.

٥ - مكتبة الجامعة الإسلامية في سلطانة بالجامعة.

٦ - مكتبة دار الأيتام (دار الرعاية الاجتماعية) في باب المجيدي، قرب ميدان المسجد النبوي.

٧ - مكتبة آل صافي، بدارهم في الساحة.

٨ - مكتبة آل هاشم، بدارهم.

٩ - مكتبة آل المدني، بدارهم.

١٠ - مكتبة آل سعد، بدارهم.

١١ - مكتبة آل البساطي في زقاق المحكمة القديمة، قرب حوش الجمال.

١٢ - مكتبة آل الخياري، بدارهم.

١٣ - مكتبة الشيخ عبدالباقي.

١٤ - مكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، لدى ابنه الشيخ سعيدشلبي.

١٥ - مكتبة المدرسة الثانوية في ميدان العنبرية

١٦ - مكتبة آل الفقيه بدارهم، لدى الشيخ جعفر فقيه.

١٧ - مكتبة آل الداغستاني، لدى الشيخ عبدالحميد داغستاني ابن الشيخ محمد داغستاني رحمه الله.

١٨ - مكتبة آل البرزنجي، بدارهم في باب المجيدي.

١٩ - مكتبة الشيخ محمد المختار (الجتكي) الشنقيطي، بدارهم بباب الكومة.

٢٠ - مكتبة الشيخ محمد الأمين (الجنكي) الشنقيطي، بداره.

٢١ - مكتبة آل البري.

٢٢ - مكتبة السيد محمود أحمد والسيد حبيب أحمد، بدارهم في العنبرية.

٢٣ - مكتبة الشيخ محمد الخضري الجكني، بداره في حوش وردة بزقاق الطيار.

٢٤ - مكتبة الشيخ أحمد البساطي، لدي ابنه محمود.

٢٥ - مكتبة السيد عبيد المدني، بداره في شارع الجامعة الإسلامية.

٢٦ - مكتبة السيد أمين مدني، بداره قرب ثنية الوداع.

٢٧ - مكتبة الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري.

٢٨ - مكتبة علي حافظ وعثمان حافظ"(١).

ونلاحظ من خلال ما سبق تنوع المكتبات التي ذكرها على حافظ، ما بين الوقفية وغير الوقفية، وأنها لم تشمل جميع لمكتبات بالمدينة المنورة، وبعضها يتبع مؤسسات تعليمية ومعظمها خاص، ولا زال بيد أصحابه، ومنها مكتبة رقم ٢٢ مكتبة السيد حبيب التي تم إنشاء مبنى كبير لها بجوار جبل أُحد، وهي وقفية عامة ومفتوحة للجميع. وأورد في رقم ٢٣ مكتبة الشيخ محمد الخضري الجنكي الشنقيطي، بداره في حوش وردة بزقاق الطيار، وقد انتقلت إلى دار ابنه محمد الأمين بالكتبية في بداية طريق قباء. وكان سفيرًا للأردن في السعودية حينها - ثم ضمَّ إليها مكتبته، وأوقفهما في مكتبة الملك عبدالعزيز. وكذلك مكتبة آل صافي، بدارهم في الساحة رقم (٧)، ومكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، لدى ابنه الشيخ سعيد شلبي رقم (١٤) هما من المكتبات الوقفية المدمجة في مكتبة الملك عبد العزيز أيضًا. وتظل مكتبة مدرسة العلوم الشرعية من مكتبات المدارس الوقفية القليلة الباقية إلى يومنا هذا.

وسنقتصر هنا على رصد المكتبات التي تحوي المخطوطات فقط، حيث إنه توجد مكتبات وقفية حديثة، ولكنها لاتحتوي على أي من المخطوطات، فهي خارج نطاق هذا البحث.

وقد كان لأمر الملك سعود بن عبدالعزيز بإنشاء المكتبة العامة بالمدينة المنورة للمحافظة على ما يمكن جمعه من المكتبات الوقفية - دور أساسي ساهم في الحفاظ علي ما تبقى من المصاحف والمخطوطات والذخائر، بعد الكوارث الطبيعية والتعديات البشرية التي تعرضت لها، وكان حاسمًا في الحفاظ على ما تم من إهداء لمكتبات المدينة ومدارسها وأربطتها الوقفية. وعن مكتبة المدينة المنورة العامة هذه وما حوته من المكتبات الوقفية التي تم تجميعها فيها يقول علي حافظ: "مكتبة المدينة المنورة العامة: أسستها الحكومة السعودية سنة ١٣٨٠هـ. وأنشأت مبناها في جنوب المسجد النبوي بجوار المحكمة الشرعية وفي شرقها، يفصل بينها وبين المسجد النبوي شارع. وتشتمل على (١٤٧٤٨) كتابا بين مخطوط ومطبوع، وقد أنشئ المبنى ليضم جميع مكتبات المدينة ومكتبات المدارس والأربطة وغيرها.

(١) حافظ،... فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ٢٥٥.

جدول رقم (٣) لموجودات المكتبات الوقفية التي كانت مدمجة بالمكتبة العامة بالمدينة المنورة

عدد مسلسل	اسم المكتبة	عدد الكتب مطبوعة ومخطوطة
١ ـــ	مكتبة رباط سيدنا عثمان	١٥٣٧
٢ ـــ	مكتبة مدرسة الشفاء	١٥٢٠
٣ ـــ	مكتبة مدرسة الساقزلي	١٠٢٤
٤ ـــ	مكتبة مدرسة الإحسانية	٣٧٤
٥ ـــ	مكتبة المدرسة العرفانية	١٣٥٠
٦ ـــ	مكتبة رباط الجبرت	١٠٥
٧ ـــ	مكتبة المدرسة القازانية	٢٩٥٢
٨ ـــ	مكتبة مدرسة قره باش	١٥٠
٩ ـــ	مكتبة الشيخ عمر حمدان	٢٥٧٨
١٠ ـ	مكتبة الشيخ يس بخيت	١٥٠/١٥٩٠
١١ ـ	مكتبة عباس حلمي باشا	٢٠٠
١٢ ـ	مكتبة الشيخ عبد الحي أبي خضير	٦٠
١٣ ـ	مكتبة سالم أزمرلي/وزين العابدين توفيق	١٧٠
...	موجودات مكتبة المدينة العامة	٢٥٧٨
...	المجموع	١٤٧٤٨

وقد نقلت محتويات هذه المكتبة بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد النبوي إلى مكتبة الملك عبدالعزيز في مقرها الحالي، وخُصِّص لها مكان مستقل عن المكتبات الوقفية الأخرى، وتحتوي على (١٧٨) مخطوطًا، و(٧٧٦٦) كتابًا مطبوعًا منها النادر والحديث، وذلك خلاف المخطوطات التي توجد بكل مكتبة وقفية مستقلة بذاتها، كما يوضحه الجدول رقم (٣).

وقد كان للشيخ جعفر فقيه فضل كبير في تأسيس هذه المكتبة، وإمدادها بكل ما تحتاج إليه من أثاث وتحف وغيرها ، إضافة إلى حرصه الشديد على الحصول على بعض المكتبات الخاصة والمدرسية ومكتبات الأربطة التي كون منها نواة هذه المكتبة، وبلغ عدد المكتبات التي قام بجمعها في عهده أكثر من ثلاث عشرة مكتبة متنوعة، كما سعى إلى جلب كتب لها من أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي[١].

(١) السابق.... ص ٢٥٧.

ويضيف علي حافظ: "وأذكر أن أول من أُسندت إليه إدارة هذه المكتبة الأستاذ الشيخ جعفر فقيه، ورغم أن الأستاذ فقيه قد استلم المكتبة عبارة عن مبان وليس فيها كتب تذكر أو دواليب لحفظ الكتب، إلا أنه أدارها على خير وجه، وجعل منها مكتبة كبرى ذات شأن ونفع كبير للعلماء وطلاب العلم... عمَّرها بالكتب الثمينة، وتحصَّل لها على دواليب رائعة معظمها كانت هدايا تحصَّل عليها بجهده وعنايته وفقهه وثقة الناس به، وأصبحت هذه المكتبة موردًا عذبًا للعلم وطلاب العلم، وكانت الخدمات فيها عظيمة ومواعيد فتحها منظمة تنظيما دقيقًا"(١).

وتحتوي المجموعة المخطوطة لهذه المكتبة على مخطوطات في التفسير، والقراءات، والعقيدة، والحديث، والفقه الحنفي، والسيرة النبوية، والوعظ والإرشاد، والنحو، والبلاغة، والأدب، وبالإضافة إلى مجموعة رسائل في فنون متنوعة حوتها عدة مجاميع خطية.

وقد توزعت بيانات الكتب المطبوعة لهذه المكتبة في فهرس من مجلدين صفحاتهما (٢٧٩) صفحة من القطع الكبير، وتحوي مجموعتها كتبًا نادرة وحديثة تشمل فنون التفسير والقراءات والتجويد والحديث والسيرة النبوية، والفقه الحنبلي والحنفي والشافعي والمالكي، والفقه علي المذاهب الأربعة والفرائض والعقيدة، والمواعظ، والاقتصاد، والاجتماع، واللغة والنحو، والصرف، والرياضيات، والطب، والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والتراجم، وتتميز هذه المجموعة بأنها من إصدارات القرن الرابع عشر الهجري. بالإضافة إلى كمية أخرى طُبعت في القرنين: الثالث عشر والخامس عشر الهجريين كما تتميز هذه المكتبة باشتمالها على عدد من الكتب ذات المجالات المتعددة، إضافة إلى تعدد النسخ من الكتاب الواحد. وقد صدرت هذه الكتب عن عدد كبير من المطابع المشهورة مثل: الترقي، والماجدية، والعامرة، وبولاق، والخيرية، والميمنية، والسعادة، والأهرام، والمعارف، ودار الكتاب، والحلبي، وغيرها مما هو موضح تفصيلا في فهرس المكتبة. كما تحتوي المكتبة على عدد من المجاميع التي تحوي عددًا من الرسائل في فنون متعددة لمؤلفين مختلفين.

٢/٤ - المخطوطات المودعة في المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة حاليًا:

حافظت المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة بأنواعها المختلفة على الكثير من المصاحف الأثرية، والمخطوطات النادرة، وفي مختلف العلوم الشرعية والاجتماعية، وحتى العلوم

---

(١) السابق.... ص ٢٦٠.

البحتة، ولم يكن ذلك حكرًا على اللغة العربية فقط، بل شملت لغات أخرى، مثل: التركية والفارسية والهندية.

وبالرغم من كل ما تعرضت له هذه المكتبات من الكوارث الطبيعية، والتعديات البشرية، فقد حفظت لنا كنوزًا ونوادر ثمينة تمثلت فيما تحويه مكتبات المسجد النبوي الشريف، ومكتبة المصحف، وكذلك المكتبات الوقفية التي تم تجميعها في مكتبة المدينة العامة بمبادرة من الملك سعود بن عبدالعزيز، وعند الشروع في توسعة المسجد النبوي الشريف التي تطلبت إزالة الأحياء الملاصقة له، والتي ستشمل مكتبة المدينة المنورة العامة المذكورة آنفًا، وكذلك مكتبات وقفية أخرى، ومن أهمها مكتبة الشيخ عارف حكمت وبشر أغا. أصدر الملك فيصل رحمه الله توجيهاته بإنشاء مكتبة الملك عبدالعزيز، وإسناد مهمتها إلى وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، لتقوم بتجهيزها والإشراف عليها ضمن منظومة المكتبات الوقفية بالمملكة العربية السعودية، ولتكون هذه المكتبة قادرة علي الحفاظ على إرث المدينة المنورة العلمي والثقافي والحضاري المتمثل في المكتبات الوقفية المدمجة بها. وعند تأسيسها كانت تضم ثلاثا وعشرين مكتبة وقفية، هي حصيلة ما كان في مكتبة المدينة المنورة العامة من المكتبات إضافة إلى مكتبات وقفية أخرى، وتتابع بعد ذلك إيداع المكتبات، الوقفية إليها، حتى تجاوز عددها حاليا ٢٥ مكتبة وقفية.

وقام الملك فيصل بن عبدالعزيز بوضع حجر الأساس لها في يوم الثلاثاء ١٣٩٣/١/٣هـ، الموافق ١٩٧٣/٢/٧م، وافتتحها الملك فهد بن عبدالعزيز في يوم الثلاثاء ١٤٠٣/١/١٦هـ الموافق ١٩٨٢/١١/٢م(١)، ونقلت مكتبة المدينة المنورة العامة بما فيها من مكتبات وقفية إليها، كما ألحقت بها بعد ذلك مكتبة الشيخ عارف حكمت ومكتبة رباط بشير أغا، وبعض المكتبات الشخصية التي تم وقفها على مكتبة الملك عبدالعزيز[١].

وإضافة لما تحويه مكتبة المسجد النبوي الشريف، ومكتبتي المصحف، والمكتبات الوقفية الأخرى المدمجة في مكتبة الملك عبدالعزيز ـ من المخطوطات، توجد مكتبات وقفية أخرى بالمدينة المنورة تحتوي على نوادر المصاحف والمخطوطات، مثل مكتبة رباط مظهر، ومكتبة السيد حبيب محمود التي تم افتتاحها قبل ثماني سنوات كمكتبة وقفية عامة، في مبنى من الطراز الحديث ومجهزة بالنظم الإلكترونية لخدمة الرواد. وقد توصلت هذه الدراسة إلى حصر المصاحف والمخطوطات التي لا زالت محافَظًا عليها في مكتبات المدينة المنورة الوقفية، والتي يوضحها الجدول رقم (٤).

(١) المزيني.... مكتبة الملك عبدالعزيز بين الماضي والحاضر، ص ٣٢.

جدول رقم (٤) مقتنيات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المصاحف والمخطوطات

الرقم	اسم المكتبة	نوع المكتبة	موقع المكتبة	العدد	ملاحظات
١	مكتبة المسجد النبوي	مكتبات المساجد	بالمسجد النبوي	٢٠٠٠	٥٠ ألف رقمي
٢	مكتبة المصحف بالمسجد	= = =	= = =	٢٧٠	مصاحف خطية
٣	مكتبة المصحف الشريف	= = =	م الملك عبد العزيز	١٨٧٨	= = =
٤	= = = =	= = =	= = =	٨٤	ربعة قرآنية
٥	مكتبة الشيخ عارف حكمت	وقفية عامة	= = =	٤٣٨٩	
٦	= = = =	= = =	= = =	٦٣٢	مجاميع – وتحتوي على ٣٨٣٨ رسالة
٧	المكتبة المحمودية	= = =	= = =	٣٣١٤	
٨	مكتبة مدرسة بشير أغا	المدارس الوقفية	= = =	١١٧٩	
٩	مكتبة مدرسة الشفاء	= = =	= = =	٩٨٠	
١٠	مكتبة رباط قرة باش	مكتبات الأربطة	= = =	٨٢٠	
١١	مكتبة رباط عثمان بن عفان	= = =	= = =	٧٦٠	
١٢	مكتبة مدرسة الساقزلي	المدارس الوقفية	= = =	٥٣١	
١٣	مكتبة رباط مظهر	مكتبات الأربطة	في دارهم	٤٠٠	
١٤	مكتبة السيد حبيب	وقفية عامة	في حي أحد	٤٠٠	
١٥	= = = =	= = =	= = =	١١٥	مصاحف مخطوطة
١٦	مكتبة السيد صافي الجفري	وقفية خاصة	م الملك عبد العزيز	٢٠٢	
١٧	مكتبة مدرسة كيلي ناظري	المدارس الوقفية	= = =	١٩٢	
١٨	مكتبة المدينة العامة	وقفية عامة	= = =	١٧٨	
١٩	مكتبة مدرسة القازانية	المدارس الوقفية	= = =	١٥١	
٢٠	مكتبة الشيخ عمر حمدان	وقفية خاصة	= = =	١٣١	
٢١	مكتبة المدرسة الإحسانية	المدارس الوقفية	= = =	١١٤	
٢٢	مكتبة الشيخ عبد القادر شلبي	وقفية خاصة	= = =	٨٨	
٢٣	مكتبة المدرسة العرفانية	المدارس الوقفية	= = =	٨٤	
٢٤	مكتبة الشيخ محمد الختني	وقفية خاصة	= = =	٥٢	
٢٥	مكتبة رباط الجبرت	مكتبات الأربطة	= = =	٢٥	
٢٦	مكتبة محمد الخضر الشنقيطي	وقفية خاصة	= = =	١٩	
٢٧	مكتبة محمد نور كتبي الحسني	= = =	= = =	٤	
		إجمالي المصاحف	والمخطوطات:	١٨,٩٩٢	
		الإجمالي مع	الرسائل	٢٢,١٩٨	

ومن الجدول رقم (٤) يتضح لنا أن المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة حفظت ما يزيد على الألفين من المصاحف النادرة،التي يقع معظمها في مكتبة المصحف الشريف، وتضم هذه المكتبة مجموعة تقدر بـ (١٨٧٨) ألف وثمانمائة وثمانية وسبعين مصحفًا من المصاحف الخطية النادرة القديمة (القرآن الكريم) يمتد تاريخها إلى العصر العباسي، بالإضافة إلى (٨٤) أربع وثمانين ربعة قرآنية. وهذه المكتبة كانت في الروضة الشريفة، ثم نُقلت بأمر الملك فيصل إلى الدور العلوي فوق باب خوخة الصديق بالمسجد النبوي، ثم نقلت مع مكتبة المسجد النبوي إلى مكتبة المدينة العامة، وعادت مكتبة المسجد النبوي إليه، بينما نقلت مكتبة المصحف الشريف إلى مكتبة الملك عبدالعزيز.

"وتمثل هذه المصاحف في مجملها تاريخًا للمراحل التي مر بها تدوين المصحف الشريف، ومن حيث الورق المستخدم للكتابة والمداد المكتوب به وتنوع الخطوط: فمنها الكوفي، والثلث، والنسخ، والرقعة، إلى غير ذلك من الخطوط. ويعود تاريخ أقدم مصحف إلى عام ٥٤٩هـ، وهي من أزهي فترات الإبداع في فن الخطوط العربية وهو بخط أبى سعد محمد إسماعيل بن محمد، وحجمه (٢٠ × ٣٠سم) وتاريخ إهدائه سنة ١٢٥٣هـ.

ويتميز بعض هذه المصاحف بسمات وصفات مختلفة يصعب وصف كل واحد منها على حدة، إذ تعد كل نسخة من مصحف أو ورقة منه عملاً علميًا يحتاج للعرض والدراسة والبحث، ومن هذه المصاحف، مصحف مخطوط ذو حجم كبير مقاسه ١٤٢/٥ × ٨٠سم، وزنه ١٥٤ كيلوجرام، وهو بخط غلام محيي الدين سنة ١٢٤٠هـ. وتحفظ المصاحف داخل خزانات خاصة بها مصنوعة من الخشب"(١).

وتحتوي المكتبات الوقفية الأخرى مثل مكتبة الشيخ عارف حكمت، والمحمودية، وبشير أغا ـ على الآلاف من المخطوطات النادرة، وكذلك بقية المكتبات الوقفية السبع والعشرين، وهي ما تبقى للمدينة المنورة من إرثها العلمي، وحفظت لها ما يزيد على اثنين وعشرين ألفًا من المخطوطات القيمة.

(١) السابق.... ص ٥٣ - ٥٤.

الخاتمة

لقد كان للمكتبات الوقفية دور مهم في الحفاظ على موروث الأمة الإسلامية العلمي عبر التاريخ، وفضلا عن أنها كانت مؤسسات علمية راقية تخرَّج فيها كبار العلماء من أنحاء العالم الإسلامي، فإنها أيضًا ساهمت بشكل حاسم في الحفاظ على كنوز الأمة من المخطوطات في مختلف العلوم والفنون وعلى مدى زمن طويل. وكنموذج لذلك نجد أنه بالرغم من كل ما تعرضت له مكتبات المدينة المنورة من الكوارث الطبيعية، والتعديات البشرية فقد حافظت مكتباتها الوقفية على آلاف المخطوطات، وخاصة المصاحف التي يتجاوز عددها الألفي مصحف تمثل واحدة من أندر المجموعات في موضوعها وفي تنوعها.

تعارض طبعات متون التراث العربي الإسلامي وأثره على الدراسات التراثية

د. محمد جاد كامل(*)

لم يكن ضبط النص العلمي وإخراجه في أبهى حلة، أعسر عند الخلف منه عند السلف، فشاق هو أينما كان ومتى كان، فربما كان التأليف أيسر بكثيرٍ من إصلاح كلمة واحدة كما هو عند الجاحظ بقوله في الحيوان: **ولربما أراد المؤلف أن يُصلح تصحيفًا أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعنى أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يردَّه إلى موضعه من اتصال الكلام"**(1) . حتى إن هناك من رأى أن في حرق مسودته بعيوبها وإعادة تأليفه ثانية أهون من إصلاحها، كما ذكر الخانجي: محمد بن محمد البوسنوي الحنفي المتوفى نحو ١٣٦٥هـ في نهاية مسودة كتابه أخبار مصر وتاريخها.

وإذا كان الأمر بهذا العسر على السلف فهو أكثر عسرًا عند الخلف، فليس الأمر متعلقًا بضبط لفظةٍ أو إصلاح جملة، بل تحري نسبة المتن إلى من ألفه.

فخرجت كثير من المتون منسوبة إلى أكثر من مؤلِّفٍ، وبعناوين مختلفةٍ، وفيما يلي بعض النماذج.

فقد نُشر كتابٌ على أنه كتاب "احاسن المحاسن" منسوبًا لأبي الحسن الرخجي المتوفى ٤٣٠هـ، ثم طبع الكتاب نفسه بعنوان "كتاب الأمثال" منسوبًا لأبي منصور الثعالبي المتوفى ٤٢٩هـ، عدة طبعات عن دار الكتب العربية الكبرى بالقاهرة ١٩٠٩، ومطبعة التقدم بالقاهرة ١٩٣٥هـ، ودار الكاتب العربي ببيروت ١٩٩٠هـ، ثم طبع الكتاب نفسه أيضا عام ٢٠٠٦م بعنوان "الفرائد والقلائد" منسوبًا إلى الأهوازي: محمد بن الحسن المتوفى في حدود ٤٣٦هـ بتحقيق د. إحسان ذنون الثامري، عن دار ابن حزم ببيروت.

وطبع كتاب بعنوان "تاريخ بيت المقدس" منسوبًا إلى أبي الفرج ابن الجوزي المتوفى ٥٩٧هـ، ثم طبع الكتاب نفسه بعنوان "باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس" منسوبًا إلى برهان الدين الفزاري المعروف بابن الفركاح المتوفى ٧٢٩هـ.

(*) رئيس شعبة فهرسة المخطوطات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.

(١) الجاحظ، الحيوان، تحقيق: د. عبدالسلام هارون، دار الجيل ببيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ١/٧٩.

وطبع كتاب على أنه كتاب" ألفاظ الأشباه والنظائر" منسوبًا لأبي البركات الأنباري المتوفى ٥٥٧هـ ثم طبع الكتاب نفسه بعنوان "الألفاظ الكتابية" منسوبًا إلى الهمذاني: عبدالرحمن بن عيسى المتوفى نحو ٣٢٠هـ بتصحيح لويس شيخو اليسوعي عن مطبعة الآباء اليسوعيين ١٨٥٥هـ، ثم طبع بعدها بالمطبعة نفسها تسع طبعات بين الأعوام ١٨٨٥م و ١٩١٣، ثم طبع منسوبا للهمذاني ست طبعات أخرى بتحقيقات مختلفة، ثم عاد وطبع بعنوان "ألفاظ الأشباه والنظائر" منسوبًا للأنباري بتحقيق البدراوي زهران عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٩م.

وطُبع كتابٌ على أنه كتاب "نقد النثر" منسوبًا لقدامة بن جعفر البغدادي المتوفى ٣٣٧هـ بتحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادي، ست طبعات بين الأعوام ١٩٣٣ و١٩٣٨م ثم طبع المتن نفسه بعنوان "البرهان فى وجوه البيان "منسوبًا لابن وهب الكاتب المتوفى بعد ٣٣٥هـ، بتحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي عن مطبعة العاني ١٩٦٧ .

وطُبع متنٌ بعنوان "إعراب القرآن" منسوبًا للزجاج المتوفى ٣٣٧ هـ بتحقيق إبراهيم الأبياري، وصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ١٩٦٥، ثم حقق نسبته وطبعه أحمد راتب النفاخ ونشره على أنه كتاب "جواهر القرآن" للباقولي: على بن الحسين الأصبهاني المتوفى نحو ٥٤٣هـ، عن مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢هـ، ثم رجع وصدر على أنه" إعراب القرآن" للزجاج عام ١٩٧٣ عن المطابع الأميرية، ودار الكتب الإسلامية بالقاهرة ١٩٨٢، وعالم الكتب ببيروت ١٩٨٨م، ثم عاد وطبع بعنوان "إعراب القرآن" منسوبًا للباقولي كرسالة دكتوراه لفهد سالم الراشد في كلية دار العلوم بالفيوم ٢٠٠٦م.

وطبع كتاب بعنوان "الطب النبوى" منسوبًا للحافظ شمس الدين الذهبى المتوفى ٧٤٨هـ بتحقيق قاسم الشماعي الرفاعي عن مكتبة التربية ببيروت ١٩٨٠، وقبلها بدون تحقيق طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦١، ثم طُبع منسوبًا لموفق الدين البغدادي: عبد اللطيف بن يوسف المتوفى ٦٢٩هـ بتحقيق عبد المعطي أمين قلعجي ١٩٨٦، ثم عاد وطُبع منسوبًا للحافظ الذهبي بتحقيق مجدي السيد إبراهيم ومحمد كمال عبد العزيز عن مكتبة القرآن بالقاهرة ١٩٨٩م، وبتحقيق يوسف علي بديوي عن دار ابن كثير ببيروت عام ١٩٩٠ .

وطبع كتاب بعنوان "الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام" منسوبًا للإمام شمس الدين القرطبي المفسر المتوفى ٦٧١هـ بتحقيق

أحمد حجازي السقا عن دار التراث بالقاهرة ١٩٨٠، ثم طُبع بعنوان "إثبات نبوة محمد ﷺ" منسوبًا إلى أبي العباس القرطبي: أحمد بن عمر المتوفى ٦٥٦ هـ بتحقيق أحمد آيت بلعيد عن دار الكتب العلمية ببيروت عام ٢٠٠٤م.

وطُبع كتابٌ بعنوان "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعام البيان" منسوبًا لابن قيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ ثلاث طبعات محققة، ثم طُبع "كمقدمة تفسير ابن النقيب" المتوفى سنة ٦٩٨هـ: "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير" في مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٥م، بتحقيق الدكتور زكريا سعيد علي.

وطُبع كتابٌ بعنوان "درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز" منسوبًا إلى الخطيب الإسكافي المتوفى ٤٢٠هـ، ١٩٧٧م، و ٢٠٠١م، ٢٠٠٢هـ. ثم طبع المتن نفسه بعنوان "حل متشابهات القرآن" منسوبًا إلى الراغب الأصبهاني: الحسين ابن محمد المتوفى ٥٠٢هـ، بتحقيق عمر بن عبد الرحمن الساريسي.

وطُبع كتابٌ بعنوان "طبقات الفقهاء" منسوبًا إلى طاش كبرى زاده المتوفى ٩٦٨هـ، باعتناء أحمد نيلة، صدر عن المكتبة المركزية العامة بالموصل ١٩٥٨م، و١٩٦١م، وطُبع المتن نفسه بعنوان: "طبقات الحنفية" منسوبًا إلى ابن الحنائي: علي جلبي بن أمر الله المتوفى ٩٧٩هـ بتحقيق سفيان عايش محمد، وفراس خليل مشعل، وصدر عن دار ابن الجوزي بالأردن ٢٠٠٣م.

وطُبع كتابٌ بعنوان "حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار" منسوبًا لابن الدَّيبع الشيباني: المتوفى ٦٤٤هـ عام ١٩٧٩، ثم ١٩٨٢، و١٩٩٣م. ثم طُبع منسوبًا لبحرق الحضرمي المتوفى ٩٣٠هـ بتحقيق محمد غسان عوقول، عن دار المنهاج بجدة ٢٠٠٤م.

وطُبع كتاب "المنتحل" منسوبًا إلى أبي منصور الثعالبي المتوفى ٤٢٩هـ بتحقيق أحمد أبو علي، عن المطبعة التجارية بالإسكندرية ١٩٠١، ثم طُبع منسوبا إلى أبي الفضل الميكالي المتوفى ٤٣٦هـ، بتحقيق يحيى الجبوري عن دار الغرب الإسلامي ببيروت ٢٠٠٠م.

وطبع كتاب "تهذيب الأخلاق" منسوبًا ليحيى بن عدي المتوفى ٣٦٤هـ عام ١٩١٣، ثم طُبع منسوبا إلى الجاحظ: عثمان بن بحر المتوفى ٢٥٥هـ عام ١٩٢٤م، وعام ١٩٨٩م.

وطُبع كتاب "الموفقيات" منسوبًا إلى الكاتب الدمشقي المتوفى ٥٩٧هـ باعتناء الأستاذ وستنفلد في غلوطا ١٨٧٨م، ثم طُبع منسوبًا إلى الزبير بن بكار المتوفى ٢٥٦هـ بتحقيق سامي مكي العاني عن رئاسة ديوان الأوقاف ببغداد ١٩٧٢م.

وطُبع كتاب "حدود النحو" منسوبًا إلى عبد الله بلفقيه المتوفى ١٢٦٦هـ باعتناء سبرنجر في كلكته ١٨٤٩م، ثم طُبع منسوبا إلى جمال الدين الفاكهي المتوفى ٩٧٢ هـ بتحقيق محمد الطيب الإبراهيم عن دار النفائس ببيروت ١٩٩٦م.

وطُبع كتاب" المرصَّع في الأدبيات" منسوبًا إلى ابن الأثير الكاتب المتوفى ٦٣٧هـ باعتناء ويمار عام ١٣٠٤هـ بالآستانة، ثم طُبع بعنوان" المرصَّع في الآباء والأمهات" منسوبًا إلى ابن الأثير الجزري المتوفي ٦٠٦هـ بتحقيق إبراهيم السامرائي عن دار الجيل ببيروت ١٩٩١م.

وكذلك الأمر في العديد من الكتب مثل: "ميرايساغوجي": طُبع منسوبًا للرامغوري: أبي المفضل محمد، فضل الحق بالهند سنة ١٣٠٩هـ، ثم طُبع منسوبًا إلى السيد الشريف الجرجاني: على بن محمد الحنفي المتوفى ٨١٦هـ بمطبعة المؤيد بالقاهرة سنة ١٩٠٣م.

وكتاب "معاني الحروف" المطبوع منسوبًا إلى الرماني: علي بن عنسى المتوفى ٣٨٤هـ، وأيضا لابن فضال المجاشعي: علي بن فضال القيرواني المتوفى ٤٧٩هـ.

وشرح "فصيح ثعلب" بين الزمخشري: محمود بن عمر، جار الله المتوفى ٥٣٨هـ، والإستربادي المتوفي في حدود ٤٦٧هـ. وغيرهم الكثير.

ومن يطالع "معجم المخطوطات المطبوعة" للدكتور صلاح الدين المنجد، "والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع" للدكتور محمد عيسى صالحية، "ومعجم المطبوعات العربية والمعربة" ليوسف سركيس، "وذخائر التراث العربي الإسلامي" لعبد الجبار عبدالرحمن، يتبين حجم هذه النوعية من النشرات التراثية.

وهذه المؤلفات تتصف بصفات ثلاث:

الأولى: أن أغلبها لم يطبع منسوبًا خطأ ثم صححت نسبته وتوالت الطبعات الصحيحة، بل يطبع بعنوان منسوبًا لمؤلف ثم يطبع بعنوان آخر منسوبًا لمؤلِّف آخر، ثم تعاد طباعة الأول فتليها طباعة الثاني، أي توازي إصدارات النشرتين على مرِّ الزمن، وربما بتحقيقات متعددة.

مثال: " الفاظ الأشباه والنظائر" طُبع منسوبًا للأنباري: أبي البركات عبد الرحمن بن محمد المتوفى ٥٥٧هـ بتصحيح خير الدين نعمان بن محمود آلوسي زاده عن مطبعة الضياء سنة ١٨٨٤هـ، ثم طُبع الكتاب نفسه بعنوان" الألفاظ الكتابية" منسوبًا إلى

الهمذاني: عبد الرحمن بن عيسى المتوفى نحو ٣٢٠هـ بتصحيح لويس شيخو اليسوعي عن مطبعة الآباء اليسوعيين ١٨٥٥هـ، ثم طُبع بعدها بالمطبعة نفسها تسع طبعات بين الأعوام ١٨٨٥م و١٩١٣، ثم طُبع منسوبًا **للهمذاني** ست طبعات، بتحقيق محمود توفيق عن المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٩٢٢م، والدار العربية للكتاب ١٩٨٠، ومطبعة الجمالية ١٩١٤، ودار الكتب العلمية ١٩٨٠م، ومكتبة المليجي بالقاهرة ١٩٣١هـ، وبتحقيق السيد الجميلي عن دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٨٦م، ثم عاد وطُبع بعنوان" **الفاظ الأشباه والنظائر**" منسوبا للأنباري بتحقيق البدراوي زهران عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٩م.

الثانية: وهي الأغرب، أن الكثير منها لها دراسات بينت النسبة الصحيحة، معتمدة على طبعات قديمة أو على نسخ مخطوطة منها.

والثالثة: أن كلتا النشرتين من المتن الواحد (سواء بهذا العنوان لهذا المؤلف أو بذاك العنوان لذاك المؤلف) ليستا متوافرتين في مكان واحد، فمن الصعب أن تجد نسخة من كتاب "**جواهر القرآن للباقولي**" خارج مصر، ومن الصعب أن تجد نسخة من كتاب طبع فى الأستانة مثل "**المرصع في الأدبيات**"، أو في الهند مثل "**حدود النحو**" في البلدان العربية، فضلا عن كتاب مثل "**حدائق الأنوار**" الطبعة المنسوبة إلى **ابن الديبع** بأمر من أمير دولة قطر السابق: خليفة بن حمد آل ثاني ووزع إهداء.

أما أسباب إخراج هذه المتون التراثية بهذا الشكل، فلا يمكن إلقاؤها على كاهل المحققين جزافا، وإنما يلام أكثر **ضوابط الإتاحة الضيقة في أغلب مكتبات المخطوطات في العالم**، فكثير من هذه النشرات التراثية لا تحسمها كتب التراجم والمعاجم والأثبات والإجازات، بل يحسمها جمعٌ لكمٍّ من النسخ ومقابلتها ودارستها، وهو عمل ما أشقّه وما أكلفه، فليس هناك حسم لكتاب "**الطب النبوي**" في خمس وثلاثين نسخة، والحسم الوحيد هو في نسخةٍ موجودةٍ في دار الكتب المصرية، فلن يظفر المحقق بنسبة صحيحة للكتاب قطعا بدون فحص ست وثلاثين نسخة، فهل هذا ممكن؟

والسبب الثاني: دور نشر كثير منها لا مرجعية تحكيمية لازمة لها لضمان تطبيق معايير التحقيق العلمي، اللهم إلا حكومية لضمان خلوها من الثالوث المحرم.

والسبب الثالث: طبيعة نسخ المتون العربية نفسها التي طالما تلاعب النساخ في جوهرها فضلا عن نسبتها. ولا يستبعد العلماء العرب أنفسهم لتأليفهم على لسان غيرهم، أو عزوهم - مختارين - عددا من مؤلفاتهم إلى غيرهم لسبب أ لآخر، ويكفينا شاهدا ما قاله **الجاحظ** في رسالة " **نفي التشبيه** " ضمن رسائله التي حققها طيب

الذكر عبد السلام هارون " وربما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي، ومن شبه هؤلاء من مؤلفي الكتب، فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من هذا الكتاب؛ لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته علي ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه إماما يقتدون به ويتدارسونه بينهم ... لأنه لم يترجم باسمي ولم ينسب إلى تأليفي"(١).

إن وجود هذه الفئة من النشرات التراثية وبهذا الكم، واستمرارها في التزايد، من شأنه أن يمثل تهديدا للدراسات التراثية بكل ألوانها: الدينية واللغوية والتاريخية والعلمية، وينذر بدراسات مشوهة مختلطة، لا نتائج منطقية فيها، فكم من باحث تعامل مع كتاب **"عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية"** لأبي شامة المقدسي: عبد الرحمن بن إسماعيل المتوفى سنة ٦٦٥هـ (تحقيق أحمد البيسومي، منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٩١م) وهو المرجع الرئيس في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية مطمئنا إلى أحداثه لكونها لعالم قريب من أحداثها (الدولة الصلاحية ٥٦٥هـ - ٦٥٩هـ)، في حين أن الكتاب هو في حقيقته كتاب **"الزوائد على عيون الروضتين"** لصلاح الدين العلائي: خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي الشافعي المتوفى ٧٦١هـ (يبعد تاريخيا ٩٨ سنة عن الأحداث، والغريب أنه يغلب على الكتاب أحداث جرت بعد وفاة المؤلف بزمن بعيد.

وأخيرا نقول: إذا كان المسعودي قال في مروج الذهب: لولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر؛ لبطل أول العلم وضاع آخره. فيجوز لنا الآن أن نقول: ولو لم يضبط حق ضبطه لخلط أصله وتاه في الدرب لبه.

---

(١) الجاحظ، الحيوان، تحقيق: د. عبدالسلام هارون، دار الجيل ببيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ١/ ٢٩٣.

التكوين العلمي لأهل الفتيا في الأندلس
إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي

د. شيماء فرغلي سيد علي(*)

تُعد الفتوى إحدى الخطط الدينية، أو مؤسسات الدولة في الأَنْدَلُس، وينص ابن خلدون[1] (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) على ذلك بقوله: «اعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة»، ويؤكد الصبغة الرسمية للفتيا أيضًا بقوله إن صاحب الدولة يقيم مراسم أهل الفتيا ويقسّم لهم حظًا من الرزق على نسبة الحاجة إليهم[2].

وترتبط الفتوى ارتباطًا وثيقًا بخطط الأحكام في الأَنْدَلُس، والتي يُعددها ابن سهل (ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م) بقوله: «اعلم أن الحكام الذين تجري على أيديهم الأحكام ست خطط: أولها القضاء وأجلها قضاء الجماعة، والشرطة الكبرى، والشرطة الوسطى، والشرطة الصغرى، وصاحب مظالم، وصاحب رد، وهو كصاحب شرطة، سمي صاحب رد بما رد إليه من الأحكام، وصاحب مدينة، وصاحب سوق. هكذا نص عليه بعض المتأخرين من أهل قُرْطُبَةَ في تأليف له. وتلخيصها: القضاء والشرطة والمظالم والرد والمدينة والسوق»[3]. وارتباط الفتوى بهذه الخطط يأتي من كونها جميعًا تحتاج إلى رأي الشرع والفتوى فيما يعرض لها من أمور ومسائل مختلفة.

وتعتمد هذه الدراسة للتكوين العلمي لأهل الفتيا في الأندلس بصورة أساسية على نوع من مصادر الدرس الأَنْدَلُسي يُعد منجمًا ثريًا في البحث التاريخي، وهو كتب التراجم، التي يمكن ملاحظة أنها إما أن تكون كتب تراجم عامة أوتراجم خاصة. فمن كتب النوع الأول «تاريخ علماء الأَنْدَلُس» لابن الفرضي (ت٤٠٢هـ/١٠١٣م) الذي ذكر

(*) باحثة في التاريخ الإسلامي.

(١) مقدمة ابن خلدون. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٦م، ج٢ ص٦٠٣ .

(٢) المصدر نفسه، ج٢ ص٨٤٨ .

(٣) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى. تحقيق: نورة بنت محمد بن عبد العزيز التويجري. جدة، ١٩٩٥م، ج١ ص٢٨: النباهي: تاريخ قضاة الأَنْدَلُس المسمى «المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا». تحقيق: ليفي بروفنسال. القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٤٨م، ص٥: الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأَنْدَلُس والمغرب. تحقيق: محمد حجي وآخرين. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م، ج١٠ ص٧٧ .

منهجه في تأليف كتابه قائلًا: «وغَرَضُنا فيه: ذِكْرُ أسماءِ الرجالِ وكُناهم وأنسابهم، ومن كان يَغلِبُ عليه حفْظُ الرَّأي منهم؛ ومَن كان الحديثُ والرِّواية أمْلَكَ به، وأغلَبَ عليه؛ ومن كانتْ له إلى المَشرق رِحْلَةٌ؛ وعَمن رَوى، ومَن أجَلُّ مَن لَقِيَ؟ ومَن بَلَغ منهم مَبْلَغ الأخْذِ عنه؛ ومن كان يُشاوَرُ في الأحكام ويُستَفتى»[1]، والكتب التي جاءت بعده مثل: كتاب «جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأَنْدَلُس»، للحميدي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، وكتاب «الصلة في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم»، لابن بشكوال(ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وكتاب «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأَنْدَلُس»، للضبي (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م). وبالرغم من أنه يُلاحَظ أن هذه الكتب ينقل بعضها عن البعض نصوصًا كاملة، إلا أن كل مصدر منها أفاد البحث بوجه من الوجوه. أما كتب النوع الثاني فمن بينها كتابا: «أخبار الفقهاء والمحدثين»، و«قضاة قُرْطُبَةَ»، وكلاهما للخشني(ت ٣٦١هـ/٩٧١م)، وكتاب «تاريخ قضاة الأَنْدَلُس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا»، للنباهي (ت٧٩٣هـ/١٣٩٠م) والذي ذكر منهجه في تأليف كتابه قائلا: «هذا كتاب أرسم فيه بحول الله نبذًا من الكلام في ... سير بعض من سلف من القضاة، أو بلغ رتبة الاجتهاد، وفيمن يجوز له التقليد ومن لا يجوز له، وصفات المفتي الذي ينبغي قبول قوله، والاقتداء به لمن ذهب إلى مقلده، وبالجاري من الفتاوى على منهاج السداد، وهل يجوز للمفتي قبول الهدية من المستفتي، أم هي في حقه من ضروب الرشاء المحرمة على الجميع»[2].

وأحيانًا تكون بعض كتب التراجم مرتبة على أساس الطبقات، وليس بالترتيب الهجائي الذي تأخذ به معظم كتب التراجم الأخرى، ومن أهم كتب الطبقات التي استعان البحث بما تضمنته من معلومات كتاب «طبقات الأطباء والحكماء»، لابن جُلْجُل (ت بعد سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م) الذي تطرَّق إلى ذكر بعض المفتين الذين عملوا بمهنة الطب، وذكر أسماء الكتب التي قاموا بتأليفها في هذا المجال. ومثل كتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»، للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وهو يشبه في مادته كتب التراجم التي سبق ذكرها؛ فهو يأخذ عنها وعن غيرها من كتب إلا أنه يتصف بغزارة معلوماته وتراجمه المطولة.

وتشير كتب التراجم إلى أن الفقهاء الذين مارسوا عمل الإفتاء عُرفوا بعدة

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١ ص٢٣ .

(٢) النباهي: تاريخ قضاة الأَنْدَلُس، ص١ .

مسميات أو مصطلحات، منها: مصطلح «أهل الفتيا»[١]، أو مصطلح «المُفتُون»[٢]، وتنص بعض هذه الكتب على أنه عندما يصل الفقيه إلى المرتبة التي تؤهله للإفتاء يصبح في «عداد المفتين»[٣]. ومن مُسميَّات المفتين أيضًا «أهل الشورى»[٤]، أو «المشاورون»[٥]، وهاتان التسميتان الأخيرتان كانتا تُطلقان على المفتين أعضاء هيئة الشورى، الذين يطلب منهم الإفتاء في المسائل المحالة إليهم من الأمراء والخلفاء والقضاة، وغيرهم من رجال الدولة. ومن الجدير بالذكر أنه قد كثرت أعداد المفتين في الأَنْدَلُس؛ الأمر الذي يشير في بعض وجوهه إلى ازدهار الحركة العلمية التي شهدتها الأَنْدَلُس خلال فترة البحث.

ألقاب المفتين وصفاتهم:

وقد اقتصر لقب المفتي في الأَنْدَلُس على من غلب عليه نشاط الإفتاء ووصف به بين الناس، كما وُصف في مصادر ترجمته بأنه «أفتى، استُفتى، مفتي...إلخ»؛ ومعنى هذا أنه يجب الانتباه إلى حقيقة أن هناك علماء كبار وفقهاء لم يتم إدراجهم في سلك المفتين؛ لأنهم لم يمارسوا الإفتاء بشكل عملي، أو أنهم كانوا يتحرزون ويبتعدون عن ساحة الإفتاء بالرغم من علمهم الكبير الخاص بالفقه، والمتضمَّن في مؤلفاتهم العديدة.

وهؤلاء المفتون يتم التعبير عنهم في كتب التراجم بصفات كثيرة، يمكن تصنيفها في فئتين:

---

(١) الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين. تحقيق: ماريا لويسا آبيلا، (و) لويس مولينا. مدريد: معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٢م، ص ص١٨٣، ٢٥٧، ٣٤٠؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس. ج١ ص١٩٧؛ ج٢ ص ص٤٨٥، ٨٩١، ٩١٦؛ عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ومحمد بن شريفة وآخرين. المغرب: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٦٨-١٩٨٣م، ج٤ ص٢٧٢؛ ج٥ ص ص١٨٤، ٢٤٢؛ ج٦ ص. ١٦١

(٢) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١١١؛ ج٧ ص ص١٤٧، ٢٩٥؛ ج٨ ص ص٢٩، ٤٥، ٩٤؛ ابن بشكوال: كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١ ص ص٦٣، ١١٧؛ ج٢ ص٤٠٩؛ ج٣ ص٧٨٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: دار التراث للطبع والنشر. د.ت، ج١ ص. ٣٧٧

(٣) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٣ ص ص ٧٨٩، ٩٤٩.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٦١٧؛ عياض: المصدر السابق، ج٧ ص. ٥

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص ص٢٨٥، ٢٩٤؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص ص٢٥٤، ٣٩٠؛ ج٢ ص ص٤٧٥، ٥٤١؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص٣٤٥؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة. تحقيق: عبد السلام الهراس. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م، ج٣ ص. ٨٧

أولاهما: صفات تدل على معرفتهم وبصيرتهم واعتنائهم وتصرفهم بالفتوى مثل: «صاحب فتيا»[١]، أو «عارفًا بالفتوى»[٢] ، أو «معتنيًا بالفتيا»[٣]، أو«بصيرًا بالفتوى»[٤]، أو «بصيرًا بالفتيا»[٥] ، أو «بصيرًا بالنوازل»[٦] ، أو «متصرفًا في الفتيا»[٧] ، أو«له حظ من الفتيا»[٨] ، أو «متقدمًا في الفتوى»[٩] ، أو «متقدمًا في الفتيا»[١٠] ، أو «كان أحد من تدور عليه الفتيا»[١١] ، أو«كان لا بأس به في الفتيا»[١٢]....إلى غير ذلك.

وثانيهما: أوصاف تختص بتوضيح مكانة المفتين في الفتوى، مثل: «صدرًا فيمن يستفتى»[١٣]، أو «صدرًا في الفتيا»[١٤]، أو«صدرًا في المفتين»[١٥]، أو «أحد علماء الأَنْدَلُس المبرزين في العلم والفتيا»[١٦]، أو«كان في زمانه أول أهل الفتيا بقُرْطُبَةَ»[١٧]، أو «مقدمًا في الفتيا على أصحابه»[١٨]، أو «كان من المتقدمين في الفتوى»[١٩].

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص ص٦٩، ١٠١، ١٨٣؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص ص١٨٨، ٢٨٧؛ ج٢ ص ص٤٩٧، ٦٧٠، ٦٨٧، ٧٠١، ٧٠٨؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص ص٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠؛ ج٥ ص، ٢٣٢

(٢) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص١١٥ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٤٩؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٩ .

(٤) ابن بشكوال: المصدر السابق ، ج٢ ص٥٤٢ .

(٥) الخشني: المصدر السابق، ص٢٩٩؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص ص٥٢٩، ٥٤٨، ٥٧٤؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٢٥؛ ج٦ ص ص١٥٧، ١٦٨؛ ج٨ ص١٤٥؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٢ ص ٦٠٩.

(٦) ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص١١٥ .

(٧) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص١١٢؛ ج٢ ص ص٥٥٩، ٧٤٦؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص٣٠٥؛ ج٧ ص ص١٠، ٢٤ .

(٨) الخشني: أخبار الفقهاء ، ص٤٧؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٤٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٧٠ .

(٩) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٦٤؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص١٥٥ .

(١٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٣٨١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٥٩؛ ج٥ ص٢٤٤ .

(١١) الخشني: المصدر السابق، ص ص٨٠، ١١٣ .

(١٢) المصدر نفسه، ص٣٢٧ .

(١٣) ابن الفرضي: المصدر السابق ، ج١ ص ص٤١٥، ٤٤١؛ ج٢ ص ص٥٦١، ٧٠٥؛ عياض: المصدر السابق ، ج٧ ص ص٩، ٢٣؛ ابن بشكوال: المصدر السابق ، ج١ ص١١٥؛ ج٢ ص٦١١ .

(١٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٤٣ .

(١٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص٢٢٩ .

(١٦) ابن فرحون: المصدر السابق ، ج١ ص٤٣٧ .

(١٧) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١ ص٣٢٥ .

(١٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٩٠؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠١ .

(١٩) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٦٤؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص١٥٥ .

الطبقة العلمية للمفتين:

كان للمفتين كيان واضح، وأدى وضوحه هذا إلى التعبير عن المنتمين إليه أحيانًا بـ«طبقة المفتين»؛ حيث يروى أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦هـ/٨٢٢م-٢٣٨هـ/٨٥٢م) لما رأى شهرة عبد الملك بن حبيب (ت٢٩١هـ/٩٠٤م) بالعلم والرواية نقله إلى قُرْطُبَة «ورتبه في طبقة المفتين بها»[١].

والطبقة هنا مفهوم علمي بالدرجة الأولى، وليس وضعًا ماديًا أو اقتصاديًا كما قد يظن؛ ولكن ذلك لا يمنع من أن الذي يتم ترتيبه في طبقة المفتين تتحسن أحواله المادية مما ينعكس بدوره على أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية جميعًا. وبطبيعة الحال ليس كل من ينتمي إلى هذه الطبقة من المفتين على درجة واحدة، وهو الأمر الذي يمكن استنتاجه من تقسيم ابن رشد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) لعلماء المذهب المالكي من حيث استحقاقهم للإفتاء؛ حيث قسمهم إلى ثلاث طوائف: أولها الطائفة المقلدة التي تحفظ أقوال مالك ومسائل الفقه وهذه لا يصح لها الفتوى؛ لأن الفتوى لا تصح بمجرد التقليد. وثانيها الطائفة المعتقدة بصحة المذهب المالكي، لما بان لها من صحة أصوله في حفظ الأقوال والمسائل، وهي لها الفتوى في حدود ما علمته من الأقوال والمسائل، وثالثها طائفة تشبه الطائفة الثانية، إلا أنها زادت فتفقهت في معاني الأقوال والمسائل، وبلغت درجة التحقيق بمعرفة القياس وما ينبغي معرفته من أحكام القرآن والسنن، وأقوال العلماء واختلافاتهم...إلخ، فهذه الطائفة هي التي يصح لها الفتوى عمومًا بالاجتهاد والقياس على الأصول[٢].

النشأة الاجتماعية للمفتين وتأثيراتها العلمية:

بالنسبة لأوضاع النشأة الاجتماعية للمفتين سنجد الكثير من المفتين تنص المصادر على أنهم يرجعون إلى أصول اجتماعية متميزة، مثل المفتي أحمد بن يحيى بن يحيى (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م) الذي تنص المصادر على أنه «رفيع البيت في العلم والجاه»[٣]، ومثل أبي الوليد عبد الله بن محمد (ت٤٠٢هـ/١٠١١م) الذي وصف بأنه «نبيه البيت»[٤]، ومن القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أيضًا المفتي محمد بن أيوب بن بسام الذي كان بيته من «مشاهير بيوت العلم والقضاء»[٥]، والمفتي عبد الصمد بن موسى بن

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص١٢٣: ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٨.

(٢) انظر: مسائل أبي الوليد ابن رشد. تحقيق: محمد الحبيب التجكاني. المغرب: دار الآفاق الجديدة،ط٢، ١٩٩٣م، ج٢ ص ص١١٣٩، ١٣٢٦-١٣٢٧.

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص١٥٤.

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص٣٩٠.

(٥) عياض: ترتيب المدارك، ج٨ ص٩٥.

هذيل بن تاجيت البكري (ت٤٩٥هـ/١١٠١م) الذي كان بيته «بيت علم ونباهة وفضل وجلالة»[١].

وبرزت في هذا السياق أيضًا بعض البيوت العلمية في بعض المدن الأَنْدَلُسية، مثل قُرْطُبَةَ التي كان منها الفقيه المشهور أحمد بن محمد بن زياد المعروف بشبطون اللخمي (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) الذي وصفته المصادر بأنه كان «من بيوت العلم بقُرْطُبَةَ والجلالة»[٢]، وكذلك المفتي عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي (ت٤٣٢هـ/١٠٤٠م) الذي كان «من بيوتات العلم والشرف بقُرْطُبَةَ»[٣]، وموسى بن هذيل (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م) وابنه عبد الصمد (ت٤٩٥هـ/١١٠١م) اللذين يوصفان بأنهما «من بيت علم ونباهة وفضل وجلالة»[٤].

ولم يقتصر الأمر على قُرْطُبَةَ فحسب، وإنما تعداه إلى المدن الأخرى كإِشْبِيلِيَةَ التي كان منها المفتي محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي (ت٤٣٣هـ/١٠٤١م) الذي يذكر عياض[٥] عنه أنه «بيته بيت علم هو وأبوه وجده»، وكذلك في مالقة هناك المفتي محمد بن أيوب بن بسام (ق٥هـ/١١م) الذي كان من أبناء «مشاهير بيوت العلم»[٦].

ولا شك أن النشأة الاجتماعية في أحد بيوت العلم أو الإفتاء ينعكس آثارها على الأبناء حيث كانوا غالبًا ما يتلقون العلم عن آبائهم، ولهذا وجدنا ظاهرتين اجتماعيتين تخصان المفتين:

أولاهما: أن الكثير من المفتين تروي المصادر أنهم تلقوا العلم عن آبائهم: سمعوا[٧] أو رووا[٨] أو أخذوا[٩] العلم والكتب عنهم.

والظاهرة الثانية أننا إذا حاولنا النظر إلى المفتين بالأَنْدَلُس بوجه عام سنجد

(١) ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٥٥٠ .

(٢) عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص١٨٩ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٢٦ .

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٥٥٠ .

(٥) ترتيب المدارك، ج٨ ص٤٦ .

(٦) المصدر نفسه، ج٨ ص ص٩٥-٩٦ .

(٧) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٥٦٣؛ الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١ ص٢٠٣؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص ص ٨٥، ٩٢، ١٢٤، ١٥٢؛ ج٧ ص٤١ .

(٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩١٠؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص ص ٢٦٢، ٤٢١؛ ج٥ ص ص١٦٢، ١٦٧؛ ج٧ ص٤٠ .

(٩) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص ص١١، ١٨٢ .

مجموعة من الأسر يعود إليها كثير من مفتي الأَنْدَلُس، وهذه الأسر يمكن تناول أبرزها فيما يأتي:

١. أسرة المفتي يحيى بن يحيى الليثي (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م) وهو رأس هذه الأسرة، التي نجد ثمانية من المفتين الكبار يرجعون إليها، يأتي على رأسهم ثلاثة من أبناء يحيى نفسه وصلوا إلى درجة الإفتاء، وهم: إسحاق (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)(١)، وأحمد (ت٢٩٧هـ / ٩٠٩م)(٢)، وعبيد الله (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م)(٣). ثم يأتي ثلاثة مفتين آخرين من الجيل الثاني، وهم: يحيى بن إسْحَاق بن يَحْيَى (ت٢٩٣هـ/٩٠٥م)(٤)، ويحيى بن عُبَيْد الله بن يَحْيَى (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)(٥)، ومُحَمَّد بن عَبْد الله بن يحيى، المعروف بابن أبي عيسى (ت٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)(٦). ويضاف إلى هؤلاء جميعًا عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن يحيى (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م)(٧)، وإدْرِيس بن عُبَيْد الله بن إدْرِيس بن عُبيد الله بن يَحْيَى (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م)(٨). ويُفهم من ذلك أن هذه الأسرة ظلت تنتج مفتين خلال فترة زمنية طويلة تقرُب من قرن ونصف.

٢. أسرة ابن لبابة، وينتمي إليها ثلاثة من المفتين على رأسهم محمد بن عمر بن لبابة (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)(٩)، وابنه أحمد (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)(١٠)، وابن أخيه محمد بن يحيى (ت٣٣٦هـ/٩٤٧م)(١١).

٣. أسرة ابن السليم، وعميدها المفتي أبو بكر محمد بن إسحاق بن السليم (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)(١٢). وقد أفتى من الأسرة كذلك أخوه أبو الحكم منذر بن إسحاق بن السليم (ق٤هـ/١٠م)(١٣)، وابنه أبو الوليد عبد الله (ت٤٠٢هـ/١٠١١م)(١٤).

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٢٤ .

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٦٢-٦٣؛ ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج٢ ص٧٧٩ .

(٣) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٢٢٩؛ ابن الفرضي: المصدر السابق ، ج١ ص٤٢٩ .

(٤) الخشني: المصدر السابق، ص٣٧٩؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩١٠؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٣٥١ .

(٥) عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص١٦١؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٣٦٠ .

(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٧١٨-٧١٩؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٩٦-٩٧ .

(٧) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٩٥ .

(٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٣٠؛ عياض: المصدر السابق، ج٧ ص٤١ .

(٩) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص ٦٨٠- ٦٨١؛ ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج٢ص٧٨٢-٧٨٣ .

(١٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٨٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٩٢-٩٣ .

(١١) الخشني: أخبار الفقهاء ، ص١٧٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٠ .

(١٢) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٢٨٠-٢٨٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢١٤-٢١٦ .

(١٣) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٢٨٩ .

(١٤) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٢٨٩؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص٣٩٠ .

٤. أسرة ابن سيار، ورأسها قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)[١]، وقد وصل إلى درجة الإفتاء هو وابنه محمد (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)[٢]، وحفيده قاسم (ت٣٥٣هـ/ ٩٦٤م)[٣].

٥. أسرة ابن جماهر الحجري بطُلَيْطُلَة، وتذكر المصادر ثلاثة من المفتين ينتمون إلى هذه الأسرة، وهم: محمد بن جماهر (ت٤٢٤هـ/١٠٣٢م)[٤]، وابنه عبد الله (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)[٥]، وكذلك جماهر بن عبد الرحمن بن جماهر (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م)[٦].

ويمكن القول وفقًا لتحليل مكاني بأنه لم توجد ظاهرة الأسرية في الإفتاء بالأَنْدَلُس إلا في خمس مدن فقط من المدن الأَنْدَلُسية، هي: قُرْطُبَة، وإشْبيلِيَة، وطُلَيْطُلَة، وبَاجَة، وشلب، وأن قُرْطُبَة تحتكر وحدها معظم الأسر الإفتائية، كما يلاحظ أن الأسر الممتدة زمنيًا عبر أكثر من قرن لا توجد إلا في قُرْطُبَة.

وإذا أخذنا في الاعتبار البعد الزمني سنجد تحقق هذه الأسرية طوال الفترة الزمنية من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري.

ومن الممكن تفسير وجود مثل هذه الظاهرة بأنه يرجع إلى الوسط العلمي والتنشئة في بيئة تكون فيها الفتوى على درجة من الأهمية تجعل أفراد بعض الأسر يكتسبون المعارف التي تؤهلهم للوصول إلى درجة الإفتاء.

الشروط العلمية الواجب توافرها فيمن يقوم بالإفتاء:

بطبيعة الحال كانت الشروط العلمية تأتي على رأس الشروط التي كان يتم اختيار المفتين على أساسها، فكان لا بد أن يكون الذي يتصدى للإفتاء عالمًا من العلماء، وأن يكون من أهل الاجتهاد، عالمًا بالكتاب والسنة وأصول الفقه والإجماع والاختلاف ، ومقاصد الشريعة[٧]، وذكر صاحب «نفح الطيب» أن الأمويين بالأَنْدَلُس «كانوا لا يقدمون

---

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٤٦-٤٤٨؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٤٣-١٤٤ .

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٦٩٨-٦٩٩؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢ ص٦٢-٦٣ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٢ .

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٥٤-٧٥٥ .

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ص٤٢٨-٤٢٩ .

(٦) المصدر نفسه، ج١ ص٢١٧-٢١٨ .

(٧) حسين محمد الملاح: الفتوى (نشأتها وتطورها، أصولها وتطبيقاتها). بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ص ٥٩٠-٥٩٨؛ إسماعيل الدفتار: مفهوم الفتوى وقواعدها ومن له حق الفتوى. [ضمن مؤتمر فوضى الفتاوى: الانعكاسات وأساليب المواجهة] القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ٢٠١١م، ص ص٩-١٠ .

وزيرًا ولا مشاورًا ما لم يكن عالمًا»؛ أي أن الشروط الأساسية. و البدهية في الوقت نفسه . التي على أساسها يتم اختيار المفتين المشاورين هي الشروط العلمية، وهي شروط تؤكدها المصادر على النحو الآتي:

تصف كتب التراجم المفتين بصفات دالة على اقتران الفتوى بالعلم؛ ومن ذلك وصف البعض بأنه: كان «عالمًا بالفتيا»(١)، أو «من أهل العلم والفتوى»(٢)، أو أنه «كان منسوبًا إلى العلم والفتيا»(٣)، أو أنه كان «يشرح العلم ويفتي»(٤)، أو أنه كان «متصرفًا في كل باب من أبواب العلم»(٥)، أو أنه «من جلة العلماء»(٦)، أو «من علماء الناس»(٧)، أو «من أهل العلم ومن العلماء المتقدمين»(٨)، أو «من أهل العناية بالعلم والتكلم في الفتيا»(٩)... إلى غير ذلك من أوصاف.

وكان العلم الذي يأتي في صدارة العلوم المهيئة للفتوى هو الفقه؛ الذي يجعل المفتي حافظًا للرأي، عالمًا بالنوازل والمسائل، متقدمًا في معرفة الأحكام والشروط(١٠). ولهذا كثيرًا ما تقترن صفة الفقيه بالمفتي سواء جاءت مقترنة بالمكان مثل «فقيه الأَنْدَلُس»، «فقيه بموضعه»، «فقيه جهته»، «فقيه بلده ومفتيه»، أو «من فقهاء قُرْطُبَة»، أو «فقيه بحضرة جَيَّان»(١١)، أو مرتبطة بالزمان، مثل: «فقيه عصره»، أو «فقيه بلده في وقته»، أو «إمام عصره وفقيه زمانه»(١٢)، أو مرتبطة بالمكانة والشهرة، مثل: «من الفقهاء

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٤٣١؛ ج٢ ص٨٠٢؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص٢٩٠؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢١٢-٢١٣ .

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص ص١١٣، ٤٥٨؛ ج٦ ص١٦٥؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٧٨؛ ج٢ ص٨٦٣ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٨٧٩ .

(٤) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٩٠ .

(٥) المصدر نفسه، ج٨ ص١٣٢ .

(٦) ابن بشكوال: الصلة، ج٣ ص٨١١ .

(٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٢٩٧ .

(٨) الخشني: أخبار الفقهاء، ص١٤١ .

(٩) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٦١ .

(١٠) إحسان عباس: الشورى في الأَنْدَلُس والمغرب منذ بداية الدولة الأموية حتى نهاية دولة الموحدين. [ضمن كتاب الشورى في الإسلام]، ص٣٥٠ .

(١١) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص١٠٦؛ ج٥ ص ص٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٠؛ ج٨ ص ص٢٢، ١٥١، ١٨٤؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص١٧٤؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٦٤ .

(١٢) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص٢١٧؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص٣٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٤ .

المشهورين»، أو «أحد أكابر الفقهاء»، أو «من كبار الفقهاء» أو «من جلة الفقهاء»، أو «مقدمًا في الفقهاء»، أو كان «موصوفًا بالفقه»، أو أنه «كان عالمًا»، أو «عالمًا فقيهًا»(١)... إلى غير ذلك. وليس شرطًا أن يكون كل فقيه مفتيًا؛ ولهذا ظهر التمييز الواضح بين أن يكون الشخص فقيهًا فقط، وأن يكون فقيهًا وصل إلى درجة الإفتاء في التأكيد على وجود الصفتين معًا في تراجم الكثير من المفتين، مثل وصف البعض بأنه «كان فقيهًا مفتيًا»(٢)، أو أنه «من أهل الفقه والفتيا»(٣)، أو «من أهل الفقه والشورى»(٤) وغيرها من أوصاف تؤكد العلاقة بين الفقه والفتوى من ناحية، وتظهر تميز بعض الفقهاء بالفتوى من ناحية ثانية.

ومن نافلة القول أنه لا بد للمفتي أن يكون قد وصل إلى درجة الفقيه قبل قيامه بالإفتاء، أي أن شروط الفقيه كلها تتحقق في المفتي، وهذه الشروط يمكن معرفة أبرز معالمها من خلال ما يذكر عن الفقيه محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م) من أنه «كان لا يرى أن يسمى طالب العلم فقيهًا حتى ...يبرع في حفظ الرأي، ورواية الحديث وتبصره، ويميز طبقات رجاله، ويحكم عقد الوثائق، ويعرف عللها، ويطالع الاختلاف، ويعرف مذاهب العلماء، والتفسير، ومعاني القرآن. فحينئذ يستحق أن يسمى فقيهًا، وإلا فاسم الطالب أليق به»(٥). ومن هذا النص تتبين عدة سمات علمية يجب توافرها في طالب العلم، حتى يُمكن وصفه بالفقيه بعد ذلك، منها ما يتصل بالمصدرين الأولين للتشريع الإسلامي، وهما: القرآن، والسنة، ومنها ما يرتبط بالآراء المختلفة للعلماء، وكذلك الدراية بفنيات عقود الوثائق وعللها.

وحتى يمكن الوثوق بعلم المرشحين للإفتاء كانت تُعقد لهم الاختبارات العلمية، ويذكر صاحب «نفح الطيب»(٦) أن الأمويين في الأَنْدَلُس «كانوا لا يقدمون أحدًا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة »، أي أن من الإجراءات

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٥٦٦؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١ ص١٠٣؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٧٨؛ ج٧ ص٤٢؛ ج٨ ص ص١٦، ٢٤؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٤٩٨؛ ج٣ ص ص٦٣٥، ٧٨٣، ٨١١؛ الضبي: بغية الملتمس، ج١ ص١٠٩ . ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص٣٩١؛ ج٢ ص ص٧١، ٣٥٩ . ابن الزبير: صلة الصلة، ج٣ ص٢٩٣ .

(٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٩١؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٣٩؛ ج٦ ص١٦٤؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غَرْنَاطَة، ج٢ ص٥٤٩ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٧٢ .

(٤) المصدر نفسه، ج٦ ص١٥٢ .

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥١؛ محمد عبد الوهاب خلاف: تاريخ القضاء في الأَنْدَلُس، ص٢٣١ .

(٦) المقري، ج٣ ص٢١٤ .

التي اتبعت في اختيار المفتين عقد الاختبارات العلمية المتعددة، وتنظيم مجالس لمذاكرته فيما تحصل عليه من علوم. ويبين أهمية ذلك ما يذكره ابن سهل من أنه سمع أستاذه ابن عتاب يقول: «الفتيا صنعة». ومن قبله قال أبو صالح أيوب بن سليمان رضي الله عنه: «الفتيا دربة، وأول حضوري الشورى في مجالس الحكام ما دريت ما أقول في أول مجلس شاورني فيه سليمان بن أسود، وأنا أحفظ المدونة والمستخرجة الحفظ المتقن»(١).

ويدل هذا القول على أن العلم النظري وحده لا يؤهل الفقيه لأن يكون مفتيًا، وإنما لا بد أن تضاف إليه الممارسة العملية، وهو المعنى الذي أكد عليه ابن سهل. وهو مفتي مشاور. في تعليقه على هذه المقولة بقوله: «من تفقد هذا المعنى من نفسه ... وجد ذلك حقًا، وألفاه ظاهرًا وصدقًا، ووقف عليه عيانًا، وعَلمه خبرًا، والتجربة أصلًا في كل فن، ومعنى مفتقر إليه في كل علم»(٢).

ويؤكد ذلك كله على أهمية التجربة العملية في تدريب الفقهاء وإعدادهم ليكونوا مفتين. وتؤدي مجالس المذاكرة هذا الدور في التدريب والإعداد والتمرس في الإفتاء، بمعنى إعداد من يتصدى للفتوى إعدادًا فكريًا وعمليًا صحيحًا.

ومن أبرز الأمور التي يُمكن الحرص عليها خلال مراحل الإعداد والتدريب والتمرس: الحفظ، والضبط، والفهم والتعقل، والتبصر. وهي صفات وُصف بها كثير من المفتين؛ كأن يُقال إن هذا المفتي أو ذاك «من الحُفَّاظ»(٣)، أو «من أهل الحفظ والرواية»(٤)، أو كان «حافظًا للفقه»(٥)، أو«فقيهًا حافظًا للرأي»(٦)، أو «حافظًا لرأي مالك»(٧)، أو «حافظًا للمذهب»(٨). أو أنه «كان ضابطًا للفقه»(٩). أو أنه «من أهل العلم والفهم والعقل»(١٠)، أو «من أهل الذكاء، والفطنة»(١١)، أو «من أهل البصر بوثائق الأحكام»(١٢)... إلخ.

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٣٢؛ ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١ ص٢٤ .
(٢) ابن سهل: المصدر السابق، ج١ ص٢٤ .
(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢٠٤ .
(٤) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٢٠؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص١٧١ .
(٥) الخشني: المصدر السابق، ص١٣؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٧٠؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٦٤ .
(٦) الخشني: المصدر السابق، ص١٦٤؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٤٣ .
(٧) عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص١٦٥ .
(٨) المصدر نفسه، ج٦ ص١٤٨ .
(٩) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٥٧٤ .
(١٠) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٢٧؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص٢٩٦ .
(١١) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٣٢و ج٧ ص١٢٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص ٢٣٦و ج٢ ص٧١٠ وج٣ ص٩٦٢؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠١ .
(١٢) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٧٥ .

ولهذا وجدنا أن المفتين غالبًا ما يكونون من أئمة العلماء والفقهاء[١]؛ حيث مثلت هذه النواحي العلمية المختلفة الرخصة بالإفتاء، فالمفتي يحمل الإجازات العلمية والسماع والرواية التي تفيد كونه عالمًا؛ وبهذا يكون الطريق ممهدًا له ليندرج في سلك أهل الفتوى.

الرحلات العلمية للمفتين

تعد الرحلات العلمية إحدى الأسس المكونة للشخصية العلمية لدى المفتين. وهذه الرحلات لم تقتصر فقط على الرحلة داخل أرجاء الأَنْدَلُس وحدها، بل شملت كذلك الرحلة إلى بلدان العالم الإسلامي المختلفة.

وبالنسبة للرحلات العلمية الداخلية في الأَنْدَلُس يمكن تقسيم المفتين الأَنْدَلُسيين في رحلاتهم الداخلية - في ضوء كتب التراجم - إلى أربعة أقسام، هي:

أولا. مفتون طلبوا العلم في بلدانهم وفي قُرْطُبَةَ، مثل:

١. مفتون من إِشْبِيلِيَةَ طلبوا العلم في قُرْطُبَةَ بجانب بلدتهم[٢]: كما في حالة حسن بن عبد الله الزبيدي (ت٣١٨هـ/٩٣٠م)، و عَليّ بن عَبْد القَادِر الكلاَعِيّ (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)، و عِيسى بن خَلَف الخولانِيّ (ت٣٤٢هـ/٩٥٣م)، و محمد بن عُمَر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).

٢. مفتون من ألبيرة تلقوا العلم فيها وفي قُرْطُبَةَ[٣]: مثل أحمد بن علاء الخولاني (ق٤هـ/١٠م).

٣. مفتون تلقوا العلم في بلدتهم رية، وكذلك قُرْطُبَةَ[٤]: مثل سَعْدَان بن إبراهيم بن عَبْدالوَارِث (ت٣١٠هـ /٩٢٢م).

٤. مفتون طلبوا العلم في بلدتهم طُلَيْطُلَة وفي قُرْطُبَةَ[٥]، مثل: إسحاق بن إبراهيم (ت بعد ٣٠٠هـ/٩١٢م)، و محمد بن عبد الله بن عيشون (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)، وعبد الرحمن بن عيسى المعروف بابن دراج (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)، ومحمد بن موسى بن مغلس

(١) حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأَنْدَلُس، ص٢٨ .

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ص٥٢٩، ٥٦١، ٧٤٧؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص٢٣٥؛ ج٦ ص١٦١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص٣٢٦ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٤ .

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٣٢١؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٤١ .

(٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٤٣؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٣٢؛ ج٦ ص١٢٧؛ ج٧ ص٢٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٤٤؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٤ .

(ق٥هـ/١١م).

ثانيًا ـ مفتون طلبوا العلم في قُرْطُبَةَ ومدن أخرى غير بلدانهم: ومن هؤلاء أبو محمد الأصيلي (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) الذي خرج من بلدته شذونة وطلب العلم في قُرْطُبَةَ ووادي الحجارة وبَجَّانَةَ[١]، و حريش بن إبراهيم (ق٤هـ/١٠م) الذي رحل عن مدينته وادي آش طالبًا للعلم في قُرْطُبَةَ وبَجَّانَةَ[٢]، وعبد الله بن محمد بن شريعة اللخمي (ت٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) الذي قدم إلى قُرْطُبَةَ والبيرة ليطلب العلم فيهما آتيًا من بلدته إشْبِيلِيَةَ[٣].

ثالثًا ـ مفتون لم يأتوا إلى قُرْطُبَةَ، واكتفوا بتطلب العلم في مدن أخرى قليلة، مثل عَرِيف اللورقي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) الذي لم تذكر المصادر أنه طلب العلم في أية مدينة أندلسية أخرى غير بلدته لورقة إلا في مدينة إلبيرة[٤]. وهذه الفئة هي أقل الفئات عددًا.

رابعًا ـ مفتون جاءوا إلى قُرْطُبَةَ، وتلقوا العلم فيها دون غيرها من مدن أندلسية. وهذه الفئة هي أكبر الفئات والشواهد المعبرة عنها أكثر من أن تُحصى، والجدول التالي يذكر بعضها:

المدن التي قدم المفتون منها إلى قُرْطُبَةَ	المفتون
إستجة	إسحاق بن إبراهيم المرادي (ت٢٨٨هـ/ ٩٠٠م)
إشْبِيلِيَةَ	محمد بن جنادة الألهاني (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م)
	محمد بن مروان الأيادي (ت٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م)
بَاجَةُ	عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)
بطليوس	حسن بن شرحبيل (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م)
	حَزْم بن الأحمر (ت٣٠٥هـ/ ٩١٧م)
	وطوق بن ميسرة (ت٣١٥هـ/ ٩٢٧م)
	حُبَابَ بن زَكَرِيَاء (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م)
الجزيرة الخضراء	منذر بن الحسن الكلاعي (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)
	خَلَفَ بن عَبْدالله الخولاني (ق٤هـ/ ١٠م)

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٧ ص١٣٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص٤٣٢ .

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٢٢٨؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٤ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص٢٤-٣٥ .

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٥٧٤؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٦٨ .

شذونة	سَعِيد بن يُوسُف الخَولاني (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)
	حَمْدون بن سَعْدُون التجيبيّ (ت٣٦٤هـ/ ٩٧٤م)
	سَعِيد بن مُرشِد العُكيّ (ت٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)
	عبد الله بن يوسُف البَلوطيّ (ق٤هـ/ ١٠م)
طُلَيْطُلَة	عبد الله بن سعيد الطليطلي (ت٣١٧هـ/ ٩٢٩م)
	مُحَمَّد بن أحمد بن حَزْم (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)
	سعيد بن أحمد الأنصاري (ت٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)
	محمد بن جماهر الحجري (ت٤٢٤هـ/ ١٠٣٢م)
وَشْقَة	محمد بن سليمان المُعَافِريّ (ت٢٩٥هـ/ ٩٠٧م)

جدول (١) أبرز المفتين القادمين إلى قُرْطُبَة

ويستنتج مما سبق أن رحلات المفتين داخل الأَنْدَلُس في غالبيتها اتجهت إلى قُرْطُبَة؛ المركز العلمي الأول في الأَنْدَلُس، والتي يكثر بها العلماء والفقهاء والمفتون. أما الرحلات إلى المدن الأخرى فقليلة.

ويمكن القول بأن ارتباط بعض الرحلات العلمية بغير قُرْطُبَة من المدن الأَنْدَلُسية قد يعود إلى وجود بعض الشيوخ الكبار في هذه المدن في تلك الفترات الزمنية، كما أن اقتصار بعض المفتين في طلبهم للعلم على مدن بعينها قد يعود إلى الحالة المادية لهؤلاء المفتين التي لم تكن تسمح لهم بكثرة التنقل بين المدن.

هذا عن الرحلات الداخلية في الأَنْدَلُس، أما بخصوص الرحلات الخارجية فيمكن من خلال كتب التراجم التوصل إلى عدة حقائق، أهمها:

أولًا. أفصحت المصادر عن أن أكثر من مائة وأربعين مفتيًا وبنسبة تقترب من ثلث العدد الإجمالي للمفتين كانت لهم رحلات خارج الأَنْدَلُس، وهي نسبة لا بأس بها، وتدل على الأهمية التي حظيت بها الرحلة في التشكيل الثقافي والتكوين العقلي لطائفة كبيرة من المفتين بالأَنْدَلُس.

ثانيًا. مما يبيِّن مكانة الرحلة في تشكيل ثقافة المفتين بالأَنْدَلُس أن المصادر لم تنص صراحة على عدم قيام بعض المفتين برحلات إلا فيما يخص سبعة فقط من المفتين وصفت المصادر كلا منهم بأنه «لم تكن له رحلة» أو «لم يرحل»، وهم تحديدًا: جابر بن

نادر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، وزقنون بن عبد الواحد (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) ، ومحمد بن عوف العكي (ق٣هـ/٩م) ، ومحمد بن عثمان المعروف بابن أرفع رأسه (ت٣٠٢هـ/٩١٥م)، ومحمد بن ميمون (ت٣٠٥هـ/٩١٧م) ، ومحمد بن إبراهيم بن مسرور (ت٣١٩هـ/٩٣١م)، وأحمد بن بشر التجيبي (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)(١).

ثالثًا. أن بعض مفتي الأَنْدَلُس كانت لهم رحلات سكتت المصادر عن ذكر البلدان التي توجهوا إليها، أو ذكرت أسماء بعض العلماء الذين لقيهم هؤلاء الفقهاء، والذين يُستدل منهم على أماكن الرحلات كما في تراجم: محمد بن عبد الله بن عيشون (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)، وأزهر بن منفلت (ق٤هـ/١٠م)، ومحمد بن جماهر الحجري (ت٤٢٤هـ/١٠٣٢م)، ومحمد بن أحمد الباجي (ت٤٣٣هـ/١٠٤١م)(٢).

رابعًا. كان لبعض المفتين أكثر من رحلة خارج الأَنْدَلُس، منهم من كانت له رحلتان مثل: قاسم بن محمد (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م) ، وحسن بن سعد الكتامي (ت٣٣٢هـ/٩٤٣م) ، ومحمد بن عبد الله التجيبي (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)(٣)، ومنهم من كانت له ثلاث رحلات مثل: الحسين بن حي التجيبي (ت٤٠١هـ/١٠١٠م)(٤).

خامسًا. بعض الرحلات كانت تطول لعدة سنوات، مثل رحلة المفتي منذر بن الحسن الكلاعي (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) التي استمرت لمدة ثماني سنوات زار فيها مصر والحجاز وبغداد والشام والقيروان(٥)، ورحلة المفتي قاسم بن خلف (ت٣٧١هـ/٩٨٢م) التي استمرت ثلاث عشرة سنة شملت مصر وجدة ومكة والعراق(٦).

سادسًا. بعض مفتي الأَنْدَلُس الذين ارتحلوا تبوأوا مقعد الفتوى في البلاد التي رحلوا إليها(٧)، ومنهم: محمد بن عمر بن يوسف، المعروف بابن الفخار

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٦٩و١٠١و١٦٩ و١٨٣؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص١٨٨ و٢٨٧؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٥٩ و٤٦٦، وج٥ ص ١٨٧ و٢١٠ .

(٢) الخشني: المصدر السابق، ص٤٨؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٦٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٤٦؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٥٥؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢٠٤ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٢٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٤٤٦ ، و ج٦ ص ص١١٨-١١٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص١٤٣ .

(٤) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص٢٢٩ .

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص ص١٦٢-١٦٣ .

(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٦١٧؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص١٥١ .

(٧) بعض الفقهاء الأَنْدَلُسيين الذين رحلوا إلى خارج الأَنْدَلُس، استقروا في البلدان التي رحلوا إليها وتولوا الإفتاء فيها، ومن هؤلاء فقيهان من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، هما: مروان بن عبد الملك الذي رحل إلى إقريطش [كريت] وكانت فتياها تدور عليه، وعمر بن محمد بن أبي حُجَيرة القرطبي وقد «رحل وتردد بمصر ورأس بها في الفتيا على مذهب مالك وأصحابه» [انظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ص٥٤٦، ٥٤٧و٨١٥-٨١٦].

(ت٤١٩هـ/١٠٢٨م) الذي سكن مدينة رسول الله ﷺ وأفتى بها، وكان يفخر بذلك على أصحابه ويقول: «لقد شُوورْتُ بمدينة الرسول ﷺ دار مالك بن أنس ومكان شوراه»[(١)]، وحسين بن عيسى المالقي (ت٤٥٢هـ/١٠٦١م) الذي أدى فريضة الحج، وقابل أحد علماء المالكية الكبار، وهو أبو ذر الهروي (ت٤٣٥هـ/١٠٤٣م) وسمع منه، وكان أبو ذر عندما يُستفتى بمكة عن أمر أحاله على المالقي تقديرًا له، وثقة منه في علمه[(٢)].

سابعًا- أن بعض الرحلات اكتفى بوصفها بأنها كانت إلى المشرق دون تحديد دقيق للبلاد التي تمت الرحلات إليها[(٣)]، وهي حالات قليلة.

أما معظم تراجم المفتين في الأَنْدَلُس إلى نهاية القرن الخامس الهجري فتذكر أماكن الرحلات، والأماكن التي تعددت تعددًا كبيرًا، يأتي في صدارتها بلاد الحجاز [مكة والمدينة وجدة] ثم مصر، ثم إفريقية وحاضرتها القيروان، ثم بلاد العراق، ويليها بلاد الشام، ثم تندر إلى اليمن وطرابلس وصقلية. كما يتضح من الجدول الآتي:

البلدان	عدد المفتين
بلاد الحجاز	٧٠
مصر	٥٤
إفريقية	٤٨
العراق	١٤
الشام	٦
اليمن	٢
طرابلس	١
صقلية	١

جدول (٢) رحلات المفتين الخارجية

والسبب في تركز الرحلات إلى بلاد الحجاز ومصر وإفريقية أكثر من غيرها يرجع

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٧ ص٢٨٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٤٧؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢٣٦ .

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص١٥١ .

(٣) انظر على سبيل المثال: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ٥٦٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٧ ص ٣٤،٣٣ وج٨ ص ٢٤؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص ٦٧و٢٥٩، وج٢ ص ٦٢٩؛ وج٣ ص ٩٥٩-٩٦٠ .

إلى أنها المناطق الأساسية لعلماء المذهب المالكي الذي انتشر في الأَنْدَلُس، ونتج عن ذلك اتجاه المفتين الأَنْدَلُسيين في رحلاتهم إلى السعي لمقابلة علماء المالكية في هذه البلاد الثلاثة.

كما أن ذلك يرجع أيضًا إلى ارتباط معظم الرحلات بالحج إلى بيت الله الحرام في بلاد الحجاز، وتُعد إفريقية ومصر من أهم المحطات في الطريق إلى الحج. وكان التلقي العلمي خلال رحلة الحج يمثل إضافة لأداء الواجب الديني، أي أن الرحلات كانت تهدف إلى تحقيق عدة أهداف، منها الحج، وربما التجارة كذلك. وفي هذا الصدد يمكن تقسيم رحلات الحج إلى عدة أقسام: أولها رحلة من أجل الحج فقط، مثلما حدث مع أحمد بن ذي القرنين (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، وعثمان بن عبد الرحمن (ت٣٢٥هـ /٩٣٦م)، ومحمد بن مسور (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)[١]، وثانيها رحلة من أجل الحج وتلقي العلم، مثل: أحمد بن بيطر (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)، ومحمد بن إبراهيم بن عيسى الكتاني (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، ويحيى بن مسعود اللورقي (ت٣٣٢هـ/٩٤٤م)، وخَلَفَ بن عَبْد الله بن مُخَارِق الخولانيّ (ق٤هـ /١٠م)[٢] ... وغيرهم. وثالثها رحلة من أجل الحج والعلم والتجارة مثل: عبيد الله بن يحيى الليثي (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م)[٣].

وكان طلب العلم خلال هذه الرحلات يتمثل في: حضور المجالس العلمية والمناظرات[٤]، والرواية من العلماء[٥]، أو السماع منهم[٦].

أما التوزيع الزمني لرحلات المفتين الخارجية فإنه يتضح من الجدول التالي:

---

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٢٦و١٦٤؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٥١٦ و٦٩٥؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص١٨٨ .

(٢) الخشني: المصدر السابق، ص٣٨١؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٦٩و ٢٤٦، وج٢ ص ٧٠٠و ٩١٥ .

(٣) الخشني: المصدر السابق، ص٢٢٩؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٤٢٩ .

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٤٦٤؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص ص١٤٥، ١٥٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٥ .

(٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص ص٩٢، ٣٥٤؛ ج٢ ص٩١٣؛ عياض: المصدر السابق، ج٣ ص ص٣٤٣، ٣٤٥؛ ج ٤ ص ص ٢٥٣، ٤٢٥، ٤٥٢؛ ج ٥ ص ص ١٥٣، ١٨٠، ٢٣٣؛ ج ٦ ص ص ١٦١، ١٦٩؛ ج ٨ ص ١٦١؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١ص١٥٤، ٢٤٤، ٢٧٦؛ الضبي: بغية الملتمس، ج١ ص٣٠٢، ٣٠٤؛ ج٢ ض٥٤٧.

(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٤٤١، ٤٥٤، ٤٦٤، ٤٧٤؛ ج٢ ص ص٥١٦، ٥٢٩، ٥٧٤، ٦٢٠؛ عياض: المصدر السابق، ج٣ ص٣٨٠؛ ج٤ ص ص١٠٥، ٢٤٥، ٢٥٠؛ ج٥ ص١٦٤، ٢٣٤، ٢٣٧؛ ج٦ ص ص٩٣، ١١١، ١١٨، ١٢٦، ١٥٤؛ ج٧ ص ص٨، ١٤، ٣٢، ٣٤، ١١٤؛ ج٨ ص ص١٥، ٤٧، ١٤٠؛ الحميدي: المصدر السابق، ج١ص ص٧٧، ١٠٣؛ ج٢ ص ص٤١٩، ٦٠٩؛ الضبي: المصدر السابق، ج٢ ص٦٨٥ .

القرن	عدد المفتين
الثاني الهجري/ الثامن الميلادي	٣
الثالث الهجري/ التاسع الميلادي	٥١
الرابع الهجري/ العاشر الميلادي	٦١
الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي	٢٨
المجموع	١٤٣

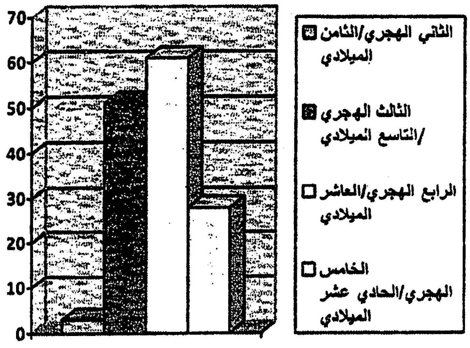

جدول (٣) التوزيع الزمني للرحلات العلمية الخارجية للمفتين الأَنْدَلُسيين حتى نهاية القرن الخامس الهجري

ويتبين من هذا الجدول أن منحنى رحلات المفتين كان في تصاعد مستمر حتى وصل إلى أعلى معدل له خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

غير أنه يلاحظ تراجع حركة الرحلات العلمية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي مقارنة بما سبقه من قرون، وهذا ربما يكون تفسيره أن الفترة الزمنية الأولى لم تكن المدرسة المالكية الأَنْدَلُسية قد اكتملت أركانها، وكانت تحتاج إلى الاعتماد على المدارس المالكية السابقة عليها في بلاد الحجاز ومصر وإفريقية، ولكن في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي اكتملت معالم هذه المدرسة، وبالتالي قل الاعتماد على خارج الأَنْدَلُس خاصة مع تزايد علماء المذهب المالكي وفقهائه في الأَنْدَلُس، وتبع ذلك ما شهده القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي من تراجع لحركة الرحلات خارج الأَنْدَلُس.

ويتأكد ذلك إذا قارنا من كانت لهم رحلة من مفتي الأَنْدَلُس في كل قرن بعدد المفتين خلال هذا القرن، فقد كانت نسبتهم في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ٤٢,٨٥٪ [٣ من٧]، وفي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ٥٥,٩٥٪ [٤٧من٨٤] غير أن تلك النسب الكبيرة تراجعت منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وصارت ٢٦,٥٨٪ [٦٣من ٢٣٧] ، ثم شهدت أقل نسبة لها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فبلغت ١٨,٨٤٪ [٢٦من ١٣٨].

لقد كانت الأَنْدَلُس في القرنين: الثاني، والثالث الهجريين/الثامن، والتاسع الميلاديين تعتمد اعتمادًا كبيرًا في علمها وثقافتها على خارج الأَنْدَلُس، حيث لم تكن قد تكونت مدارس من العلماء والمفتين يتم الرجوع إليهم بعد، وهو الأمر الذي بدأت معالمه

تتضح بعد ذلك، خاصة منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

ومما يدل على التأثير الكبير لرحلات المفتين إلى خارج الأَنْدَلُس، أننا نلاحظ أن كل المفتين الذين تمذهبوا بغير المذهب المالكي كانت لهم رحلات علمية خارج الأَنْدَلُس باستثناء مفتٍ واحد فقط، وهذا معناه أن هذه المذاهب - كالمذهب المالكي - انتقلت تأثيراتها المحدودة إلى الأَنْدَلُس من خلال الرحلات الخارجية. ومن هؤلاء المفتين صعصعة بن سلام (ت١٩٢هـ/٨٠٨م) الذي كان على مذهب الأوزاعي(١). وممن كان لهم رحلة من المفتين الذين مالوا إلى المذهب الشافعي قاسم بن محمد (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)(٢)، ويحيى بن عبد العزيز، المعروف بابن الخراز (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م)(٣). ولما قام محمد بن سليمان المعافري (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م) برحلة إلى العراق كان من أثرها فيما يبدو أنه ذهب في الأشربة مذهب العراقيين(٤).

ومن نافلة القول أن مكانة الأَنْدَلُس العلمية جعلتها هدفًا ومستقرًا لبعض شيوخ العلم وطلابه الذين جاؤوا إليها مرتحلين من بلدانهم، واستقروا في قُرْطُبَةَ وغيرها ووصلوا إلى درجة الإفتاء، ومن هؤلاء محمد بن الحَارث بن أسد الخُشَنِيّ (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م) الذي وفد إلى قُرْطُبَةَ من مدينة القيروان، وتقول عنه المصادر: «وقَدِمَ الأَنْدَلُس حَدَثًا سنة اثنتي عشرة، فسمع بقُرْطُبَةَ من محمد بن عبد الملك بن أَيْمَن، وقَاسِم بن أصْبغ، وأحمد بن عُبَادة، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأحمد بن زياد، والحسن ابن سَعْد، وجماعة سِوَاهُم من شيوخ قُرْطُبَةَ»(٥). ومنهم أيضًا مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، الذي وفد على قُرْطُبَةَ قادمًا من القيروان أيام المظفر بن أبي عامر سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م ولم يؤبه بمكانه «إلى أن نوَّه بمكانه ابن ذكوان القاضي وأجلسه في الجامع، فنشر علمه، وعلا ذكره، ورحل الناس إليه من كل قطر، وولي الشورى والخطبة والصلاة إلى أن قعد عنها زمن الفتنة»(٦).

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٢٥٤ .

(٢) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٤٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٤٣ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩٠٨؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٥٧؛ المقري: نفح الطيب، ج٢ ص٦٢٧ .

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٦٥٨؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٧٢؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص ص٢٢٣-٢٢٤ .

(٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٨٠٢؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢١٢ .

(٦) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٣٤٢ .

وفي ختام الحديث عن رحلات المفتين الداخلية والخارجية يجب التنويه بأثر هذه الرحلات الذي أشارت إليه الشواهد المصدرية العديدة المعبرة عن تلقي المفتين العلم على يد العلماء والشيوخ سماعًا ورواية. ومن ذلك المفتين: محمد بن سعيد السبائي (ق٢هـ/٨م) الذي «له رواية وسماع ممن تقدَّمه من شيوخ الأَنْدَلُس»[١]، ومحمد بن يوسف ابن مَطْروح (ت٢٧١هـ/٨٨٤م) الذي روى بالأَنْدَلُس عن المفتي الغازي بن قيس (ت١٩٩هـ/٨١٤م) وعيسى بن دينار (ت٢١٢هـ/٨٢٧م)[٢]، كما أن محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) روى بالأَنْدَلُس عن بعض العلماء المفتين، منهم: المفتي يحيى بن يحيى الليثي (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م)، والمفتي سعيد بن حسان (ت٢٣٦هـ/٨٥٠م)، والمفتي عبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م)[٣]، وكذلك المفتي عبد الرحمن بن إبْراهِيم بن عِيسى (ت٢٥٨هـ/ ٨٧١م) الذي كان أستاذًا وشيخًا، وسمع منه مفتون كثيرون، منهم: محمد بن سعيد، المعروف بابن الملون (ق٣هـ/٩م)، وسَعيد بن خُمَير(ت٣٠١هـ/٩١٣م)، وأبو صالح أيُّوب بن سُليمان (ت٣٠٢هـ/ ٩١٤م)، وسَعيد بن عُثْمان الأعْناقيّ (ت٣٠٥هـ/٩١٧م)، ومحمد بن عُمَر بن لُبابة (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، وقاسم بن أصبغ (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)... وغيرهم كثير[٤].

ويتخلل ثنايا تراجم المفتين ذكر لكتب سمعوها أو أخذوا الإجازات بروايتها عن شيوخهم وأساتذتهم سواء كانوا من المفتين أو من غيرهم من علماء وفقهاء كبار. ومنهم: يحيى بن يحيى الليثي (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م) الذي سمع من مالك «الموطأ»[٥]، وهِشَام بن محمد بن أبي رزِّين (ت٣٣٦هـ/٩٤٧م) الذي «رَوى المُدَوَّنة عن محمد بن جنادة الإشْبيلي، أخبره بها عن عثمان بن أيُّوب، عن سَحْنُون»[٦]، وعلي بن حُسَين (ق٤هـ/١٠م) الذي «سَمعَ الوَاضِحَة من يُوسُف بن يَحْيَى المَغَاميّ»[٧]، وسراج بن عبد الله بن سراج (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) الذي «سمع من أبي عبد الله بن إبراهيم الأصيلي صحيح البخاري وفاته منه يسيرٌ أجازه له»[٨]، وعبد العزيز بن عبد الله بن هذيل العبدري الذي روى عن أبي الوليد الباجي، وسمع منه صحيح البخاري سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م[٩].

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص١١٣ .

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٦٣٩ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٤٤٨ .

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق . ج١ ص٤٤١ .

(٥) عياض: ترتيب المدارك، ج٣ ص٣٨٠-٣٨١ .

(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٨٩٢ .

(٧) المصدر نفسه، ج٢ ص٥٢٩ .

(٨) ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص٣٥٢ .

(٩) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج٣ ص٨٩ .

اجيال المفتين ورؤوس مدارس الإفتاء في الأَنْدَلُس

يمكن وصف كبار مفتي الأَنْدَلُس بأنهم من كان لهم تأثير كبير داخل المجتمع الأَنْدَلُسي سواء كان هذا التأثير راجعًا إلى علم الفتوى وأصوله بتدريسه، أو كان راجعًا إلى القيام بنشاط الإفتاء بشكل واضح أبرزته كتب النوازل والفتاوى.

ومعنى هذا أنه يمكن التوصل إلى كبار المفتين عن طريق اتجاهين: الاتجاه الأول هو كبار المفتين الذين تتلمذ على أيديهم أكبر عدد من المفتين الآخرين، والثاني: المفتون الذين تتردد أسماؤهم بكثرة في النوازل والفتاوى الواردة في مصادر النوازل خلال فترة البحث وما بعدها.

والاتجاه الأول تتبين معالمه بتحليل تراجم المفتين في كتب التراجم؛ وذلك عن طريق حصر جميع شيوخ المفتين وأساتذتهم الذين أوردتهم المصادر، وأمام كل أستاذ عدد المفتين الذين تتلمذوا على يديه. وقد تمخض هذا الحصر عن وجود مجموعة من المفتين الكبار، كل واحد منهم له أكثر من عشرة تلاميذ تولوا الإفتاء، وهو ما يلخصه الجدول الآتي:

مسلسل	المفتي الأستاذ	تاريخ الوفاة	عدد المفتين التلاميذ
١	يحيى بن يحيى الليثي	٢٣٤هـ/ ٨٤٨م	٢١
٢	محمد بن أحمد العتبي	٢٥٤هـ/ ٨٦٨م	١٧
٣	يحيى بن إبراهيم بن مزين	٢٥٩هـ/ ٨٧٢م	١٨
٤	محمد بن عبد السلام الخشني	٢٨٦هـ/ ٨٩٩م	١٨
٥	محمد بن وضاح	٢٨٧هـ/ ٩٠٠م	٤٩
٦	عبيد الله بن يحيى	٢٩٨هـ/ ٩١٠م	١٨
٧	سعيد بن خمير	٣٠١هـ/ ٩١٣م	١١
٨	أبو صالح أيوب بن سليمان	٣٠٢هـ/ ٩١٤م	١٦
٩	طاهر بن عبد العزيز القرطبي	٣٠٥هـ/ ٩١٧م	١٢
١٠	محمد بن عمر بن لبابة	٣١٤هـ/ ٩٢٦م	٣٣
١١	محمد بن عبد الملك بن أيمن	٣٣٠هـ/ ٩٤١م	٢٦
١٢	أحمد بن خالد	بعد٣٣٠هـ/ ٩٤١م	١٨

١٣	قاسم بن أصبغ	٣٤٠هـ/ ٩٥١م	٣٥
١٤	وهب بن مسرة الحجاري	٣٤٦هـ/ ٩٥٧م	١٤

جدول (٤) شيوخ الإفتاء في الأَنْدَلُس

ويمكن الخروج من هذا الجدول بنتيجتين: أولاهما: أن أكبر الأساتذة المفتين من حيث عدد التلاميذ المفتين هو محمد بن وضاح الذي بلغ عدد تلاميذه تسعة وأربعين مفتيًا. والنتيجة الثانية تتمثل في أن ظاهرة تعداد المفتين الذين لهم أساتذة من المفتين الكبار كانت شديدة الوضوح خلال القرنين: الثالث، والرابع الهجريين؛ حيث إن جميع المفتين الأساتذة الواردين في الجدول السابق ينتمون إلى هذين القرنين.

أما في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي فيلاحظ تراجع هذه الظاهرة إلى حد كبير، إلى الدرجة التي نجد فيها أن كثيرًا من المفتين لم يكن لهم تلاميذ من المفتين الآتين بعدهم إلا مفتيًا واحدًا أو اثنين. ولم يكن هناك تعداد إلا في حالات قليلة جدًا تتمثل في أربعة من المفتين الشيوخ، وهم: أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الفخار (ت٤١٩هـ/١٠٢٨م) الذي تروي المصادر أن عشرة من المفتين تتلمذوا على يديه[(١)]، وأبو عمر أحمد بن محمد بن القطان (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) الذي تتلمذ على يديه ثمانية من المفتين[(٢)]، وأبو عبد الله محمد بن عتاب (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م) الذي تتلمذ على يديه ستة من المفتين[(٣)]، وآخر هذه المجموعة أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، ويوجد سبعة من المفتين أخذوا العلم على يديه[(٤)].

والطريق الثاني الذي يُظهر لنا أكثر المفتين من حيث التأثير العلمي هو البحث عمن تردد ذكرهم بصورة كبيرة داخل كتب النوازل والفتاوى، ونجد في هذا الصدد أن المفتين الأكثر دورانًا هم: محمد بن غالب (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م)، ويحيى بن عبد العزيز (ت٢٩٥هـ /

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج ٨ ص ص ٩٤، ١٣١-١٣٤، ١٤٥-١٤٦؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص ص ١٠٨، ٢١٧-٢١٨، ٢٥٣-٢٥٥؛ ج٢ ص ص ٤٢٨-٤٢٩؛ ج٣ ص ص ٤٢٨-٤٢٩، ٧٨٣، ٧٩٨-٨٠٠، ٨٠٢؛ ٩٣١؛ ابن الأبار: التكملة، ج٢ ص ١٩٥، ٥٨١ .

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٨، ص ص ١٣٦-١٣٨، ١٨٠-١٨٣؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص ص ١١٤-١١٥؛ ج٢ ص ص ٤٥٩، ٥٠١، ٥٥٢، ٥٥٠، ٦٣٥-٦٣٦؛ ج٣ ص ص ٨٢٣-٨٢٤؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص ٤٣٩؛ ج٢ ص ص ٧٠-٧٢، ٢٤٢-٢٤٣ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص ص ١٨٢-١٨٣؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص ص ١١٤-١١٥؛ ج٢ ص ص ٤٢٨، ٥٠١، ٥٤٢-٥٤٣، ٦١٠-٦١١، ٦٣٥-٦٣٦ .

(٤) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص ص ١٨٠-١٨٣؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٢ ص ص ٤٥٩، ٥٠١، ٥٤٢-٥٤٣، ٥٥٠؛ ج٣ ص ص ٨١١، ٨٢٣-٨٢٤؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص ٤٣٩؛ ج٢ ص ص ٧٠-٧٢، ٢٤٢-٢٤٣ .

٩٠٧م)، وعبيد الله بن يحيى (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م)، وخالد بن وهب (ت٣٠٢هـ/٩١٤م)، وأيوب بن سليمان (ت٣٠٢هـ/٩١٤م)، وأحمد بن بيطر(ت٣٠٣هـ/٩١٥م)، وطاهر بن عبد العزيز(ت٣٠٥هـ /٩١٧م)، وسعد بن معاذ (ت٣٠٨هـ/٩٢٠م)، ومحمد بن وليد (ت٣٠٩هـ/٩٢١م)، ومحمد بن عمر بن لبابة (ت٣١٤هـ /٩٢٦م)، ويحيى بن سليمان (ت٣١٥هـ/٩٢٧م)، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن (ت٣٣٠هـ /٩٤١م)[1]. والملاحظ أنهم ينتمون جميعًا إلى فترة زمنية واحدة ما بين القرنين: الثالث، والرابع الهجريين.

وباستعراض الطريقتين السابقتين يتضح وجود خمسة من المفتين قد يُعَدُّون الأبرز في ساحة الإفتاء الأَنْدَلُسية؛ حيث شاركوا في تعليم الكثير من المفتين، وفي الوقت نفسه كان لهم إسهام كبير في إصدار الفتاوى، وهم: عبيد الله بن يحيى، وأيوب بن سليمان، وطاهر بن عبد العزيز، ومحمد بن عمر بن لبابة، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن.

أعمال علمية أخرى لأهل الفتيا

قام كثير من المفتين بأداء أعمال أخرى تتصل بوجه أو بآخر بالنواحي العلمية، وقد ألقت كتب التراجم الضوء على كثير من هذه الأعمال، ويمكن تقسيمها إلى مجموعتين على النحو الآتي:

المجموعة الأولى: أعمال حرفية وتجارية قام بها المفتون، مثل نسخ الكتب التي امتهنها المفتي قاسم بن حامد الأموي (ق٣هـ/٩م)[2]، ولا شك أن هذه المهنة ترتبط بالنشاط العلمي للمفتين، وعلاقتهم بالكتب والمؤلفات الفقهية.

أما المجموعة الثانية فهي التأديب والتدريس، وهي تعد من أهم ما قام به المفتون إلى جانب اضطلاعهم بالإفتاء، وهي في الوقت نفسه تعكس لنا الجوانب الثقافية المتنوعة للمفتين، وتحدثنا المصادر عن حلقات العلم التي كان يعقدها المفتون في الجوامع[3]، وتشير بعض الروايات إلى أن بعض المفتين «لم يكن لهم شغل إلا الدرس

---

(١) انظر: ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١ ص ص٨١، ٩٨-٩٩، ١١١، ١٢٨، ١٤٣-١٤٧، ١٩٩، ٢١٥-٢١٨، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٩٧-٢٩٨، ٣٠٠، ٣٧٨، ٣٩٩، ٤٧٨، ٥١٧، ٥٤٢-٥٤٥: ج٢ ص ص٦٨٤، ٧١٣، ٧١٩، ٧٨٥، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٤٧، ٨٥٠-٨٥٢، ٨٥٥، ٨٥٩، ٨٦٦، ٨٧٠، ٨٧٣، ٨٧٩: المالقي: الأحكام، ص ص٦٩، ٨١، ١٢٠، ١٣٥، ١٤٤، ٢٢٩، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣١٠ - ٣١٤، ٣٣٠، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤١٠، ٤٣٠، ٤٦٦، ٤٧٥؛ ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج١ ص ص ٢٢٦، ٢٨٤، ٤٤١، ٦٠١: ج٢ ص ص ٧٥٢، ٧٦٤، ٧٦٥، ١١٠١، ١٣١٢ .

(٢) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٣٠٦: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ٦٠٥.

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٤٢؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص ص٢٥٩، ٤٧٠؛ ج٧ ص٨: ج٨ ص١٨٢؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص ص٦٠٩، ٦١١.

والمناظرة»[١]، أو أن مفتيًا آخر «كان يجتمع إليه للسماع منه، والمناظرة عنده»[٢].

ومن أهم أعمال هذه المجموعة تأديب الصبيان وممن قام بها من المفتين: داود بن عبد الله (ق٣هـ/٩م)[٣] في إشْبِيلِيَة، و محمد بن حسن بن عبد الله الزبيدي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) في قُرْطُبَة[٤]. وأيضًا تعليم القرآن، ومن المفتين الذين عملوا بذلك إسحاق بن إبراهيم (ت بعد ٣٠٠هـ/٩١٢م) بطُلَيْطُلَة[٥]، وعبد الله بن سعيد الشقاق (ت٤٢٦هـ/١٠٣٤م) بقُرْطُبَة، فكان يقرئ الناس بالقراءات السبع[٦]، أما التدريس فعمل به كثير من المفتين، مثل: محمد بن أحمد الثقفي، المعروف بابن مروية (ق٥هـ/١١م) بجيّان[٧]، وإسحاق بن يحيى بن إبراهيم (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) بسرقسطة[٨].

ويدخل في إطار مهنة التدريس إسماع الكتب، وكان بعض المفتين يأخذون الأجر على قيامهم بإسماع الكتب، ومنهم: قاسم بن سهل بن أبي شعبون (ق٣هـ/٩م) بجيّان الذي سمع من العتبي مستخرجته، وكان يأخذ الأجر على إسماعها[٩].

النشاط العلمي للمفتين

يجرنا الحديث عن عمل المفتين في التدريس إلى الحديث عن النشاط العلمي الذي قام به المفتون. ومن خلال عشرات الشواهد المصدرية يتبين أن نشاط المفتين لم يقتصر على الاعتناء بالعلم الديني وحده، بل أخذ بعضهم من جميع العلوم بنصيب وافر[١٠] ومنهم من بلغ درجة التفنن في ضروب العلم[١١]. ويمكن تصنيف العلوم التي اهتم المفتون بدراستها والبحث فيها على النحو الآتي:

١. العلوم الأدبية واللغوية: وهي من العلوم المهمة للمفتي في فهمه للنصوص والفتاوى السابقة، وكذلك في طلبات الاستفتاء المكتوبة له ليفتي فيها. ومما يدل على

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٥٦ .

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٩١٤؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٧١ .

(٣) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٨٧ .

(٤) عياض: المصدر السابق ، ج٧ ص٣٨ .

(٥) المصدر نفسه، ج٥ ص٢٣٢ .

(٦) المصدر نفسه، ج٧ ص٢٩٦؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٤٠٩ .

(٧) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١ ص٢٤١ .

(٨) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٥٠ .

(٩) المصدر نفسه، ج٥ ص٢٢٧ .

(١٠) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢٠١ .

(١١) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص٢٨٤؛ ج٨ ص١٥٦؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص١٥٦؛ ج٢ ص٧٥٣.

تلك الأهمية ما يذكر في ترجمة المفتي أحمد بن عبد الملك الإشبيلي (ت٤٠١هـ/١٠١٠م) من أنه «كان في أول حاله لم يأخذ نفسه بتثقيف علم اللسان فذاعت في فتاواه غرائب من لحنه، نفاها عليه أصحابه، ثم فطن لنفسه، فأشاع ذكر مرض حبس نفسه فيه شهرًا عاكفًا على كتاب سيبويه، فخرج مكتفيًا من علم النحو لقوّة حفظه وتقرُّب فهمه، فصلحت حالاته»[1]. ولهذه الأهمية يرد في المصادر في معظم تراجم المفتين مشاركتهم في هذه العلوم، أو تصرفهم فيها، أو وصف الكثيرين منهم بأن لهم حظًا أو نصيبًا فيها، إلى غير ذلك من أوصاف تفيد إلمام المفتين بتلك العلوم[2]. بل إن بعضهم كان عالمًا في اللغة[3]، وكثيرًا منهم كانوا شعراء[4]. ولبعض المفتين إسهامات في حركة التأليف في هذه العلوم، مثل: عبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م)، فله كتاب «الشعراء والأبرار»[5]، ومحمد بن عمر، المعروف بابن القوطية (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، ومن أبرز كتبه: «تصريف الأفعال» و«المقصور والممدود»[6]، وأبرز المفتين في هذا الصدد هو محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م)؛ الذي له عدة مؤلفات في اللغة والأدب، منها: «لحن العوام»، و«الأسماء والأفعال والحروف»، و«الواضح في النحو»[7].

٢. علوم القرآن الكريم: وهي من العلوم التي اهتم بها المفتون بطبيعة الحال لاتصالها بالمصدر الأول في التشريع الإسلامي؛ ولهذا وجدنا بعض المفتين بصيرًا بعلوم القراءات والتفسير، وأحكام القرآن، وفضائله، والناسخ والمنسوخ، وغيرها من العلوم القرآنية.

---

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٧ ص١٢٨ .

(٢) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٣٢؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١ ص ص١٢٣، ١٦٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٤٥؛ ج٦ ص١٢٣؛ ج٨ ص٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٥٤ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٤٣ .

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج ١ ص٩٤؛ عياض: المصدر السابق، ج ٦ ص ص١٢٥، ١٥٣؛ ج٧ ص٣٨؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٤؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣ ص١٨٣؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١ ص ص٢٦٩، ٣٧٢؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٤٠٤ .

(٥) الخشني: أخبار الفقهاء، ص ٢٤٦ .

(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص ٧٤٨؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص ٢٩٧، والكتاب الأول منهما حققه علي فودة، ونشر بالقاهرة، سنة ١٩٥٨م، أما الثاني فمفقود.

(٧) نُشر الكتاب الأول في مكتبة الخانجي بالقاهرة بتحقيق رمضان عبد التواب، أما الكتاب الثاني فقد نشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٩٠م بتحقيق أحمد راتب حموش، كما نشر الكتاب الثالث بتحقيق أمين علي السيد، وصدر عن دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧٥م.

وقد اعتمد الأَنْدَلُسيون خلال القرون الأولى في علم القراءات[1] على ما أنتجه علماء المشرق الإسلامي من كتب ومصنفات، وساعد على ذلك الرحلة إلى المشرق خاصة مصر التي كانت من أهم مراكز هذا الفرع من فروع الدراسات القرآنية[2]، كما أن استقدام علماء القراءات المشارقة مثل أبي الحسن علي بن محمد الأنطاكي (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م) الذي استقدمه الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م[3] ساعد على ازدهار علم القراءات في الأَنْدَلُس. وبعد هذه المرحلة ظهرت مرحلة جديدة ظهر فيها علماء أندلسيون في علوم القراءات، يأتي على رأسهم المفتي مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م) الذي ترك مصنفات عديدة في العلوم القرآنية[4] خاصة القراءات والتفسير وإعراب القرآن، ومن أبرز كتبه «التذكرة في القراءات السبع»، و«التنبيه على أصول قراءة نافع»، و«التبصرة في القراءات السبع»..وغيرها، وقد روى بعض المفتين هذه الكتب عنه، مثل المفتي محمد بن عتاب بن محسن (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م).

أما علم التفسير فلم ينشأ كعلم مستقل في الأَنْدَلُس إلا في القرن الثالث الهجري، حيث تروي كتب التراجم أن من أوائل كتب التفسير القرآني في الأَنْدَلُس التفسير الذي وضعه أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الإستجي في منتصف القرن الثالث الهجري، وممن روى هذا التفسير من المفتين محمد بن أحمد العتبي (ت٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)، ثم رواه عنه المفتي محمد بن عمر بن لبابة (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)[5]، وفي القرن الثالث الهجري أيضًا قام المفتي عبد الملك بن حبيب (٢٣٨هـ/٨٥٢م) بتأليف تفسير للقرآن[6]؛ إلا أن أشهر تفسير للقرآن كان للمفتي بقي بن مخلد (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، وهو أول علم من أعلام المفسرين بالأَنْدَلُس، وهو صاحب التفسير الذي قطع ابن حزم بأنه «لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره»[7].

(١) علم القراءات هو العلم الذي يختص بدراسة الألفاظ القرآنية وكيفية أدائها الصوتي، ومن أشهر الكتب المشرقية التي دخلت الأَنْدَلُس في هذا الفن في ذلك الوقت «كتاب القراءات» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) وكتاب «اختلاف القراءات» لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م) وكتاب «التذكرة في القراءات» لابن غلبون (ت٣٩٩هـ/١٠٠٨م). [انظر: فهرسة ابن خير، ص٤١-٤٢؛ محمود علي مكي: علوم القرآن في الأَنْدَلُس حتى نهاية القرن السادس الهجري، ص١٨و٢٠].

(٢) محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٣١ .

(٣) المقري: نفح الطيب، ج٣ ص١٤٤ .

(٤) سعد عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأَنْدَلُس، ص١٨٨ .

(٥) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٤٤٠؛ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٤٤-٤٥ .

(٦) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص١٢٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣ ص٥٥١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٢ .

(٧) ابن حزم: رسالة في فضل الأَنْدَلُس، ص١٧٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٢ ص٥١٩ .

ولم يقتصر اهتمام دائرة الإفتاء الأَنْدَلُسي بالعلوم القرآنية على علمي: القراءات، والتفسير، بل شمل كذلك العلوم القرآنية الأخرى كفضائل القرآن. وقد اهتم المفتون محمد بن عبد السلام الخشني (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م) ووهب بن نافع الأسدي القرطبي (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م) بإدخال كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) الخاص بفضائل القرآن في الأَنْدَلُس(١). ثم كانت مشاركة بعض المفتين في التأليف في هذا الفن كعبد الملك بن حبيب الذي وضع مؤلفًا في رغائب القرآن(٢)، وكذلك المفتي يحيى بن إبراهيم بن مزين (ت٢٥٩هـ/٨٧٢م) الذي له مؤلف بعنوان «فضائل القرآن»(٣).

أما علم الأحكام القرآنية فقد شارك فيه المفتون رواية، ومنهم: محمد بن إسحاق ابن السليم (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) وعبيد الله بن الوليد المعيطي (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م) اللذان رويا كتاب القاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادي في أحكام القرآن(٤)، و قاسم بن أصبغ البياني (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) الذي وضع كتابًا في «أحكام القرآن»(٥). وكذلك علوم الناسخ والمنسوخ، وممن برع فيها من المفتين قاسم بن أصبغ البياني، وله كتاب «الناسخ والمنسوخ»، ومكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، وله كتاب شهير في ذلك أيضًا(٦).

أما الدراسات اللغوية المرتبطة بالقرآن فقد نالت كذلك حظوة في حركة التأليف عند المفتين، ومنها: كتاب «إعراب القرآن» لعبد الملك بن حبيب(٧)، وكتب: «إعراب القرآن» و«مشكل غريب القرآن» و«مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب(٨).

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ص٦٤٨-٦٤٩، ٨٧٥ .

(٢) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص١٢٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣ ص٥٥١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٣؛ محمود علي مكي: علوم القرآن في الأَنْدَلُس، ص٨٧ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٣٩؛ فهرسة ابن خير، ص٨٨؛ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٨٨ .

(٤) فهرسة ابن خير، ص٦٧-٦٨ .

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٨٢؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص١٤٦؛ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٩٢ .

(٦) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص١٤؛ فهرسة ابن خير، ص٦٧؛ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٩٩.

(٧) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص١٢٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣ ص٥٥١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٢ .

(٨) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص ١٤ . والمطبوع من كتب مكي بن أبي طالب الواردة بالمتن كتاب "مشكل إعراب القرآن": حققه حاتم صالح الضامن، ونشرته مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨٤م.

٣. علوم الحديث النبوي: اهتم بها المفتون الأَنْدَلُسيون، لأن الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني من مصادر استنباط الفتاوى والأحكام، ومن المعروف أن الإمام مالك ابن أنس صاحب المذهب السائد في الأَنْدَلُس كان فقيه أثر، يهتم بالحديث رواية ودراية، وأن مصنفه «الموطأ» كتاب حديث وفقه؛ ولهذا اهتمت حركة الإفتاء في الأَنْدَلُس بعلم الحديث اهتمامًا كبيرًا ظهر في عدة مناحي، وكان المفتي الغازي بن قيس (ت١٩٩هـ/٨١٤م) هو أول من أدخل «الموطأ» إلى الأَنْدَلُس، وقد دارت حركة علمية حول هذا الكتاب شارك فيها المفتون بسهم وافر[١].

وقد كثر وصف العديد من المفتين بأنهم حدَّثوا[٢]، أي رووا الحديث النبوي وعرف بعضهم بأنه كان «ثبتًا بالحديث ضابطًا لما رواه»[٣]، وهذه الرواية جاءت عن طريق الحفظ؛ حيث كان الحفظ أحد طرق التعلم في الأَنْدَلُس مثلها مثل غيرها من بلدان العالم الإسلامي، وقد روت المصادر أن بعض المفتين كان يحفظ كتبًا كاملة من الحديث النبوي، ومنهم يحيى بن إبراهيم بن مزين (ت٢٥٩هـ/٨٧٢م) الذي كان يحفظ «الموطأ» للإمام مالك بن أنس[٤]، وأحمد بن محمد بن مغيث الصدفي (ت٤٥٩هـ/١٠٦٦م) الذي حفظ «صحيح» البخاري[٥].

ولم يقتصر الأمر على حفظ الحديث وروايته بل تعداه إلى أن بعض المفتين أصبحوا علماء سواء في الحديث النبوي، مثل: أبي بكر محمد بن إسحاق بن السليم (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، ومحمد بن مروان بن زهر الأيادي (ت٤٢٢هـ/١٠٣٠م)[٦]، أو في العلوم المتصلة به كعلم الرجال أو الجرح والتعديل، مثل: إسماعيل بن إسحاق، المعروف بابن الطحان (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، ومحمد بن يحيى بن الحذاء التميمي (ت٤١٠هـ/١٠١٩م)[٧].

---

(١) انظر على سبيل المثال: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٩٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص ص١٢٧، ٢٣٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص١١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨ ص٨٦ .

(٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص ص٩٣، ٣٠٨، ٤٣٢؛ ج٢ ص ص٦٢٠، ٧١٠، ٧٤٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص ص١١١، ١٢٤؛ ج٧ ص ص٣٥، ٢٠٨ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٠؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص٤٤١ .

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٣٨ .

(٥) ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص١٠٨ .

(٦) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص٢٨٠؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٥٣؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢١٤ .

(٧) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص. ١٣٥ عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٧؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٣٧ .

٤. علوم الأنساب والتراجم والتاريخ: اهتم بعض المفتين بهذه العلوم، وكان بعضهم حافظًا للأخبار[١] وعالمًا بها، وقد وصفت بعض كتب التراجم بعض المفتين بأنهم كانوا نسابين إخباريين[٢]، وكان للبعض منهم اهتمام خاص بتاريخ الأَنْدَلُس[٣].

وينطبق هذا الاهتمام على علم التاريخ أيضًا، الذي يلاحظ فيه الاهتمام البالغ بتراجم الرواة والفقهاء والقضاة، ومن أمثلة ذلك المفتي عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أبي ديلم (ت٣٥١هـ/٩٦٢م) الذي وضع كتابًا فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار[٤]، والمفتي محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت٣٦١هـ/٩٧١م) الذي ألف عدة كتب في «تاريخ علماء الأَنْدَلُس»، و«تاريخ قضاة الأَنْدَلُس»، و«طبقات فقهاء المالكية»، و«الرواة عن مالك»[٥]، والمفتي محمد بن يحيى بن محمد بن الحذاء (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) الذي ألف كتابًا بعنوان «التعريف برجال الموطأ»[٦]. ويلاحظ من هذه النماذج ارتباط التأليف التاريخي بفن التراجم التي تتناول من لهم علاقة بالنواحي الفقهية والعلوم الدينية.

هذه هي العلوم الرئيسة التي اهتم بها المفتون، والتي يمكن القول إنها تميل إلى مجال العلوم الإنسانية. أما العلوم الأخرى، وهي العلوم الطبيعية أو العملية فلم نجد من المفتين من يهتم بها إلا قليلا. وهي تنحصر في ضوء المصادر في علوم الطب والحساب وتعبير الرؤيا، ولبعضهم مؤلفات في هذا الجانب، مثل: سعيد بن أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) الذي كان طبيبًا ومن أهل «الحذق في الطب» وله «أرجوزة في الطب»[٧]، وموسى بن أحمد اليحصبي، المعروف بالوتد (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م) الذي كان له حظ في تعبير الرؤيا[٨]، ومحمد بن يحيى بن محمد بن الحذاء (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) الذي وضع مصنفًا بعنوان «البشرى في عبارة الرؤيا»[٩].

---

(١) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص ١٣٥-١٣٦؛ ج٢ ص٦٨٠، ٧٠٣؛ عياض: المصدر السابق، ج٧ ص. ١٦٧

(٢) ابن حيان: السفر الثاني من كتاب المقتبس، ص٤٨؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص. ٩

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص. ٦٨٠

(٤) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص. ١٥٠

(٥) ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص. ٢١٣

(٦) المصدر نفسه، ج٢ ص. ٢٣٧

(٧) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص١٠٤؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٤١؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج٣ ص ص ٢١٢-. ٢١٥

(٨) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص. ١٥٨

(٩) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص. ٢٣٧

أما علم الحساب فقد نال هو الآخر اهتمامًا من المفتين لارتباطه بالفرائض وأمور المواريث؛ ولهذا وجدنا المصادر تصف بعض المفتين بأنهم كانوا بصيرين بالفرائض والحساب، أو أن لهم حظًا وافرًا فيها[١].

النقد العلمي للمفتين وسلبياتهم

بالرغم من الشروط الصعبة التي روعيت في اختيار المفتين للوصول إلى درجة الإفتاء، إلا أن هذا لم يمنع من وجود كثيرين ممن أشارت المصادر إلى كونهم مفتين، وقاموا بالإفتاء وهم ليسوا أهلًا للفتيا لملاحظات سُجِّلت عليهم. ويمكن تقسيم النقد العلمي والسلبيات التي وقع فيها بعض المفتين في ضوء روايات كتب التراجم إلى ما يلي:

١. نقد يتصل بالناحية العلمية: فهناك الكثير من المفتين وصفتهم المصادر بقلة العلم، مثل: إبراهيم بن يزيد بن قلزم بن مزاحم (ت٢٦٨هـ/٨٨١م)، ومحمد بن محمد بن عبد السلام الخُشَنِيّ (ت٣٣٣هـ /٩٤٤م)، و عبد الله بن محمد الصابوني (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م)، و يحيى بن حكم العاملي، المعروف بابن اللبان (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)[٢]. وأحيانًا يأتي وصف المفتي بأنه «كان خارجًا من طبقة أهل العلم»[٣]، أو بأنه «لم يكن بالمشهور في العلم ولا بالنافذ فيه»[٤]، أو «كان متأخرًا في علمه وعقله»[٥].

وأحيانًا كان وضع المفتين المستحق للنقد يثير حمية بعض المفتين الكبار، ومن هؤلاء ابن لبابة (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) الذي نقد بعض مفتي عصره قائلا:

ذَهب الرجالُ المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمرٍ منكرِ
وبقيتُ في خلف يزين بعضهم بعضًا ليسكت معورٌ عن معورِ[٦]

ويأتي النقد العلمي بشكل أوضح فيما يخص علم الفقه، فقد وصف محمد بن الحارث (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) بأنه «قليل الفقه»[٧]، ونقد عِيسَى بن مُحَمَّد بن إبْرَاهيم بن

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٧٧٦؛ عياض: المصدر السابق، ج ٧ ص ٢٩٥؛ ج ٨ ص ١٣٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص١٥٦؛ ج٢ ص٤٠٩، ٤٢٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢١٤ .

(٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٧٠٩؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٤٢٤، وج٦ ص ٣٠٢، وج ٧ ص ٢٩٤.

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص ص ٥٦٣، ٧٠٠ .

(٤) المصدر نفسه، ج٢ ص٥٥٩ .

(٥) المصدر نفسه، ج١ ص١٦١

(٦) ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج٢ ص٧٨٣؛ وثائق في شئون الحسبة في الأَنْدَلُس، ص١٥٦ .

(٧) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٢٦٢ .

حيّويه الكِنَانيّ (ت٣٧٤هـ/٩٨٤م) بأنه «لم يكن له تقدم في الفقه والحديث»(١). أما عبدالرحمن سعيد بن فرج (ت٤٣٩هـ/١٠٤٧م) فإنه «لم يكن من المستبحرين في العلم، ولا من أهل الحذق بالمسائل المالكية»(٢). كما نقد بعض المفتين بقلة معرفتهم بعلم الحديث وهو من الأصول المعتمدة في عملية الإفتاء؛ ولذا نقرأ أن أحد المفتين «كان قليل العلم بالفقه والحديث»(٣)، أو كان عديم الدراية بعلم الحديث كما في حالة يَحيى بن إبراهيم بن مُزَين (ت٢٥٩هـ/٨٧٢م) الذي «لم يكن له علم بالحديث»(٤)، و عبد الأعلى بن وَهْب بن عبد الأعلى (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) الذي «لم تكن له معرفة بالحديث»(٥).

ومما يؤسف له حقًا في هذا الشأن أن بعض المفتين اتهموا بأنهم كانوا يضعون الحديث ويكذبون على رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء أصبغ بن خليل (ت٢٧٣هـ/٨٨٧م) الذي تروي المصادر أنه كان شديد التعصب لرأي الإمام مالك، الأمر الذي دفعه إلى افتعال حديث في رفع اليدين في الصلاة بعد الإحرام(٦)، و محمد بن وضاح (ت٢٨٧هـ/٩٠٠م) الذي كان «يُنكر عليه كثرة رده في كَثْرَةٍ من الأحَاديث. وكان ابن وضاح كثيرًا ما يقول: ليس هذا من كلام النبي ﷺ في شيء. وهو ثابت من كلامه. وله خطأ كثير محفوظ عنه؛ وأشياء كان يغلط فيها ويُصَحِّفها؛ وكان لا عِلم عِنده بالفِقْه ولا بالعربية»(٧).

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص. ٥٦٣

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص. ٢٠

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص. ٧٠٩

(٤) المصدر نفسه، ج٢ ص٩٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص. ٢٣٩

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٤٥؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص. ٥٤

(٦) «وزعم أنه رواه عن غازي بن قيس. عن سلمة بن وَرْدان، عن ابن شهاب عن الربيع بن خشيم، عن ابن مسعود. قال: صليت وراء رسول الله ﷺ، وخلف أبي بكر، سنتين وخمسة أشهر. وخلف عمر عشر سنين، وخلف عثمان اثنتي عشرة سنة. وخلف علي بالكوفة خمس سنين. فما رفع واحد منهم يده إلا في تكبيرة الإحرام وحدها. فوقع في خطأ بيّن عظيم، منها: أن الإسناد غير متفق: لأن سلمة بن وردان لم يرو عن ابن شهاب، ولا ابن شهاب عن الربيع، ولا رآه. وأعظم منه في المحال ذكره أن ابن مسعود، صلى خلف علي بالكوفة. وهو لم يدرك أيام علي رضي الله عنه. وحدّث أيضًا بحديث آخر، في إسناد القرآن، عن الغازي، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن الله. فظن أن نافعًا - شيخ الغازي بن قيس - هو مولى ابن عمر. وإنما هو نافع القارئ. قال أحمد بن خالد: إن أصبغ لم يقصد الكذب عن رسول الله ﷺ، وإنما ظهر له أنه يريد تأييد مذهبه. وهذا كلام من أحمد لا معنى له. وكل من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فكأنما كذب لتأييد غرض. ولو قال: إنه إنما كذب في السند وعلى غير النبي. إذ قد روى عن النبي أنه رفع أولا، ثم لم يرفع بعد، بما جاء في الحديث عن النبي هنا، بمعنى ما أتى به هو، كان أشبه. لكن الكذب في العلم، أي نوع كان مبطلًا لصاحبه مسقطًا له بشهادة الزور» [انظر: عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٢٥١-٢٥٢].

(٧) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص. ٦٥٢

وجاء النقد أكثر تركيزًا فيما يخص الفتوى كما في حالة محمد بن غالب المعروف بابن الصفّار (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م)، والذي «لم يتبحر في علم الفتوى»[١].

ويفسّر وصف بعض المفتين بقلة العلم بأن ذلك يرجع إلى هجرهم للعلم وعدم دراستهم المستمرة له، وفي ذلك يقول ابن سهل: إنه إذا هجر الفقيه العلم يومًا هُجر وزال، ولم يبق منه أثر، وإن المسائل لا ينبغي أن يغفل عن درسها، ولكل شيء آفة وآفة العلم النسيان. ومعنى ذلك أنه لا بد للمفتي أن يواصل الدرس للمسائل، ويواظب عليها حتى لا يتعرض للنسيان. وقد فطن لذلك القاضي ابن زرب عندما علق على فتوى لأستاذه اللؤلؤي فقال: لو تركت الدرس من عامين لنسيت ما هو أقرب من هذا، فكيف بشيخ قد بعد عهده بالدراسة - ويقصد بذلك اللؤلؤي الذي أخطأ في بعض المسائل. وإنما هذه المسائل لا يقلع رأس عن درسها[٢].

ومن النقد الذي وجه لبعض المفتين النقد الذي وجه إلى كتاب «المستخرجة» للعتبي (ت٢٥٤هـ/٨٦٨م)، حيث قال ابن لبابة بأنه «جمع المستخرجة، وكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الشاذة، وكان يأتي بالمسائل الغريبة، فإذا أعجبته قال: أدخلوها في المستخرجة»، وقال ابن وضاح: «في المستخرجة خطأ كثير»[٣].

وقد ذكر ابن سهل في أكثر من موطن معالم فساد بعض المفتين، و استشهد بما قاله ربيعة بن أبي عبد الرحمن: « استفتى من لا علم له»، وبما قاله ابن المبارك: «وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها، والله تعالى حسيبنا». و أخبار ابن سهل كثيرة في هذا المجال، ولكنه امتنع عن التفصيل في هذه الشأن حتى لا يخرج نوازله عن الغرض الذي قصده منها، فقال: «ولو ذكرت من هذا ما شهدته وما بلغني لطال معه الكتاب، وخرج عنه الغرض الذي قصدناه فيه»[٤].

وأحيانًا تكون تبعة وجود مفتين لا يستحقون درجة الإفتاء راجعة إلى السلطة السياسية التي كلفتهم بذلك وهم غير أهل لها، ويوضح ذلك ما يروى عن الخليفة المستكفي من أنه قام بإدراج كثيرين إلى هيئة الشورى من «أصاغر الطبقة الفقهية...

(١) تاريخ علماء الأندلس، ج٢ ص٦٥٨؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٥٨.

(٢) ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج٢ ص ص ٦٨٦، ٦٩٢؛ محمد عبد الوهاب خلاف: تاريخ القضاء في الأَنْدَلُس، ص٣٣٠.

(٣) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٢٥٣-٢٥٤.

(٤) ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١ ص٥١٧؛ خلاف: تاريخ القضاء في الأَنْدَلُس، ص. ٣٢٩

فوسم كافتهم بوسم الفتوى، فأسرف في ذلك حتى بلغ عددهم بقُرْطُبَة يومئذ إلى الأربعين، وذلك ما لم يعهد في الغابرين»[1].

٢ـ نقد خاص بالصفات الذهنية: حيث وصف بعض المفتين بالغفلة، مثل: محمد بن سعيد بن أبي زعبل المعروف بابن الرقاق (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م) الذي وصف بأنه «كثير الغفلة»[2]، أو بالتخليط كما في حالة أصبغ بن سعيد بن أصبغ الصّدفي (ت٣٥٨هـ/٩٦٨م) الذي وصف بأنه كان «كثير التخليط مشهورًا بذلك»[3]، وموسى بن أحْمَد بن سَعِيد اليَحْصُبيّ، المعروف بالوتد (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م) الذي «كان يُنْسَبُ إليه تخليط كثير شُهِرَ به وعُرِفَ منه»[4]، أو بعدم الضبط لما يفتي به. وقد وصف غير واحد من المفتين بأنه لم يكن بالضابط، مثل: حَسَن بن سَعْد بن إدريس الكتاميّ (ت٣٣٢هـ/٩٤٣م) ، وأحمدُ بن سَعيد بن محمد بن بشْر بن الحَصَّار (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) و عمر بن حفْص (ق٤هـ/١٠م)، و عبد الرحمن بن محمد بن سلمة الأنصاري (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[5].

---

(١) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١ ص٣٣٧

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٩٠؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٣ ص. ٧٨٩

(٣) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدلُس، ج١ ص. ١٥٥

(٤) تاريخ علماء الأَنْدلُس، ج٢ ص. ٨٥٤

(٥) المصدر نفسه، ج١ ص ٢٠١و١٢٤، وج٢ ص ٥٤٨؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٥٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٥٠٥.

مصادر البحث ومراجعه

أولا. المصادر:

● ابن الأَبَّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): التكملة لكتاب الصلة. تحقيق: عبد السلام الهراس. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.

● ابن أبى أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. تحقيق: عامر النجار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

● ابن بسام، أبو الحسن على بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/١١٤٨م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي،٢٠٠٠م.

● ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م): كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

● ابن جُلْجُل، أبو داود سليمان بن حسان الأَنْدَلُسي (ت بعد سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م): طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق: فؤاد سيد. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية،٢٠٠٥م.

● ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): رسالة في فضل الأَنْدَلُس [ضمن رسائل ابن حزم ج٢] تحقيق: إحسان عباس، ط٢. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.

● الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م): جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

● ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأَنْدَلُس. [نُشر تحت عنوان: «السفر الثاني من كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي»]. تحقيق: محمود علي مكي. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

● الخُشَني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني(ت ٣٦١هـ/٩٧١م) : أخبار الفقهاء والمحدثين. تحقيق: ماريا لويسا آبيلا، و لويس مولينا. مدريد: معهد

التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٢م.

● ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.

● ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٦م.

● ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م): فهرسة ابن خير. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

● الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٢م.

● ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م): مسائل أبي الوليد ابن رشد. تحقيق: محمد الحبيب التجكاني. المغرب: دار الآفاق الجديدة، ط٢. ١٩٩٣م.

● ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي (ت٧٠٨هـ/١٣٠٨م): صلة الصلة. تحقيق: شريف أبو العلا العدوي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١. ٢٠٠٨م.

● ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٣م):

- الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى. تحقيق: نورا بنت محمد بن عبد العزيز التويجري. جدة، ١٩٩٥م.

- وثائق في شئون الحسبة في الأَنْدَلُس مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى. تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف. القاهرة: المركز الدولي العربي للإعلام، ١٩٨٥م.

● السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية، د ت.

● الضَّبِّي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة بن يحيى الضبي (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

● عياض، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، وعبد القادر الصحراوي، ومحمد بن شريفة، وآخرين. الرباط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٦٨/١٩٨٣م.

● ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، د.ت.

● ابن الفرضي، عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي القرطبي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م): تاريخ علماء الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة ـ بيروت: دار الكتاب المصري ـ دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

● المالقي، أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي (ت٤٩٧هـ/١١٠٣م): الأحكام. تحقيق: الصادق الحلوى. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١. ١٩٩٢م.

● المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأَنْدَلُس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

● النُّباهي، أبو الحسن بن عبد الله النباهي المالقي الأَنْدَلُسي (ت ٧٩٢هـ/١٣٩٠م): تاريخ قضاة الأَنْدَلُس المسمى «المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا». تحقيق: ليفي بروفنسال. القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٤٨م.

● الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأَنْدَلُس والمغرب. تحقيق: محمد حجي وآخرين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م.

ثانيًا. المراجع:

● إحسان عباس، الشورى في الأَنْدَلُس والمغرب منذ بداية الدولة الأموية حتى نهاية دولة الموحدين. [ضمن كتاب الشورى في الإسلام]. عمان: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية،١٩٨٩م، ص ص٣٢٩-٣٧٥ .

● إسماعيل الدفتار، مفهوم الفتوى وقواعدها ومن له حق الفتوى. [ضمن مؤتمر فوضى الفتاوى: الانعكاسات وأساليب المواجهة] القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ٢٠١١م، ص ص٨-١١ .

● حسين محمد الملاح، الفتوى (نشأتها وتطورها، أصولها وتطبيقاتها). بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

● حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأَنْدَلُس. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

● سعد عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأَنْدَلُس ٣١٦ - ٤٢٢هـ/ ٩٢٨ - ١٠٣٠م]. السعودية، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

● محمد العلمي: الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي. الرباط، مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، ط ١، ٢٠١٢م.

● محمد عبد الوهاب خلاف، تاريخ القضاء في الأَنْدَلُس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

● محمود علي مكي، علوم القرآن في الأَنْدَلُس حتى نهاية القرن السادس الهجري. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠٠م.

الإسهامات الطبية للأطباء العرب والمسلمين في مجال الطب الوقائي

د. شريف الأنصاري (*)

كثيرًا ما يلجأ الإنسان إلى الوقاية من الأمراض أو الآلام بقصد أو بشكل طبيعي؛ فكان يتوقف عن السير عندما يشعر بالتعب من السير، ويضغط على جزء معين في بطنه ليوقف الشعور الداخلى بالألم فيها، ويشرب المشروبات الباردة في أوقات القيظ، والعكس في الشتاء ليشعر بالدفء، ويضع غطاء على رأسه وعينه ليحمي رأسه من أشعة الشمس الحارقة.

وقبل أن نعرض لمسيرة الطب الوقائي عبر الحضارات المختلفة، وإسهامات العلماء العرب والمسلمين في مجال الطب الوقائي، علينا أن نوضح أقسام الطب عامة كما ذكرها بعض الأطباء، فلقد قسموا الطب إلى طب وقائي: وهو يقوم على حفظ الصحة والوقاية من الأمراض قبل أن تحدث، فإذا ما أصيب الإنسان بمرض، لا قدَّر الله، كان القسم الثاني وهو الطب العلاجي الذي يقوم على علاج الإنسان من مرضه، وإعادته لحالة الصحة مرة ثانية، سواء أكان بالجراحة أم برد العظم المكسور (في حالات الكسر) أم غير ذلك مما يلزم لإعادة حالة الصحة للشخص المريض، والقسم الثالث وهو الطب النفسي؛ وقد ظهر كثيرًا عند الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن الحسن البلخي البخاري، المعروف بابن سينا، المتوفى ٤٢٨ هـ، وغيره من الأطباء العرب، وهو مجال خصب، لكنه خارج نطاق بحثنا هذا.

وحديثنا الآن ينصب على الطب الوقائي (القسم الأول) من أقسام الطب التي عرضناها، وسوف نتحدث عنه من خلال:-

حفظ الصحة (الطب الوقائي) في الحضارات القديمة

تتجلَّى أشكال ومظاهر حفظ الصحة عند قدماء المصريين في العديد من أوجه الحياة سواء في المأكل أو المشرب أو المسكن، فقد ذكر المؤرخ هيرودوت (ت عام ٤٥٠ ق. م) أن الذين زاولوا الخِتان من أقدم العصور هم المصريون والآشوريون والكولشيديون والأحباش، أما غيرهم من الشعوب الأخرى فقد عرفوه عن المصريين. أما بالنسبة إلى السن التي تجرى فيها عملية الختان للأولاد فغالبًا ما بين السادسة والثانية عشرة من أعمارهم.

(*) باحث أول مخطوطات بمركز المخطوطات ـ مكتبة الإسكندرية.

ويبدو أن المصريين القدماء كانوا ينظرون إلى هذه العملية على أنها صحية ودينية؛ وذلك لأنها : كانت تجرى في المعابد، ومع أنها لم تكن مقصورة على الملوك والكهنة، فإنها كانت محتمة على مَن يقومون بطقوس معينة، ومع ذلك فلم تكن فرضًا على الشعب، كما وجد لقب الكاهن المُخَتِّنْ؛ أي الذي يقوم بالختان، وهذا يدل على أن هذه العملية كانت لا تدخل تحت اختصاصات الجرَّاح العادي، بل اتخذت شكلاً دينيًا إلى جانب فوائدها الصحية عند قدماء المصريين.

كما أورد المؤرخ ديودوروس الصقلي (ت عام ٥ ق. م) في أحد مؤلفاته أن أسلوب حياة قدماء المصريين يبدو مرتبًا كأن طبيبًا نَظَّمَهُ وفقًا لقوانين الصحة، لا مشرِّعًا مبتكرًا للقوانين، وكان الزواج في مصر القديمة يتم بمجرد البلوغ؛ مما جنَّب المراهقين الكبت الجنسي وما ينشأ عنه من عُقد. وكان الإجهاض وتحديد النسل يعاقبان عقابًا شديدًا، والعلاقات الجنسية محرمة أثناء الحيض. أما الدعارة المقدسة الموجودة في الهند مثلاً فلم يعثر في معابد مصر القديمة على أي أثر يدل عليها، مما يؤكد أن قدماء المصريين كانت لديهم معرفة طبية وصحية بما تجلبه مثل هذه الأفعال من آثار سلبية على صحة الإنسان.

كما كان المصري القديم يتميز بالنظافة الفائقة سواء أكان غنيًا أم فقيرًا، وقد أعجب السياح الإغريق بالمظاهر المختلفة لنظافة المصريين مثل عادة غسل أواني الشرب، واستعمال الملينات والمقيئات ثلاثة أيام كل شهر، بل إن هيرودوت أشفق على الكهنة من تغاليهم في النظافة (ولا شك في أن للكهنة فضلاً كبيرًا في تعليم المصريين النظافة، حيث كان الكاهن يقوم بغسل يديه في الصباح وفي المساء، وقبل الأكل، وبعد كل عمل يعتبر نجسًا) ولم يعرف المصريون الصابون، بل كانوا يستعملون الصودا في الغسيل، وكذلك الزيوت والروائح العطرية لصيانة البشرة وحفظ نعومتها.

كما تجلت مظاهر حفظ الصحة عند قدماء المصريين سواء الرجال أو النساء في التخلص مما ينمو على أجسادهم من شعر إما بالحلق أو بالنتف، أما الكهنة فقد كانوا يحلقون شعر رؤوسهم ووجوههم تمامًا.

كما وجد في بلاد الرافدين ثلاثة مذاهب للمعالجة :

١ – المعالجة بالنصح (الطب الوقائي).

٢ – المعالجة بتشخيص المرض ووصف الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية، والطب المزاجي (الطبيعي).

٣ - المعالجة بالسحر والطلاسم (الطب النفسي أو الروحي).

ولقد ذكر الكاهن الكلداني (بروسيس) أن ماء النهر في بلاد ما بين النهرين كان يرشّح قبل الاستعمال في زير كبير ذي مسامات، الأمر الذي لا يزال معمولاً به في وقتنا الحاضر حتى في بعض القرى في مصر.

ولكن ما المقصود بالطب الوقائي في بلاد ما بين النهرين، أي عند البابليين والآشوريين ؟ لقد استولى الطب الوقائي علي مفاهيم البابليين والآشوريين دون وعي، فربما جاءت تصرفاتهم في حياتهم اليومية للمحافظة على صحتهم عامة هذا من جانب، ومن جانب آخر فلقد كانت المفاهيم التي تختص بالآلهة أو خدمة المعابد (مثل التعاويذ والطقوس) كانت دائمًا في المقدمة بسبب الخوف من الظواهر الطبيعية التي لم يكتشفوا أسرارها أو أسرار وجودها، فكانوا يلجأون إلى بعض التعاويذ مثل (تعويذة أريد) في حال تفشي الأوبئة، وللعلم فإن كلمة تفشي الأوبئة ما هو إلا اصطلاح طبي وقائي حسب مفاهيم العصر الحديث، وهو استنتاج لما كان قائمًا من محاولات صحية في تلك الأيام.

ثم هناك نبات (آرتو) الذي ذكر المؤرخون أنه نبات يُمزَج مع الزيت ويُدهَن به الجسم ليطرد الهوام والحشرات، فلا يعلوه القمل. والقمل أو الهوام كما هو معروف حاليًا ما هو إلا واسطة من وسائط نقل المرض أو الوباء ليس من إنسان لآخر فحسب، بل من مكان لآخر؛ وهذا يوحي بأن هناك محاولات وقائية صحية جاءت على شكل (طلاء) وهو ما نستعمله حاليًا.

وقد ساد في حضارة ما بين النهرين اعتقاد لعله صحي أكثر منه ديني وأخلاقي، فلقد كانوا يعتقدون أن المرض من غضب الآلهة على المذنبين من البشر، أو هو من صنع الأرواح الشريرة، وأن من الذنوب المسببة للمرض السرقة والقتل والبصق في ماء النهر الذي يرتوي منه الناس، وتناوُل الطعام من ماعون قذر، والكذب، والقصد الضمني مما سبق - اعتبار تلك الأفعال ذنوبًا تستحق العقاب - هو الوقاية الصحية العامة، هذا بالإضافة إلى كون مثل تلك الأعمال لا تتفق وطبيعة الإنسان السوي، والمبدأ بحد ذاته مبدأ لحفظ الصحة والوقاية من الأمراض وخطوة سلوكية حضارية، باعتبار الصحة هي السلامة البدنية والنفسية والاجتماعية.

أما عند الهنود فلقد ذكر أبو الحسن علي بن رَبَّن الطبري المتوفَّى بعد سنة ٢٣٦هـ بعض التحذيرات عن الهنود في المأكل والمشرب، تلك التي أرى أنها اشتملت على جميع

مصالح الإنسان وحفظ صحته من الأمراض، يتضح منها أن الهنود كانوا يدركون أهمية الصحة لدى الإنسان؛ فأوردوا كثيراً من الأمور التي تقي الإنسان من الوقوع في المرض.

وجاء في أحد تشريعاتهم تحذير عن عقد الزواج بين أحد شخصين مصابين بالسُّل أو الصرع أو البرص أو سوء الهضم المزمن أو البواسير؛ وذلك حفاظًا على الصحة العامة للزوجين، وألا يعدي أحد الزوجين الآخر، وكذلك حتى لا تنتقل مثل هذه الأمراض للأولاد بعد ذلك، كما دعوا إلى تعقيم الجروح بالتبخير، وهذه الدعوة هي أول ما نعرفه من جهود في وسائل التطهير في أثناء الجراحة، وهذه كلها هي وسائل وأساليب من الطب الوقائي وحفظ الصحة.

أما الطب الفارسي فقد كان من أعمال الكهنة، وكانوا يمارسونه على أساس أن الشيطان هو المتسبب في كثير من الأمراض، ويجب معالجتها بمزيج من السحر ومراعاة قواعد الصحة العامة، وحجتهم في ذلك أن الرُّقَى إن لم تشف المرض فإنها ـ خلافًا للعقاقير ـ لا تقتل المريض.

كما يظهر الطب الوقائي (حفظ الصحة) عند الإغريق من خلال المحافظة على توازن العناصر الأربعة التي يتكون منها جسم الإنسان، فنجد مثلاً أن الكمايون[1] عَرّف الصحة تعريفاً ينبع من تصوره الفيثاغوري للأشياء، فقال إنها: التوافق بين أجزاء الجسم المختلفة إنها توازن بين قوى البدن، فإذا تغلبت إحدى هذه القوى انعدم التوازن وحدث الاختلال والمرض.

ونجد نفس المعنى عند أمباذوقليس(فيلسوف يوناني من أهل القرن الخامس قبل الميلاد). حيث يذكر أن الصحة تتوقف على التوازن بين عناصر الجسم الأربعة : الماء والهواء، والنار، والتراب، كما ينجم المرض عن اختلال توازنها.

بينما يذكر أبقراط Hippocrate (المولود حوالي سنة ٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م) أن الصحة إنما هي حالة من التوازن المستقر، والمرض إنما هو اختلال في ذلك التوازن، كما نصح بالصوم والاستحمام، والمشي والرياضة، والتنفس في الهواء الطلق.

ومن العلاجات التي استخدمها أبقراط : استخدام المسهلات، والمقيئات والمنعشات.

---

(١) هو الكمايون الكروتوني (المولود حوالي سنة ٥٠٠ ق.م) زعيم أقدم مركز طبي في بلاد اليونان. نما في اقروطونا بجنوب إيطاليا، وهو أحد أنصار المدرسة الفيثاغورية. د. محمد عبد الرحمن مرحبا : الجامع في تاريخ العلوم. بيروت: منشورات عويدات، ط ٢. ١٩٨٨ م، ص ٩٨ .

والمحيضات والحقن الشرجية والجلدية والفصد. واستعان على إخلاء الجسم بالتقنين الصارم المسغب للطعام، وعمد إلى المسكنات والحمامات، والفرك والتدليك، ووصف ماء الشعير نقيع الشعير وحساء الشعير، وكذلك أدركوا أهمية التطهير من الجراثيم وغيرها. ومما يبدو من هذه العلاجات والوسائل أنها في مجملها أساليب للوقاية من الأمراض وحفظ الصحة، والتي عُوِّل عليها واستُخدِمَت في الحضارات السابقة على الحضارة اليونانية، مثل الحضارة المصرية القديمة(١).

وتبدو مظاهر حفظ الصحة (الطب الوقائي) عند الرومانيين من خلال بعض مظاهر الحياة المتبعة عندهم مثل الختان، وتشير المصادر العلمية إلى أن الطقوس الدينية لدى الرومانيين كانت تحوي مبادئ ونصائح لحفظ الصحة، وأن هذه المبادئ كانت بمثابة فروض دينية لا يجب الخروج عليها.

ويذكر د.كمال السامرائي :

" ومما يدعو إلى الاستغراب، أنه بالرغم من تفاهة الطب ونزرة الأطباء في روما وتوابعها من المدن، وعدم اهتمام حكامها بالشئون الطبية، فقد كانت روما وكبريات المدن في ديارها تتمتع بدرجة من وسائل الوقاية الصحية والطب الاجتماعي، فكان فيها تدفئة مركزية منذ مئة سنة قبل الميلاد. وفيها أفضل طرق ذلك الزمان لتوصيل المياه النظيفة إلى بيوت السكن والأمكنة العامة. وفيها مجارٍ للمياه القذرة والأوساخ. كما استحدث فيها أخيرًا محلات لحجز نساء الدعارة لمكافحة الأمراض المعدية"(٢).

وتشير المادة العلمية السابقة إلى عدم تقدم الطب عند الرومانيين بالرغم من تقدم المعارف الصحية والوقائية؛ ويبدو لي أن ذلك أمر طبيعي فاهتمام الرومانيين بالوقاية من الأمراض والنظافة في المسكن وغيرها من الأماكن العامة جعلهم ليسوا في حاجة إلى أطباء مهرة؛ وذلك لعدم تفشي الأمراض والأوبئة الخطرة.

هذا عن العصر الأول لروما (قبل الميلاد)، أما إبان الإمبراطورية الرومانية فقد هاجر إلى روما أبرع أطباء اليونان والإسكندرية.

---

(١) محمد بن أحمد التميمي المقدسي : مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، تحقيق ودراسة: يحيى شعار، القاهرة: معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ط ١، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ص ص ٥٨، ٥٩ .

(٢) د. كمال السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي، بيروت: دار النضال، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ج١، ص ١٢٩.

الطب الوقائي في الحضارة العربية الإسلامية :

أولاً - الطب الوقائي قبل الإسلام

لقد كانت للبيئة الصحراوية الصافية الأثر الفعال في اجتلاب عقول الإنسان العربي قبل الإسلام إلى الاعتماد على الأعشاب والأدوية والنباتات في المسائل العلاجية، والاعتماد الأكبر على بعض التدابير الصحية التي تقيه من الأمراض، وقد كانت مثل هذه التدابير بمثابة معارف يتناقلها الخلف من السلف.

أما بالنسبة للعلاجات النباتية التي كانت لدى العربي قبل الإسلام فقد كانت تعتمد على التجربة والدُّربة في استخدام هذا العلاج ومقداره وكيفية تناوله في هذا المرض دون غيره.

وإلى جانب ذلك فإن بعض الأطباء في فترة ما قبل الإسلام عرفوا السحر والكهانة وما يشمل من الاعتقاد بتأثيرات الخرزات والأحجار والتمائم، وكانوا يستخدمونها لأغراض مختلفة، منها:

١ - التخلص من بعض الآلام أو الأمراض، على حسب معتقداتهم .

٢ - اكتساب الثقة بالنفس خاصةً عند مقابلة الحكام أو الخصوم .

٣ - التحبُّب إلى الناس .

٤ - تجنب الآفات عامةً وإصابة العين خاصةً .

٥ - جلب الحظ السعيد والرزق لهم .

٦ - المحافظة على ما يمتلكونه من حيوان و زروع وغيره، فعلقوا العظام أو المعادن أو نعل الحيوان مثل نعل الفرس، ورسموا العين واليد على الجدار وفوق الأبواب، لحمايتها من العيون المؤذية، ولا يزالون يستعملونها لحماية أنفسهم ومقتنياتهم حتى الآن.

وقد كانت الأوبئة تفتك بالناس فتكاً، فكان الأغنياء والموسرون يفرون من الأماكن المزدحمة أو الموبوءة إلى أماكن بعيدة، ويلجأون إلى الصحاري حيث الجو الجاف ابتعادًا عن المصابين بتلك الأماكن الموبوءة، وكانوا يُرجعون أسباب الأوبئة والأمراض عمومًا إلى غضب الآلهة على الناس، وإلى أرواح شريرة تصيب الجسم من الأكل والشرب، وإلى أنواع من الهوام والحشرات. ومن أشهر أنواع هذه الأوبئة الطاعون، والجدري، والهيضة وهو الإسهال الشديد (الكوليرا).

والعرب قبل الإسلام مثل غيرهم من الشعوب السابقة، وفي جملتهم العبرانيون، كانوا يعتقدون أن الأمراض هي غضبٌ من الآلهة على الإنسان لتنتقم منه؛ وذلك بسبب عدم قيام المريض بواجباته تجاه الآلهة؛ لذلك كان المرضى يسرعون في تقديم النذور والقرابين للآلهة ترضية واعتزازًا لها، ورغبة في الشفاء من هذه الأمراض؛ ولذلك كان الطب من واجب الكهان ورجال الدين بالدرجة الأولى .

ومما يروى عن شدة اعتقادهم في بعض الأفعال أنه رُوِيَ أن العرب عرفوا العدوى بالأوبئة، فكان إذا أراد أحدهم أن يدخل قرية تفشّى فيها وباء أو مرض مُعدٍ، فعليه أن يتخذ التدابير لذلك - من وجهة نظرهم - بأن يتوقف على مدخل القرية المصابة بالوباء وينهق كما تفعل الحمير، ثم يعلّق عليه كعب أرنب، وتسمَّى هذه العملية (التعشير) وقيل سبب ذلك؛ لاعتقادهم أن الحميات عامة تهاجم وتصيب البشر دون البهائم، فينهقون ليوهموا الحميات أنهم من تلك البهائم والحيوانات لا من البشر فلا تقربهم، وبالتالي لا يصابون بأذى.

وإذا أرادت المرأة المقلاة _وهي المرأة التي يموت ولدها بعد الولادة _أن يعيش ولدها، ففي إمكانها ذلك إذا تخطت القتيل الشريف سبع مرّات، وعندئذ يعيش ولدها . وهي في مجملها أسباب نفسية، فقد كانوا يعتقدون أن مثل هذه التمائم والأحجار هي التي تقيهم الشر والسحر والحسد؛ وبالتالي كانوا يلجأون إليها .

ومما فسَّر العرب قبل الإسلام حدوث الطاعون بسبب (وخْز الجن)، فهو يقع لأن الجن تطعن الشخص وتوخزه، فيصاب بالطاعون. وقد كانت الحروب من المصادر التي غذت العربية الجنوبية بمادة دسمة من الأوبئة؛ حيث كانت تُخلِّف وراءها الكثير من الجثث التي تتعفن، فتكون بذلك مناطق أخرى موبوءة؛ ودليل ذلك ما نجده في كتابات المسند من إشارات إلى أمراض وأوبئة تعم المناطق المنكوبة بالحروب، حيث تكنس من الأحياء ما نجا من الموت بالسيف .

وكان الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي (المتوفى نحو ٥٠هـ/ ٦٧٠ م) طبيب العرب في زمنه، وهو من ثقيف من أهل الطائف، رحل إلى بلاد فارس، وأخذ الطب عن أهل " جنديسابور " وغيرها في فترة ما قبل الإسلام، ثم عاد إلى الطائف. وقد أمره رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يعالج سعد بن أبي وقاص في حجة الوداع عندما مرض. وقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم : " عالج سعدًا مما به " والحارث علي غير دين الإسلام .

وقد مارس التطبيب بين العرب المبشّرون، وأكثرهم من الأعاجم، وكانوا قد درسوا الطب وتعلموه على الطريقة اليونانية، فلمَّا أرسلوا إلى بلاد العرب أو جاؤوا هم أنفسهم للتبشير، مارسوا تطبيب المرضى، وقد شفوا جماعة من سادات القبائل، وأثّر شفاؤهم هذا عليهم فاعتنقوا النصرانية، وكان طبهم مبنيًا على العلوم والتجارب السابقة، ومتقدمًا جدًا بالنسبة إلى طب أهل البادية، لذلك نجح المبشرون والنصارى في معالجة أمراض الأعراب، ولا سيما سادتهم، الذين صاروا يقصدونهم لنيل الشفاء على أيديهم. ومن ثم اشتهر النصارى بالطب، ولمَّا جاء الإسلام كان أكثر الأطباء من النصارى، وعلى أيديهم تخرج الأطباء المسلمون.

ومن أقوال الحارث بن كلدة :

" من أراد البقاء ولا بقاء (أي ولا خلود في الدنيا في الحقيقة) فليجوِّد الغذاء وليأكل على نقاء (أي لا يدخل طعامًا على طعام) وليقلَّ من شرب الماء، ويتمشى بعد العشاء، ولا يبيت حتى يعرض نفسه علي الخلاء ".

وقال " دخول الحمام على البطنة (أي امتلاء البطن من الطعام) من شر الداء ".

وقيل أنه وصى ولده بقوله : (يا بنى عوّد نفسك الأثرة ومجاهدة الشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تخضم خضم البراذين، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمال. إن الله جعلك إنسانًا فلا تجعل نفسك بهيمة، واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة، فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت بطينًا فعد نفسك مع الزمني). ومن حكمه قوله : (لا تنكحوا من النساء إلا الشابة، ولا تأكلوا من الحيوان إلا الفتي، ولا من الفاكهة إلا النضيج).

وقد عرف العرب قبل الإسلام أثر المعدة في الصحة العامة للإنسان، وأنها مصدر العديد من الأمراض، فَعُدّت بذلك المعدة بيت الداء، والحمية أي قلة الطعام رأس كل دواء.

وقد كان الناس يكرهون مجالسة البُرْص خشية العدوى منهم، فكان الملك (عمرو ابن هند) يتجنب مؤاكلة البُرص، ويأمر بنضح الأمكنة التي يجلسون عليها حذر العدوى. وكانت قريش قد أخرجت (أبا عزة، عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهيب بن حذافة)، وهو من البُرص، من مكة مخافة العدوى، وفي هذا ملمح واضح عندهم على الوقاية من مرض البرص.

وقد ذكر د. جواد على ذلك، فقال : " وقد كانت أمراض الجلد من الأمراض المتفشية بالنسبة إلى تلك الأزمنة؛ لقلة العناية الطبية، وللفقر وعدم توفر وسائل النظافة والتنظيف بين معظم الناس، ولسوء تغذيتهم بسبب فقرهم العام "(١).

ويذكر أيضًا " وقد كانت الحُمَّى منتشرة في المواضع التي تكون فيها الينابيع والمستنقعات والمياه الآسنة الواقفة وما شاكل ذلك من أمكنة، ولما كان العرب في حاجة شديدة إلى الماء، كانوا يشربون منها اضطرارًا، فأصيبوا بسبب ذلك بأنواع من الأمراض.

وقد كانت وسائل مقاومة البعوض الناقل للحُمَّى غير معروفة، كما أن وسائل العناية بالصحة وتنظيف الجسم لم تكن متوفرة عندهم بسبب فقر أكثرهم؛ لذلك صارت أجسامهم معرضة لمختلف الأمراض، ولا سيما بين أهل المدر الذين لم تكن بيوتهم صحية، ولا مياههم نقية، وكانت بيوتهم ضيقة غير صحية، فكانوا يصابون بالسل وبالأمراض الأخرى، أكثر من الأعراب المتباعدين في السكن ... ويستنشقون الهواء النقي، وتقيهم الشمس من شر الجراثيم "(٢).

وكان العرب قبل الإسلام إذا خافوا على المرأة الحامل، ووجدوا أن ولدها ميّت في بطنها، استخرجوه منها وجوّزوا قيام الرجل بذلك، وعبّروا عن ذلك بـ (السطو). وذلك للمحافظة على صحة الأم .

ويظهر الجانب الوقائي أيضًا عند العرب قبل الإسلام في طريقة تفاديهم الثقب (قرح الفراش) الذي يحدث للمريض من طول نومه على جانب واحد في مرضه؛ فذكر د. كمال السامرائي قائلا :

" ولاحظوا أن المريض إذا طال اضطجاعه على كيفية واحدة، فإن جانب جسمه الذي ينام عليه يتعرض لقرحة تثقب عميقًا في لحمه فسموها (الناقبة)، فعالجوها وقاية بتكرار تغيير الجانب الذي ينام عليه المريض، وهى طريقة ناجحة لهذه الحالة "(٣).

ثانيًا – الطب الوقائي في الكتاب والسنة

لم يجهل العرب أهمية حفظ الصحة، وكان العرب يعرفون جيدًا أن علم الصحة

---

(١) د. جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، آوند دانش للطباعة والنشر، ط١ ، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م ، ج ٨ ، ص، ص٣٠٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ص ٣١١، ٣١٢ .

(٣) د. كمال السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي، مرجع سابق، ج١، ص ٢٠٢ .

يعلمنا طرق الوقاية من الأمراض التي لا يستطيع الطب شفاءها، وكانت مناهجهم الصحية طبية منذ القدم، وما أمر به القرآن من الوضوء والامتناع عن شرب الخمر ثم ما سار عليه أبناء البلاد الحارة من تفضيل الطعام النباتي على الطعام الحيواني غاية في الحكمة، وليس فيما نسب إلى النبي من الوصايا الصحية ما ينتقد[١].

كما يزخر القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي تحث الإنسان المسلم على الوقاية من الكثير من الأمراض، وقد أيدت ذلك النظريات العلمية الحديثة؛ وسوف أوضح ذلك بذكر بعض الأمثلة لتعاليم الدين الإسلامي، فنجد مثلاً في :

١ - الوضوء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ... ﴾[٢] ففي الوضوء حكمة بالغة، إذ أنه يجعل أعضاء جسم المسلم نظيفة لتكرار الوضوء خمس مرات قبل كل صلاة، مما يجعل جسم المسلم في نظافة مستمرة، والنظافة تحفظ صحة الإنسان، وتقيه من كثير من الأمراض، كذلك التطهر بعد التبول والتبرز .

كما أن القذارة هي بيئة صالحة لوجود القمل الذي ينقل الحمى التيفوسية، وأمراض أخرى كثيرة، تنتقل بالذباب وعدم غسل الأيدي، مثل التيفويد والدسنتاريا والكوليرا، هذا فضلاً عن الأمراض الجلدية المختلفة .

وإن نظافة الفم عدة مرات سواء في الوضوء أو قبل الصلاة - استخدام السواك - من أهم أسباب الوقاية من أمراض الأسنان واللثة، وكذلك غسل طاقة الأنف بالماء من أهم وسائل الوقاية من الزكام المتكرر .

هذا فضلاً عن الفائدة الروحية، حيث إنه حركة استعداد للصلاة، وكأنه فترة للتأمل بين عمليتين مختلفتين[٣].

٢ - الصلاة

قال تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ

---

(١) د.غوستاف لوبون : حضارة العرب. ترجمة: عادل زعيتر. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ، ص ٤٩٢ .

(٢) سورة المائدة : آية ٦ .

(٣) انظر: د. محمود دياب : الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠ م، ص ٨٣ .

وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾(١) فللصلاة الكثير من الفوائد للإنسان، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وفي الصلاة تطمئن القلوب الراجفة وتخشع النفوس الخائفة، ولها أثر مباشر في أعضاء الجسم وجميع أجهزته فهي رياضة سهلة للكبير والصغير؛ لأن فيها تتحرك عضلات الجسم كله، وكذلك المفاصل والعمود الفقري، وقد أثبت العلم الحديث ذلك(٢).

٣ - الصوم

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

وقد تحدث د. محمود دياب عن فوائد الصوم، يقول : لقد فرض الله الصيام لأغراض دينية، منها تعلم النفس الصبر وتحمل الجوع والعطش؛ ليشعر الصائم بألم الفقير، ولذلك يسارع المؤمن إلى مساعدة أخيه المحتاج دون أن يسأله سواء بطريق الزكاة أو بطريق الصدقة أو غيرهما، والصيام يعوِّد الإنسان النظام والقناعة والصبر وكبح الشهوات.

أما فوائد الصيام الصحية فهي كما يأتي :

إن الصيام يفيد في كثير من الأمراض، بل هو علاج أساسي في بعضها؛ إذ يستعمل للعلاج فيما يأتي :

١ - اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر في المواد الزلالية والنشوية، وهنا ينجح الصيام وخصوصًا عدم شرب الماء بين الأكلتين، وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة كما في صيام رمضان، وإذا أُخِذَ الغذاء المناسب على حسب حالة الشخص كانت أنجح طريقة لتطهير الأمعاء.

٢ - زيادة الوزن الناشئ من كثرة الغذاء وقلة الحركة أو بإسراف الناس على أنفسهم في التهام الطعام فيزدادون وزنًا، ويبطئون في حركتهم، ويستخدم الصيام والحمية في الطب الحديث في علاج السمنة المفرطة.

---

(١) سورة طه : الآية ١٣٢ .

(٢) د. محمود دياب: الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مرجع سابق، ص٨٤ .

(٣) سورة البقرة : الآيتان ١٨٣، ١٨٤ .

٣ - زيادة الضغط الذاتي : يكثر في هذه الأيام الانفعالات النفسية وحياة الترف التي يحياها بعض الناس لتزداد متاعبهم، وينتج ارتفاع الضغط في الدم .

والصيام خير علاج لهذه الحالة، وخاصة إذا كان الشخص ثقيل الوزن.

٤ - البول السكري : وهو ينتشر في هذه الأيام انتشار ارتفاع ضغط الدم، ويكون في مدته الأولى وقبل ظهوره مصحوبًا غالبًا بزيادة في الوزن. والصيام في هذه الحالة خير علاج إذ أن السكر يهبط مع قلة الوزن، ويهبط السكر في الدم بعد الأكل بخمس ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي في حالات البول السكري الخفيف وبعشر ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي بكثير .

ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات في الغذاء أهم علاج في هذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين وغيره من علاج السكر، وخصوصاً إذا كان هذا الشخص يزيد في الوزن الطبيعي.

٥ - التهاب الكُلَى الحاد والمزمن المصحوب بتورُّم .

٦ - أمراض القلب المصحوبة بتورُّم في الساقين .

٧ - التهاب المفاصل المزمنة وخصوصًا إذا كانت مصحوبة بسمنة كما يحدث عند كثير من السيدات بعد سن الأربعين، وقد تحسنت حالات بالصيام أكثر من جميع علاجات الطب الحديث من كهرباء وأدوية على مختلف أشكالها وأنواعها[١].

ومنذ مطلع النبوة الشريفة كان هناك طب نبوي كريم، وقد جمع الإمام البخاري - رضي الله عنه - أحاديث نبوية صحيحة تؤلف كتابين من الجزء السابع من صحيح البخاري، يبدؤها البخاري في الكتاب الثاني بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء) .

والكتاب الأول يحوي ثمانية وثلاثين حديثًا، والثاني يحتوي على واحد وتسعين حديثاً، وهناك كتب متعددة عن الطب النبوي، منها: كتاب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية للحموي، وكتاب الطب النبوي لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية.

وهناك الكثير من الأحاديث النبوية الخاصة بالطب الوقائي، نذكر منها قول رسول الله صلي الله عليه وسلم : (ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطن، حسب بن آدم أكلات

(١) د. محمود دياب : الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مرجع سابق، ص ص٨٥، ٨٦ .

يقمن صلبه، فإن كان لا محالة: فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه)[١]، وقوله في حديث آخر : (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع)[٢].

وفي الوقاية من العدوى قال صلي الله عليه وسلم : (إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها)[٣].

ويذكر د. عامر النجار – في هامش تحقيق كتاب ابن أبي أصيبعة – معلقًا على هذا الحديث فيقول : " ولو عرفت أوربا هذا الحديث الشريف وطبقته حين أصابها الطاعون في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي لخفت حدة ضحايا الطاعون آنذاك؛ حيث بلغت ضحاياه قرابة خمسة وعشرين مليون نسمة "[٤].

وهذا الحديث يطابق تعاليم الحجر الصحي الحديث :

حيث إنه يمنع قدوم أي شخص من أرض بها وباء؛ لأنه يكون بمثابة نقل عدوى من دولة وإصابة الخالية بها، ويمنع القانون الدولي الآن انتقال مريض من أرض بها وباء إلى دولة أخرى خالية عنه .

وفي حديث آخر عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (لا عدوى ولا طِيَرة، ولا هامة ولا صَفَرَ، وَفِرّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد)[٥]، وفي الحث على النظافة ورد في الأثر عن عامر بن سعد عن أبيه، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جوادٌ يحب

---

(١) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل : المُسْنَد، شرحه وصنع فهارسه : حمزة أحمد الزين. القاهرة: دار الحديث، ط ١، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ج ١٣، ص ص ٢٩٤، ٢٩٥، حديث رقم ١٧١٢٠ .

(٢) لم نعثر على هذا الحديث بعد البحث والتفتيش في كتب السنة النبوية، ولم يذكره فيما وقفنا عليه سوى برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية ٣ / ٢٩٥ من غير إسناد.

(٣) للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري : صحيح البخاري (الجامع الصحيح). القاهرة: جمعية المكنز الإسلامي ، ١٤٢١ هـ ، ج٣ ، كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون ، ص ١١٨٦ ، حديث رقم ٥٧٨٧ ، وأورده ابن حجر العسقلاني بنص مغاير بعض الشيء ، فقال (إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه ،وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منها) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حَجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري، رَقَّمَ كُتُبها : أ. محمد فؤاد عبد الباقي. الرياض . دمشق: دار السلام، دار الفيحاء، ط ٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م، ج ١٠، ص ص ٢٢١،٢٢٠ ،رقم الحديث ٥٧٢٩ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق ودراسة د. عامر النجار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١ م، ص ٣٢ بالهامش.

(٥) الإمام البخاري : صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، مرجع سابق ،ج٣ ، كتاب الطب ، باب الجذام ، ص ١١٨٣ ، حديث رقم ٥٧٦٩ .

الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود)[١]. وفي حديث آخر في النهي عن التبول في الماء : عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : (لا يَبولَنَّ أحدُكم في الماءِ الدائمِ الذي لا يجري ثم يَغتسِلُ فيه)[٢].

وعن جابر بن عبد الله قال : (نهى رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يبال في الماء الجاري)[٣]. وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد والظل وقارعة الطريق)[٤].

وعن فضل السواك ومدى فائدته في حفظ صحة الأسنان واللثة، قال رسول صلي الله عليه وسلم (لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة)[٥].

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة هي في مجملها تنصح وتحث الإنسان على حفظ الصحة سواء ما أثبته العلم الحديث أو لم يثبته بعد[٦] .

" فالطب العربي على مدى ازدهاره فيما بين القرن الثالث والسادس الهجري كان طباً للأصحاء بقدر ما كان طبًا للمرضى. أو كما قال سنان بن ثابت بن قُرّة لعضد الدولة البُويهي : (إن موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة الأمراض)[٧]، وبمفهوم الطب الوقائي ذي القيمة الأعلى في دفع الأمراض. نحسب أن نمط التطبيب الذي ذكرناه كان من خصائص الطب العربي، ولم يكن مارسه اليونانيون بسعة "[٨].

---

(١) الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي : سنن الترمذي(الجامع الصحيح) ، حققه وصححه : عبد الرحمن محمد عثمان. بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، ج٤، باب ما جاء في النظافة ، ص ١٩٨، حديث رقم ٢٩٥١ ، وقال الترمذي أنه حديث غريب ، وخالد بن إلياس يضعف ويقال ابن إياس .

(٢) الإمام البخاري : صحيح البخاري، مرجع سابق ،ج١ ، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم ، ص ٥٢ ، حديث رقم ٢٣٩ .

(٣) نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري : مَجمَعُ الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م، ج ١ . باب ما نُهِيَ عن التَخلّي فيه ، ص ٢٧٩ ، حديث رقم ٩٩٨ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجه، تحقيق / محمود محمد محمود حسن نصار. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ١، حديث رقم ٣٢٨، ص ١٩١ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، رقم الحديث ٨٨٧، ص ٤٨١.

(٦) لمزيد من التفصيل حول هذه النقطة راجع : د. محمود دياب : الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مرجع سابق، ص ٨٧ وما بعدها.

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الاطباء، مرجع سابق. ص ٣٠٨ .

(٨) د. كمال السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٢٨ ، لمزيد من التفصيل حول هذه النقطة راجع:

- د. الفاضل العبيد عمر : الطب الإسلامي عبر القرون. الرياض: دار الشوّاف للطباعة والنشر، من ص ١١٥ إلى ص ١٤٧ .

ثالثا - الطب الوقائي في صدر الإسلام

كان الطب عامة بما فيه الطب الوقائي في صدر الإسلام استمرارًا للطب الجاهلي بعد أن أزال الرسول صلى الله عليه وسلم ما فيه من جهالة ؛ فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على النظافة والحمية وأوصى بالحجر الصحي، وقد تجلّى ذلك واضحًا في حديثه الله صلى الله عليه وسلم: (ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثُلث لنَفَسه)[1]. وكان من الأطباء المسلمين المشهورين الحارث بن كلدة الثقفي وخالد بن يزيد بن معاوية.

وقد أورد التميمي شرحًا وافيًا لكيفية حدوث الأوبئة والأمراض في صدر الإسلام بناءً على ما ذكره أهرن القس بن أعين[2] ولخصه يحيى شعار في عدة نقاط، هي:

١ - أن التعاريف التي ذكرت في هذه المرحلة للهواء الصحيح والفاسد تطابق مفهوم العلم الحديث للهواء النقي والملوث، حيث إنها تعتمد في التعريف على البحث في الخواص الفيزيائية للهواء، كما تعتمد على معرفة زيادة نسبة الرطوبة أو ارتفاع الحرارة أو وجود مواد دخيلة في الهواء كالدخان أو الغبار أو ما شابه ذلك، ونحن نعلم أن ذلك يطابق مفهوم العلم الحديث للموضوع.

٢ - عرف تأثير تلوث الماء والتراب - الأرض - في تلوث الهواء بشكل واضح، وهذا أمر نعلم صحته تمامًا، بل إن العوامل الأشد أثرًا في تلوث الهواء - كما نعلم في الوقت الحاضر - هي ما يدخل عليه من ملوثات من العناصر الأخرى للبيئة.

٣ - تم التركيز على أهمية الهواء بالنسبة للكائنات الحية بشكل عام والإنسان بشكل خاص، وذلك أن الهواء إذا فسد كان الأسرع تأثيرًا في صحة هذه الكائنات؛ لأنها تتنفس منه باستمرار، ونحن نعلم صحة هذا الأمر تمامًا في الوقت الحاضر.

٤ - عرف أن الهواء بالتنفس يصل إلى جميع أعضاء الجسم، وأنه إذا كان فاسدًا فلا يخرج الفساد الذي فيه من الجسم بالزفير كما يخرج الطعام الفاسد بالقيء، بل إن

(١١) محمد ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع الصغير وزيادته : الفتح الكبير، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه : زهير الشاويش. بيروت. دمشق: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٩٨٦ م، رقم الحديث ، ٥٦٧٤.

(٢) أهرن القس بن أعين، عاش في صدر الإسلام ودرس الطب في مدرسة الطب بالإسكندرية، له كتاب الكناش بالسريانية، وقد نقله ماسرجويه إلى العربية (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جُلجُل : طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد. القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥ م، المجلد ١٠، ص ص ١٦، ٦٢) .

الهـواء مـتـى وصل إلى الرئتين لم يعـد بالإمكان أن يخـرج فـسـاده مـن الجـسم إذا كـان فاسدًا، وهذا كما نعلم يوافق تمامًا رأي العلم الحديث، ويبين وضوح التصور لدور الهواء في الجسم، وكيف أن جميع أجزاء - خلايا - الجسم تتنفس وتستخدم الهواء لذلك وليس فقط الرئتين، بل إن للرئتين دور الموزع للهواء إلى أعضاء الجسم كله "(١).

وحتى مع تطور النظرة للوقاية من الهواء الفاسد عن المرحلة اليونانية، بقيت عاجزة عن تفسير الكيفية الدقيقة لحدوث الأمراض نتيجة الهواء الفاسد.

رابعًا - أساليب الأطباء العرب في التعقيم

ذكر د. على عبد الله الدفاع الأساليب التي ابتكرها الأطباء العرب والمسلمون في تعقيم الأماكن التي تُجرى فيها العمليات الجراحية؛ وذلك للحفاظ على صحة المريض والوقاية من انتشار الأمراض؛ فيذكر : " وقد تفنن علماء المسلمين في الجراحة، فلكي ينظفوا المكان الذي يريدون أن يجروا عملية جراحية عليه، كانوا يستعملون الخمر، فإن لم يكن فيه خمر فيستعملون العسل والماء لهذا الغرض. كما طوروا المرقد أو المخدر العام، حتى كتب لهم السبق في هذا المجال"(٢).

خامسًا - الأساليب الوقائية عند بعض الدول (الكرنتينة)

وقد اتخذت بعض الدول التدابير للحفاظ على صحة المواطنين مثل الكرنتينة، والتى كانت تطبق عند التونسيين، وهي :

الكرنتينة : كلمة أجنبية أدخلت من اللغة اللاتينية إلى العربية، معناها: "أربعون" وتدل على التزام المراكب الواردة من البلاد الأخرى الملوثة الإقامة مدة أربعين يومًا خارج البلد المُزور بأمر من سلطة هذا البلد حتى يتبين أن المسافرين على متنها وكذلك البضاعة التي تحملها نقيان من أي مرض وبائي، وقد تكون مدة الكرنتينة أقل من أربعين يوماً، وربما يجبر المركب بالتزام الكرنتينة تنكيلا لغرض سياسي أو مادي.

ولكل مركب ورقة تدعى (البتيندة) وهي الجواز الصحي. وتكون البتيندة صافية

---

(١) المقدسي، محمد بن أحمد التميمي : مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، تحقيق ودراسة: يحيى شعار. القاهرة: معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ط ١، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ص ص ٥٩، ٦٠ .

(٢) د. على عبد الله الدفاع : أعلام العرب والمسلمين في الطب. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م، ص٥٧ .

إذا برح المركب بلادًا نقية من مرض وبائي وبالعكس إذا كانت " ملوثة " وفي هذه الحالة يستظهر المركب بالسنجق(١) الأصفر(٢).

سادسًا - أساليب العرب في تنقية المياه

مما لا شك فيه أن فساد الماء من الأمور المهمة الجالبة للأمراض والأوبئة، وقد أكد عليها التميمي في كتابه "مادة البقاء"، حيث ذكر أن المصريين يلقون بالجيف ومخلفات حيواناتهم وكذلك صرف مراحيضهم في ماء النيل، ثم يشربون منه !! ... وقد تعجب التميمي من هذا الفعل، وعابه على المصريين، فنجده في أثناء حديثه عن فساد الهواء يورد جزءًا خاصًا بفساد الماء، وهو يرى أن كلاً منهما يؤثر في الآخر أي أن فساد الهواء والماء متبادلان، فيذكر : " إن الجو إذا فسد بنوع من أنواع الفساد الداخلة عليه مثل أبخرة المياه الغليظة المتصاعدة إليه ... فلا محالة أنه يفسد - لأجل ذلك أيضًا - الماء المجاور لتلك الأهوية الفاسدة ... إذ الماء والهواء عنصران متجاوران يستحيل أحدهما إلى الآخر، ويدخل أحدهما في إزاء الآخر فيشابكه ويمازجه "(٣).

وقد أعطى التميمي تعريفًا للماء الفاسد اعتمد فيه على رأي أبقراط، فيقول إن الماء الفاسد : " يكون منظره غليظًا وبخاصة في فصل الشتاء، ويكون في كيفيته في الصيف حارًا وفي الشتاء باردًا "(٤). ويرجع سبب غلظ الماء الفاسد هنا إلى انحلال المواد العالقة بالماء؛ مما يسبب تغيرًا في صفاته الفيزيائية.

وقدم التميمي عدة طرق لتنقية المياه الفاسدة، وذلك على حسب نوع الفساد الذي أصابها والظروف المحيطة، فيذكر :

" ليس إصلاح الماء الفاسد ممكنًا بغير طبخه بالنار، إذ النار بحرِّها تحلل ما فيه من الغلظ وتزيل عنه ما مازجه من فساد الهواء المشابك له بما يتصاعد بحرها من بخاره المصفي لجوهره المميط عنه الغلظ المميز عنه الكدر، أو يمزجه عنه عند شربه

---

(١) لم نقع على معنى ولم يذكر المحقق تعريفًا لهذا المصطلح، وفيما يبدو أنه لفظ محرف من السنجقر، ويعرف بورد المزارع: لأنها كثيرًا ما تنبت فيها، ولهذا النوع لَبنٌ شديد البياض.

أبو الخير الإشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدم له وحققه: محمد العربي الخطابي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٥ م، ج٢، ص ٥٨٩ .

(٢) الحكيم أحمد ميلاد : الطب العربي التونسي في عشرة قرون. تونس: مطبعة الاتحاد العام التونسي، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م، ص ١٦٥ .

(٣) التميمي : مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، مرجع سابق، ص ص ٦٥، ٦٦ .

(٤) المرجع السابق، ص ٦٦ .

بالشراب العتيق الريحاني، وذلك عند تعذر إصلاحه بالطبخ لمن كان مسافرًا على الطريق، أو مجتازًا ببعض المواضع الفاسدة "(١).

ومما سبق يتضح أن التميمي يعتمد هنا على طبخ الماء الفاسد، أي غليه، وذلك لقتل ما يعلّق به من جراثيم وغيرها، أو خلطه بشراب كحولي تتم به عملية التعقيم، ونجد أيضًا التميمي يقدم الحل للشخص المقيم في مكان فساد الماء وتتوافر لديه مقومات غلي الماء الفاسد، أما المسافر والذي قد يفتقر لهذه المقومات فيمكنه استخدام الشراب الكحولي للتعقيم، فالمهم هنا عند التميمي هو إصلاح الماء الفاسد بشتى السبل.

ولم يكتف التميمي بذلك بل تعدّى ذلك إلى شرح الطريقة التي يجب طبخ الماء بها، والمقدار من الماء المتبخر، والآنية التي تحفظ الماء بعد الغلي إلى غير ذلك من التدابير التي ذكرها، فيقول :

" وسبيله أن يديم طبخه إلى أن يذهب منه الربع، ثم يبرد في آنية من جديد الخزف المتخلل الأخير الكثير الرشح إن كان الوقت قيظاً أو في آنية من الزجاج إن كان الوقت شتاء... وينبغي أن نعلم أن أفضل هذا الماء المطبوخ المبرد وألطفه وأنفعه رشحه، وهو ما رشح منه في آنية الخزف الجديد المتخلل الأجزاء الدائم الرشح، فليعتمد شرب ذلك "(٢).

فنجده هنا يؤكد على ضرورة غليان الماء الفاسد حتى يتبخر الربع، ثم يرشح بعد ذلك في آنية مصنوعة من الخزف، وأفضل ما يشرب من الماء هو الماء المرشح من تلك الآنية. وأما بالنسبة إلي الماء الكدر وهو الماء الذي يحتوي على أجسام طافية فلقد استخدم التميمي عدة طرق لتنقيتها منها عملية الترسيب وعملية الترويب وموادها، فيذكر :

" فأما تصفية الماء الكدر فإنه قد يحتال لتصفية الماء الطيب الخفيف إذا كان كدرًا في أوقات المدود لأجل أنواع التراب التي يمر عليها ويجري عليها بوجوه من العلاج، فمنه ما يصفى بأن يلقى فيه اليسير من الشب الأبيض اليماني، أو بأن يلقى فيه شيءٌ من لب نوى المشمش، أو قلوب اللوز المرمد فوقه، أو اليسير من ملح الطعام مدقوقاً، أو يلقى فيه شيء من خشب الساج، فإنه إذا أُلقي في الماء الحلو الكدر أحد هذه الأشياء،

(١) مادة البقاء، ص ١٨٨ .

(٢) المرجع السابق، ص ص ١٨٩، ١٩٠ .

وحرك به تحريكًا جيدًا ثم تُركَ ساعةً زمانيةً، فإنه يصفيه ويروقه ويميز العنصر الأرضي منه بسرعة"(١).

وبعد كل ما سبق نجد التميمي يتحدث عن نوع الوعاء الذي يُغلى فيه الماء والحطب المستخدم في غلي أو طبيخ الماء، فيذكر : " فأما إصلاح الماء الفاسد بالنار وكيفية عمله فسبيله من أراد إصلاحه بالنار أن يطبخه(٢) في آنية من النحاس أو من الحديد البرام، وليكن طبخه إياه بحطب الطَّرْفاء(٣)، فإن لحطب الطرفاء ولدخانه خاصية في إصلاح ما فسد من الهواء والماء جميعاً "(٤).

ويمكننا تحليل آراء التميمي في مسألة تلوث المياه والوسائل والطرق التي أوردها في سبيل معالجتها في ضوء العلم الحديث فيما يلي :

١- تمييزه بين المياه الغليظة والكدرة، وتعريفهما بشكل دقيق، فالمياه الغليظة هي التي يكون منظرها غليظًا وتكون حارة في الصيف، باردة في الشتاء؛ وسبب غلظها احتواؤها على مواد منحلَّة تزيد من كثافتها، فيؤدي ذلك إلى تغير في درجتي غليانها وتجمدها، أما المياه الكدرة فيمكن أن تكون طيبة خفيفة، أي أن فيها مواد طافية فقط، وليس بالضرورة أن تكون غليظة، وهكذا كلام يثبت صحته العلم الحديث.

٢- ربط بين تلوث الماء والهواء، فتلوث أحدهما يؤدي إلي تلوث الآخر، وهو ما أثبت صحته العلم الحديث .

٣- استخدم غلي الماء الفاسد وهو ما أسماه : طبخ الماء، ونحن نعلم أن غلي الماء بهذا الشكل الذي يتبخر منه ربع الماء يعقم تعقيمًا تامًا.

٤- قام بمعالجة المياه بالترشيح عبر أوان خزفية. وهو المتبع الآن، لكن عملية الترشيح الآن تتم عبر أحواض رملية، أما طبقًا لما ذكره التميمي فيكون من خلال أوانٍ خزفية جديدة.

(١) مادة البقاء، ص ١٩٠ .

(٢) المقصود بطبخ الماء هنا أي غليه.

(٣) الطَّرْفاء : واحدتها طَرْفة وطَرَفه وطَرْفاءة، وقيل :هي واحدة وجمع، هَدَبها مثل هَدَب الأثْل، وليس لها خشب وإنما تخرج عصيًا سمحة في السماء، وعصيّه ووقوده وأوتاره جيدة وهي من العضاه.
(حسين يوسف موسى، عبد الفتاح الصعيدي : الإفصاح في فقه اللغة. القاهرة: دار الفكر العربي، ط ٢ ، ج ٢، مادة طرف، ص ١١١١) .

(٤) التميمي: مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء، والتحرز من ضرر الأوباء، مرجع سابق، ص ١٨٩ .

٥- تحدث التميمي عن نوع الإناء المستخدم في طبيخ الماء (غليه) كما تحدث عن نوع الخشب المستخدم في طبخ الماء خاصة ما عرف عن حطب الطرفاء من إصلاح ما فسد من الهواء والماء جميعًا.

٦- بالنسبة للماء الكدر، نجد التميمي قد اقترح موادً للتنقية منها الشب اليماني، والشب اليماني هو كبريتات الألومنيوم وهو مادة مروبة[١] مستعملة بشكل أساسي في محطات معالجة المياه، وهي تساعد على تجميع ما يعلق بالمياه من شوائب .

وكذلك استخدم التميمي خشب الساج وملح الطعام وقلوب اللوز المرمد، فهي مواد تساعد على تكتل الجزئيات أيضًا.

٧- مما يزيد من كفاءة الترسيب أيضاً عدد التصادمات بين الجزئيات الموجودة في الماء في وحدة الزمن، وهو أمر أدركه وذكره التميمي، ونبه على ضرورة التحريك والخلط ليتم تنقية المياه بكفاءة عالية .

٨- ذكر التميمي أنه بعد إضافة المواد والخلط يجب أن تترك المياه لمدة ساعة من الزمن، وهذا الأمر إذا نظرنا إليه من وجهة نظر العلم الحديث وجدناه زمنًا للترسيب.

٩- وإضافة قلوب اللوز المُرمَّد لها فائدتان: الأولى أنها تساعد على الترسيب، والثانية إزالة الطعم والرائحة لاحتوائها على الرماد الذي هو عبارة عن بقايا كربونية ناتجة عن عملية الاحتراق، والكربون حاليًا يستعمل في محطات معالجة المياه لإزالة الطعم والرائحة .

١٠- ليس المقصود بعرض آراء التميمي في مجال تنقية المياه هو المطالبة باستخدامها في الوقت الحالي، فجميعنا يعرف ما تمتلكه شركات مياه الشرب من الطرق والوسائل لتنقية المياه وتعقيمها بقدر الإمكان، ووسائل المحافظة على سلامة المياه، لكن المقصود هنا هو محاولة فهم ملامح العقلية العربية، وكيفية التفكير العلمي السائد قديمًا، وأساليبهم للتعايش مع البيئة التي يعيشون فيها، خاصة وإن كانت هذه البيئة صحراوية يندر بها وجود الماء، فإذا وجد الماء الفاسد أو العالقة به بعض الشوائب كان لزامًا عليهم أن ينقوه مما علق به من شوائب.

---

(١) هي المادة التي تتحد مع الشوائب العالقة في الماء، وتترسب في القاع.

ومما سبق يتضح أن التميمي قبل ألف عام قد أتى في مجال تلوث المياه ومعالجتها وعلاقتها بتلوث الهواء بآراء تُعَدُّ سبقًا حضاريًا في ذلك الوقت؛ حيث جاءت آراؤه مطابقة وموافقة لما ذكره العلم الحديث[1].

ولقد جاءت بعض الآراء لبعض الأطباء العرب والمسلمين مثل عليّ بن رضوان (المتوفَّى ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) رئيس أطباء مصر في كتابه "دفع مضار الأبدان بأرض مصر" عن حفظ الصحة والوقاية من الأمراض، حيث يذكر خمسة وعشرين شيئًا يجب على الطبيب إدراكها، فيذكر :

والذي يحتاج أن يُحْصِيه الطبيب ويحفظه، ويعرفه، في مداواة كلّ مرض، وفي حفظ الصحة... خمسة وعشرون شيئًا، بعد جزيئات أُخَر :

١ - مِزَاج البلد .
٢ - الأمراض البلديّة.
٣ - الوقت الحاضر.
٤ - مِزَاج ذلك الوقت.
٥ - المرض الوافد.
٦ - المرض الموجود في البدن، وفي أي عضو هو.
٧ - سبب المرض.
٨ - مقدار قوّة المرض.
٩ - أعراض المرض.
١٠ - قوة الأعراض.
١١ - قوة العليل.
١٢ - مزاج العليل.
١٣ - سِنّ العليل.
١٤ - مزاج العضو الذي فيه المرض، وفعله، وشكله، ووضعه.
١٥ - سحنة العليل.
١٦ - طبيعة العليل من الذكور والإناث.
١٧ - عادته في أيام الصحة والمرض.
١٨ - طبيعة الأغذية والأدوية .

(١) انظر : مادة البقاء، ص ٦٨ وما بعدها .

١٩ - عادته منها في أيام صحته ومرضه.

٢٠ - ما ينبغي للطبيب أن يختار منها في أوقات الصحة، وفي أوقات المرض.

٢١ - كيف ينبغي أن يكون العلاج.

٢٢ - أيّ وقت موافق للعلاج.

٢٣ - أيّ عضو موافق في إيراد العلاج.

٢٤ - أن يكون المريض ومن يحضره، على وفاق الطبيب.

٢٥ - أن يكون ما يُعرَض من خارجٍ موافقًا.

فهذه هي التي يَقْتَدي بها الطبيبُ على مَعُونَة الطبيعة، والقيام بخدمتها في حفظ الصحة، ومداواة المرضى[1].

وهذه المبادئ التي أوردها عليُّ بن رضوان لا تعكس مدى اهتمامه بحفظ الصحة (الطب الوقائي) فقط، بل تهتم بالشروط التي يجب أن يتبعها الطبيب في علاجه للمرضى.

وقد امتدت اسهامات العلماء العرب والمسلمين في مجال الطب الوقائي (حفظ الصحة)، لتشمل حفظ صحة الأسنان واللِّثة، والعين، وحفظ صحة الأذن، وحفظ صحة الأم والطفل، والعناية بالجنين في بطن أمه، والعناية بالمولود حديث الولادة، وحفظ الصحة في السفر.

ويمكنني أن أختتم بحثي هذا بتلخيص للنتائج على النحو الآتي :

بعد أن عرضت لآراء قدماء المصريين والبابليين والآشوريين والهنود والفرس والإغريق (اليونانيين) والرومانيين في مجال حفظ الصحة (الطب الوقائي) تبين ما يأتي :

١- أن هناك تشابهًا بين آراء معظمهم؛ مما يعكس أن هذه الشعوب قد اطلعت على آراء بعضها البعض واستفادت منها، وهذا لا يقلل أبدًا من قيمة هذه الحضارة أو يرفع قدر تلك الحضارة المانحة على الحضارة المتلقية .

٢- يبدو لي أن التشابه الواضح بين آراء كلٍّ من أصحاب الحضارات السابقة نابع من مبدأ قد اشتركوا فيه جميعًا، وهو (الوقاية من الأمراض وحفظ صحتهم) هذا المبدأ

---

(١) علي بن رضوان. كتاب دفع مضار الأبدان بأرض مصر. دراسة وتحقيق: د. عبد المجيد دياب. الكويت: مكتبة ابن قتيبة، ١٩٩٤ م، ص ص ١٨٩، ١٩٠ .

هو ما دفعهم إلى البحث والتنقيب على إسهامات وآراء من سبقوهم والتعويل عليها في حياتهم، أو ابتكار وسائل وأساليب جديدة غير مسبوقة لحفظ صحتهم .

٣- تدخل بعض الكهنة في مجال الطب الوقائي في الحضارة المصرية القديمة مثلاً وغيرها من الحضارات، فلا غضاضة في ذلك، فللكهنة في الحضارات القديمة دور كبير ليس على المستوى الديني فحسب، بل في العديد من أوجه الحياة .

٤- ربما يتشابه إلى حد كبير تقسيم المعالجات الطبية في بعض الحضارات القديمة والتقسيم الحديث في الطب؛ وهو ما ظهر واضحًا جليًا في الطب الوقائي في بلاد ما بين الرافدين.

٥- ظهرت في الحضارات القديمة بعض الآراء التي تعتمد على السحر والشعوذة - ولا غضاضة في ذلك - فعلى الرغم مما وصلت إليه هذه الحضارات من تقدم فقد كانت بعض هذه العقول تحمل في طياتها بعض المعتقدات البدائية التي تعتقد في جدواها، بل نجد أن مثل هذه المعتقدات قد امتدت لتظهر عند العرب قبل الإسلام وبعده.

٦- إن التشابه الواضح بين آراء الأطباء في العديد من الحضارات في مجال الطب الوقائي لم يكن مقتصرًا على مجال الطب الوقائي فقط، فالمتصفح لتاريخ العلوم يجد تشابها واضحًا في الكثير من المجالات بين الحضارات كما سبق؛ فنجد مثلاً التنجيم هناك تشابه بين التنجيم عند قدماء المصريين وكذلك البابليين والآشوريين والهنود والإغريق، ومن ثم لم يقتصر هذا التشابه بين الحضارات القديمة على الطب الوقائي فحسب، بل ضم العديد من العلوم ومن بينها الطب الوقائي.

٧- إن الدين الإسلامي بجميع قواعده ونواهيه يعمل على حفظ صحة الإنسان سواء النفسية أو البدنية، وذلك لتصبح خير أمة في أفضل صحة مصداقاً لقوله تعالى :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾(١).

ومن هذه القواعد والنواهي :

أ - رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرص كل الحرص على تدارس وتداول مختلَف العلوم، ومنها الطب.

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

ب - بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسس وقواعد العلوم الصحيحة؛ ومنها حفظ الصحة الفردية، وهي من الفروع الطبية الحديثة.

ت - بين أسس وقواعد الصحة الوقائية، وأمرنا بالابتعاد عن المريض المعدي؛ حتى لا نتعادى منه.

ث - بين قواعد وأسس الحجر الصحي، والذي يستخلص من حديث الطاعون.

ج - تحدث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن صحة البيئة، وكيفية المحافظة عليها ووقاية الأمراض كما في الحديث " طهروا أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود".

د - أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن طبيبًا، ولكنه يعلم تمام العلم ضرورة أن يكون المسلم صحيح الجسم نفسيًا وجسديًا، وأنه لكي ينهض المسلمون لا بد من كونهم أصحاء خالين من الأمراض بقدر الإمكان.

٨- أكدت التعاليم الإسلامية على مبدأ مهم، وهو مبدأ الاعتدال الذي يجب أن يسير عليه الإنسان في جميع أوجه حياته ليس الطعام فقط.

٩- اتخاذ الأطباء العرب - والجراحين منهم على وجه الخصوص - الخمور لتعقيم أماكن إجراء العمليات، فإن لم يوجد فيتخذون العسل والماء؛ وذلك لتعقيم تلك الأماكن التي تجرى بها العمليات الجراحية.

١٠- اتخاذ بعض الدول لمبدأ الحجر الصحي الكرنتينة مثل ما استعملته تونس في فرض الحماية على السفن خاصة الواردة من البلاد الموبوءة، حتى يثبت صحتها وصحة ما تحمل تلك السفن من ركاب وبضائع.

١١- اهتمام الأطباء العرب والمسلمين بتنقية مياه الشرب؛ والطريقة التي يجب أن يستخدمها الإنسان في تنقية هذه المياه الكدرة بالطبخ إن كان مقيمًا. وإذا كان مسافرًا فعليه أن يخالطه بشيء من الكُحْل؛ وذلك لقتل أي ميكروبات قد تكون عالقة بالمياه، وذكر أيضًا الوقت المناسب ليترك الماء بعد الغلي ثم يشرب منه، والأواني التي يحفظ فيها الماء.

ونستطيع أن نذكر أن كلام التميمي يعتبر بمثابة بحث كامل عن إسهامات أحد الأطباء العرب والمسلمين وهو التميمي في مجال تنقية مياه الشرب عند العرب.

١٢- ظهرت أهمية حفظ الصحة من مرض الوباء أو الطاعون: وذلك لأنه أشد الأمراض فتكاً، ولأن أفضل السبل والوسائل لعلاجه هو الوقاية منه أصلاً.

١٣- اختلفت النظرة إلى الطاعون وبالتالي اختلفت أساليب معالجته؛ فالبعض اعتبره أنه مرض ناجم من غضب الله على عباده، فألفت الأدعية والأوراد التي يتقرب بها الناس لله تعالى حتى يدفع عنهم هذا الوباء، وهي في مجملها نظرة قد سادت معظم العصور حتى الوقت الحاضر إذ يلجأ دائمًا البسطاء من الناس إلى اللجوء إلى الأسباب القريبة والحلول السهلة والأسباب الدينية، ويرجعون سبب انتشار هذا المرض أو ذلك هو بعد الناس عن الدين وإعراضهم عن تعاليمه.

١٤- هناك علاقة بين جودة الهضم وحفظ صحة الأسنان، ففساد الطعام في المعدة يؤدي إلى أمراض الأسنان واللثة، وقد فطن الأطباء العرب إلى ذلك ونبهوا على ذلك في مؤلفاتهم.

١٥- كما تبين أيضا ما يسمى بالأوبئة الفموية، وهي الأمراض العامة الانتشار بالأسنان واللثة.

١٦- أكد الكثير من الأطباء العرب والمسلمين على ضرورة المحافظة على الأسنان واستعمال السواك، وعدم كسر الأشياء الصلبة عليها؛ وذلك حتى لا يتسبب في كسر الأسنان أو خلخلتها من اللِّثَة.

١٧- أكدت آراء الأطباء العرب والمسلمين على حفظ صحة العين ووضحت أهمية حاسة البصر، وأكدت على أهمية الاعتناء بما يحد البصر ويقويه ويحافظ عليه، وعدم إجهاد العين في القراءة الدقيقة، ووقايتها من الغبار والأجواء الصعبة والشاقة المضرة للعين، وكذلك الاهتمام الكبير بحفظ صحة العين من الغبار، وذلك بسبب البيئة الصحراوية التي يعيش فيها العرب.

١٨- أكدت آراء الأطباء العرب والمسلمين على ضرورة المحافظة على الأذن، وذلك من خلال تنظيفها مما قد يعلق بها من أتربة أو شوائب .

١٩- جاءت معظم آراء الأطباء العرب والمسلمين دائمًا للوقاية من الأمراض باتخاذ التدابير في ذلك؛ إلا أنه في بعض الأحيان كانوا يلجأون إلى استخدام بعض الأدوية ليس من وجهة نظر علاجية، بل من كونها تحافظ على صحة العضو، كما جاء في حفظ صحة الأذن، فلقد أورد ابن سينا أنه يجب استخدام دهن اللوز المر تقطيرًا في الأذن؛ ليحفظ صحتها وذلك في كل أسبوع مرة .

٢٠- اهتم الأطباء العرب والمسلمون في مؤلفاتهم بمجال حفظ صحة الأم والطفل سواء قبل الولادة أو بعد الولادة مباشرة وحتى أن يكبر الطفل، والاعتناء بالأم وهي

ترضع الطفل، والاعتناء بالمرضعة على اعتبار أن العناية بها هو في حقيقة الأمر عناية بالطفل الذي ترضعه، وبالتالي أي أدوية تأخذها الأم هي تؤثر على الطفل الرضيع، ويمتد الحديث عن عناية الطفل حتى يكبر في مراحله المختلفة .

وظهر واضحًا التشابه بين الموضوعات الرئيسة التي تحدث عنها الأطباء العرب والمسلمين سواء في مشرق العالم الإسلامي أو غربه، تلك الموضوعات تكاد تكون متطابقة إلى حد ما؛ ونجملها فيما يلي:

١ - تدبير الهواء المحيط بنا .

٢ - تدبير المأكول والمشروب .

٣ - تدبير الحركة والسكون البدنيين والنفسيين .

٤ - تدبير النوم واليقظة .

٥ - تدبير الاستفراغ والاحتباس .

٦ - تدبير الفصول الأربعة وما يجب على الإنسان أن يلبسه ويتناوله من الأطعمة والأشربة حسبما يتناسب مع أوقات وفصول السنة .

٧ - تدبير السفر .

٨ - تدبير الأم والطفل .

ونجد معظم الأطباء تحدثوا عن تدبير الإستفراغ والاحتباس، وشملوه بشيء من التفصيل، وضمنوه:

١ - استفراغ المني وذلك بالجماع وأوضحوا أن الإفراط فيه يوهن الجسم وكذلك حبس المني يؤدي إلى المرض، وشمل ذلك أيضاً كل ما يتعلق بالنكاح والأوضاع المفضلة للجماع والمفضل من جماع النساء وأوصوا بالابتعاد عن مجامعة المرأة العجوز؛ لأنها من مهلكات الصحة، وكذلك الطفلة حيث أن أعضائها التناسلية لم تنضج بعد، وكذلك تحدثوا عن مجامعة الغلمان وبينوا أسباب فساده للصحة.

٢ - استفراغ الدم الفاسد وذلك بالفصد وإخراج الدم الفاسد من الجسم، وهي طريقة متبعة حتى الوقت الحالي[1].

---

(١) هناك الكثير من المؤلفات العربية تتحدث عن هذا الموضوع. منها :

١- رسالة في الفصد والحجامة، الحنفي (يوسف بن سالم بن أحمد المصري) المتوفى ١١٧٨ هـ، رقم المخطوطة ٣٢١٢ / ج طب، مكتبة بلدية الإسكندرية .

٢- نهاية القصد في صناعة الفصد، ابن الأكفاني (رضي الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري) المتوفى ٧٤٩ هـ، فيلم ٤٨، مخطوط ٢٧٠. (الطب - الكتاب الأول) معهد المخطوطات =

٣ – استفراغ عن طريق القيء وذلك حتى ينقي الإنسان معدته وباقي جسمه مما يكون قد مكث في المعدة من أخلاط.

٤ – تنظيف الجسم مما علق به من أوساخ وغيرها ؛ ويكون ذلك عن طريق الحمام وقد ذخر التراث العربي بمؤلفات كثيرة[(١)]، كما تناول بعض المؤلفين العرب هذه المسألة من الوجهة الفقهية[(٢)] .

ولم يتوقف اهتمام الأطباء العرب والمسلمين بحفظ صحة البدن كله، بل امتد إلى حفظ صحة كل عضو على حدة، فنجد مثلاً الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا يذكر في كتابه "القانون في الطب" : " فصل فيما يحفظ الثدي صغيرًا ومكسرًا، ويمنعه عن أن يسقط، ويمنع أيضًا الخصي من الصبيان أن تكبر : من أرادت منهن أن تحفظ ثديها مكسّرًا قلّلت دخول الحمام، وكذلك الصبيان، وهذا الدواء الذي نحن واصفوه جيّد في ذلك المعنى"[(٣)] .

ثم أخذ في إيراد بعض الأدوية التي تحفظ صحة الثدي وأدوية أخرى لحفظ الخصي عند الصبيان أن تكبر .

وقد اهتم بعض الأطباء بالمظهر العام للإنسان؛ فنجد مثلاً أبو بكر محمد بن زكريا الرازي يورد فصلاً بعنوان : في الصلع وحفظ الشعر وتطويله وإنباته، وإنبات اللحي

= العربية.

٣- رسالة الفصد، ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن البلخي البخاري) المتوفى ٤٢٨ هـ، فيلم ٣٢، مخطوط ١٨٥، (الطب - الكتاب الأول) معهد المخطوطات العربية .

٤- نبذة في الفصد والحجامة، الأنطاكي (داود بن عمر البصير) المتوفى ١٠٠٨ هـ، فيلم ٣٤، مخطوط ٥٤٥، (الطب - الكتاب الثاني) معهد المخطوطات العربية .

٥- مقالة في الفصد، الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا) المتوفى ٣١١ هـ، فيلم ٧٢، مخطوط ٧٧٠، (الطب - الكتاب الثاني) معهد المخطوطات العربية .

٦- رسالة في الفصد، الطبري (أبو الحسن أحمد بن محمد) المتوفى بعد ٣٦٦ هجرية، فيلم ٣٨٤، مخطوط ١٦٢، معهد المخطوطات العربية .

(١) هناك الكثير من المؤلفات العربية تتحدث عن هذا الموضوع، منها :

١ – مقالة في الحمام، بدر الدين محمد بن محمد القوصوني المتوفى ٩٣١ هـ، فيلم ٢٦، مخطوط رقم ٤٦٧، (الطب - الكتاب الثاني) معهد المخطوطات العربية .

(٢) القول التام في آداب دخول الحمام، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الأقفهسي القاهري الشافعي المعروف بابن العماد، المتوفى ٨٠٨ هـ. فيلم ٥٣، مخطوط رقم ٦٤٧، (الطب - الكتاب الثاني) معهد المخطوطات العربية .

(٣) الشيخ الرئيس أبو علي الحسن بن علي بن سينا : القانون في الطب، تحقيق: د. إدوار القش، تقديم د. علي زيعور. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م، المجلد الثاني (الكتاب الثالث)، ص ١٢٢٨ .

والحواجب، وإنبات الشعر في جميع المواضع التي تحتاج إليه ولو على كي القروح، يتحدث فيه الرازي على أسباب تساقط الشعر، وعلاج الصلع، وإنبات الشعر في بعض المواضع[١].

ويذكر الرازي : " وأما الذي يمنع الوجه من التشقق فشحم الدجاج والشمع والدهن والمخاخ"[٢].

ويذكر الرازي : " القطران إذا مسحت به الأطراف أمنت أن تعفن من البرد البتة وإن كان قد بدأ بها وجع "[٣] .

كما وجدت كثير من المؤلفات الطبية للعلماء العرب والمسلمين، يتحدث فيها الأطباء العرب على ضرورة الابتعاد عن التدخين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - سَدُّ الآذَانِ عَنْ ذِكْرَ شُرْبِ الدُّخَّانِ

لشهاب الدين أحمد النوبي، المتوفى بعد سنة ١٠٣٧ هـ

وهي نسخة بخط المؤلف يتحدث فيها عن مسألة تحريم شرب الدخان، ويوضح مدى فساده وأضراره على أعضاء جسم الإنسان، فيذكر:

" بل قال بعض من يحسن العلوم أنه من جملة السموم ، وكلامه محق معلوم ، فقد شاهدنا من قال بنفعه وكماله وقال في فيء ظلاله، وازدادت علله بكثرة استعماله، أما ضرره في البصر وضعف النظر فمعروف مقدر، لا يكاد ينكر، ومن داوم على شربه، رَبَّا مرض الربو في قلبه، وتنشيف دماغ "[٤] .

كما يتناول تحريمه فقهيًا، ويبين ويوضح سبب ذلك التحريم من وجهة نظره .

(١) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : الحاوي في الطب، اعتنى به: هيثم خليفة طعيمي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م، ج ٧، ص ٤٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٤٠٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٤٠٠ .

(٤) سَدُّ الآذَانِ عَنْ ذِكْرَ شُرْبِ الدُّخَّانِ، شهاب الدين أحمد النوبي، المتوفى بعد سنة ١٠٣٧ هـ . مخطوط رقم ١٩٧٥ / د طب، ضمن مجموعة (١ أ - ٦ ب) . بلدية الإسكندرية، (ق٤ ب).

المراجع والمصادر :

١- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق ودراسة: د. عامر النجار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١ م، ج١ .

٢- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : الحاوي في الطب، اعتني به: هيثم خليفة طعيمي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، ج ٧ .

٢- أبو الخير الإشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدم له وحققه: محمد العربي الخطابي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٥ م، ج٢ .

٣- أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جُلجُل : طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد. القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥ م .

٤- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجه، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١ .

٥- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل : المُسْنَد، شرحه وصنع فهارسه : حمزة أحمد الزين. القاهرة: دار الحديث، ط ١، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ .

٦- الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي : سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، حققه وصححه : عبد الرحمن محمد عثمان. بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ .

٧- الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري، رَقَّمَ كُتُبها : أ. محمد فؤاد عبد الباقي. الرياض. دمشق: دار السلام - دار الفيحاء، ط ٣، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م .

٨- جواد علي (دكتور): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، آوند دانش للطباعة والنشر، ط١ . ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ .

٩- حسين يوسف موسى، عبد الفتاح الصعيدي : الإفصاح في فقه اللغة. القاهرة: دار الفكر العربي، ط ٢.

١٠- الحكيم أحمد ميلاد : الطب العربي التونسي في عشرة قرون. تونس: مطبعة الاتحاد العام التونسي، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م.

١١-الشيخ الرئيس أبو علي الحسن بن علي بن سينا : القانون في الطب، تحقيق د. إدوار القش، تقديم د . علي زيعور. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

١٢-على عبد الله الدفاع (دكتور): أعلام العرب والمسلمين في الطب. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.

١٣- علي بن رضوان : كتاب دفع مضار الأبدان بأرض مصر، دراسة وتحقيق: د. عبد المجيد دياب. الكويت: مكتبة ابن قتيبة، ١٩٩٤ م.

١٤- غوستاف لوبون (دكتور): حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

١٥- الفاضل العبيد عمر(دكتور): الطب الإسلامي عبر القرون. الرياض: دار الشوّاف للطباعة والنشر.

١٦- كمال السامرائي(دكتور): مختصر تاريخ الطب العربي. بيروت: دار النضال، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٧- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري : صحيح البخاري (الجامع الصحيح). القاهرة: جمعية المكنز الإسلامي ، ١٤٢١ هـ .

١٨- محمد بن أحمد التميمي المقدسي : مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، تحقيق ودراسة: يحيى شعار. القاهرة: معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.

١٩ - محمد عبد الرحمن مرحبا (دكتور) : الجامع في تاريخ العلوم عند العرب. بيروت: منشورات عويدات، ط ٢، ١٩٨٨ م .

٢٠ - محمد ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع الصغير وزيادته : الفتح الكبير، أشرف على طبعه : زهير الشاويش. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٩٨٦ م.

٢١- محمود دياب (دكتور): الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠ م.

٢٢- نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري : مَجمَعُ الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

المخطوطات :

١- رسالة في الفصد والحجامة، الحنفي (يوسف بن سالم بن أحمد المصري) المتوفى ١١٧٨ هـ، رقم المخطوطة ٣٢١٢ / ج طب، مكتبة بلدية الإسكندرية .

٢- نهاية القصد في صناعة الفصد، ابن الأكفاني (رضي الدين محمد بن إبراهيم ابن ساعد الأنصاري السنجاري)، المتوفى ٧٤٩ هـ، فيلم ٤٨، مخطوط ٢٧٠، (الطب - الكتاب الأول) معهد المخطوطات العربية .

٣- رسالة الفصد، ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن البلخي البخاري)، المتوفى ٤٢٨ هـ، فيلم ٣٢، مخطوط ١٨٥، (الطب - الكتاب الأول) معهد المخطوطات العربية .

٤- نبذة في الفصد والحجامة، الأنطاكي (داود بن عمر البصير)، المتوفى ١٠٠٨ هـ، فيلم ٣٤، مخطوط ٥٤٥، (الطب - الكتاب الثاني) معهد المخطوطات العربية .

٥- مقالة في الفصد، الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا)، المتوفى ٣١١ هـ، فيلم ٧٢، مخطوط ٧٧٠، (الطب - الكتاب الثاني) معهد المخطوطات العربية .

٦- رسالة في الفصد، الطبري (أبو الحسن أحمد بن محمد)، المتوفى بعد ٣٦٦ هجرية، فيلم ٣٨٤، مخطوط ١٦٢، معهد المخطوطات العربية .

٧ - مقالة في الحمام، بدر الدين محمد بن محمد القوصوني، المتوفى ٩٣١ هـ، فيلم ٢٦، مخطوط رقم ٤٦٧، (الطب - الكتاب الثاني) معهد المخطوطات العربية .

٨- القول التام في آداب دخول الحمام، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن يوسف الأقفهسي القاهري الشافعي المعروف بابن العماد، المتوفى ٨٠٨ هـ، فيلم ٥٣، مخطوط رقم ٦٤٧، (الطب - الكتاب الثاني) معهد المخطوطات العربية .

٩- سَدُّ الآذَانِ عَنْ ذِكْرَ شُرْبِ الدُّخَّانِ، شهاب الدين أحمد النوبي، المتوفى بعد سنة ١٠٣٧ هـ، مخطوط رقم ١٩٧٥ / د طب، ضمن مجموعة (١ أ - ٦ ب) ، بلدية الإسكندرية، (ق٤ ب).

الجملة الشرطية، مبناها ومعناها
قراءة في التراث النحوي

محمد أبو العز عبده(*)

نظر النحاة إلى الجملة الشرطية نظرةً جزئيةً، ولم ينظروا إليها نظرة تأليفية شمولية باعتبارها تُمثل نمطًا خاصًا من الأساليب، له وظيفة دلالية خاصة. ويرجع ذلك ـ في رأيي ـ إلى تحكم نظرية العامل في دراستهم لهذه الجملة، وهي نظرية لا تخلو من نزعة فلسفية منطقية؛ إذ تقوم على أن العامل لا يتقدم علي عامله أو أن السبب لا يتقدم على مسبَّبه. لقد أدَّى تحكم هذه النظرية في دراسة النحاة للجملة الشرطية إلى تمزيق دراستهم لهذه الجملة؛ إذ جاءت دراستهم لها متناثرة في أبوابٍ متفرقة، ولم تأتِ في باب واحد، بمعنى أنهم درسوها في سياق عرضهم لموضوعات أخرى. فقد درسوا أدوات الشرط الجازمة مثلا ـ وفقًا لنظرية العامل ـ في باب جزم الفعل المضارع، فوضعوها في موضع واحد مع طائفة من الأدوات التي لا ترتبط بها ارتباطًا دلاليًا، وهي أدوات الشرط التي تجزم فعلا واحدًا.

وقد ترتب على تحكم نظرية العامل في دراسة النحاة للجملة الشرطية أن أصبحت أداة الشرط أقوى عنصر في الجملة الشرطية؛ فهي التي تعمل الجزم، وهي التي تقلب فعلي الشرط والجواب ـ إن كانا ماضيين ـ إلى المستقبل؛ لأن الشرط لا يكون إلا بالاستقبال، ولا يصحُّ إلا به. وبالتالي فقد منع جمهورهم أن يتقدم على الأداة شيء مما في حَيزها؛ لأن المعمول لا يتقدم على عامله. والحق أن نظرية العامل رسمت في أذهانهم صورة معيارية للجملة الشرطية، وهي صورة تتصدر فيها الأداة جملتي الشرط والجواب،ويلي فيها فعلُ الشرط أداة الشرط، ويكون فيها حصول الجواب متوقفًا على حصول الشرط، وقد عُنُوا بالمحافظة على هذه الصورة المعيارية للجملة الشرطية، فإذا وجدوا ما يخالفها رَدُّوه إليها بضربٍ من التقدير والتأويل.

وسأعرض في هذا البحث لتركيب الجملة الشرطية ودلالتها مُحاولا أن أُميط اللِّثام عن تصور النحاة واللغويين لهذه الجملة تركيبًا ودلالة.

(*) باحث بمركز تحقيق التراث، دار الكتب المصرية.

١ - تركيب الجملة الشرطية

تتكون الجملة الشرطية من ثلاثة أركان، هي: أداة الشرط، والشرط، والجواب. وإذا كان ركن الشيء "هو ما يقوم به الشيء، ولايتم إلا به، وهو داخلٌ فيه"[١] - فإن الجملة الشرطية لا تقوم ولا تتم إلا بهده الأركان الثلاثة. "وقد يُحذف بعض هذه الأركان من جُمَلها حذفًا لفظيًا، ولكنها تظل مقدرةً في سياقها وموقعها؛ لأنها أسس البناء الذي لا يتم إلا بها"[٢].

ويرى ابن جني[٣] وعبدالقاهر الجرجاني[٤] أن جملة الشرط تحتاج إلى جملة الجواب احتياج المفرد إلى المفرد؛ أي كحاجة المبتدأ إلى الخبر والفعل إلى الفاعل؛ فَهُما وإن كانا جملتين فإن حكمهما حكم الجملة الواحدة من حيث عدم استغناء إحداهما عن الأخرى.

وليس ما ذهب إليه الزركشي ببعيد عما ذهب إليه ابن جني والجرجاني؛ فقد رأى أن الشرط والجواب جملتان اتحدتا جملةً واحدةً، فإذا انحلَّ الرباط الواصل بينهما عاد الكلام جملتين كما كان. ومعنى ذلك أنه كان مُدرِكًا للفرق بين وضع جملتي الشرط والجواب داخل الجملة الشرطية ووضعهما خارجها؛ إذ لا تفيد إحداهما معنىً داخل الجملة الشرطية إلا بمساندة الأخرى، لكنهما - بعد انفراط عقدهما - جملتان مستقلتان لفظًا ومعنى"[٥].

ونلاحظ أن ابن جني والجرجاني والزركشي قد أطلقوا على كل من الشرط والجواب جملة، ويبدو أنهم فعلوا ذلك بناء على تفسير (الجملة) بأنها "كل كلام استند على مسندٍ ومسندٍ إليه"[٦]، أفاد أم لم يُفدْ. وهذا هو ما صنعه ابن هشام عندما سمَّى كلا من الشرط والجواب جملة؛ فقد بنى هذه التسمية على أساس التمييز بين الكلام والجملة، فالكلام عنده هو القول المفيد بالقصد. والمراد بالمفيد: ما دل على معنًى يَحْسن السكوت عليه، والجملة عنده عبارة عن الفعل وفاعله كـ"قام زيدٌ"، والمبتدأ والخبر كـ"زيدٌ قائم"، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو «"ضُرب اللِّصُّ» و"أقائمٌ الزيدان" و"كان زيدٌ

(١) علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات ١١٧.

(٢) محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية ٩٦.

(٣) الخصائص ٨١٨/٣.

(٤) أسرار البلاغة ١١١.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٣٥١/٢ - ٣٥٢.

(٦) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ١٣٦/١.

قائمًا" و"ظننتُه قائمًا"[١]. أي أن ابن هشام يريد أن يقول: إن الجملة أعمُّ من الكلام؛ لأن الجملة قد تكون مفيدة، وقد تكون غير مفيدة، أما الكلام فلا يكون إلا مفيدًا؛ ولذا أطلق ابن هشام على الشرط جملة الشرط[٢]، وعلى الجواب جملة الجواب[٣]؛ إذ كلٌّ منهما لا يُفيد وحده، فهو جملةٌ وليس بكلام.

ومِمَّن تابع ابن هشام من المعاصرين مصطفى الغلاييني، الذي فرَّق بين الجملة والكلام، ورأى أن الشرط وحده لايكون كلامًا؛ لأنه جملةٌ ناقصةُ الإفادة، فإن ضُم إليه الجواب صار مجموعهما كلامًا[٤].

وهناك من المعاصرين مَنْ خالف ابن هشام، وهو مهدي المخزومي[٥] الذي عاب عليه أنه في عرضه للجملة الشرطية قد شطرها شطرين، وأفاض في الحديث عن جملة الجزاء؛ إذ عرض لها أكثر من مرة، مرةً حين استعرض الجمل التي لامحلَّ لها من الإعراب[٦]، ومرةً حين استعرض الجمل التي لها محلٌّ من الإعراب[٧]. ويرى مهدي المخزومي أن ما صنعه ابن هشام إنما هو "من النظر العقلي المَحْض، وكان ينبغي أن يعالج الشرط ـ بعبارتيه ـ على أنه جملةٌ واحدةٌ لا جملتان، فليست جملة الشرط ـ بجزأيها المتصوَّرين ـ إلا جملة واحدة، تُعبر عن فكرة واحدة"[٨].

لايرى مهدي المخزومي ـ إذن ـ أن الشرط والجواب ـ من الناحية اللغوية ـ جملتان، بل هما عبارتان؛ لأنك إذا اقتصرت على واحدة منهما أخْللتَ بالإفصاح عما يجول في ذهنك، وقَصَّرت عن نقل ما يجول فيه إلى ذهن السامع[٩].

ويبدو أن هذا الاختلاف يعود ـ أصلا ـ إلى اختلاف في مفهوم الجملة. فابن هشام يرى أن الشرط والجواب جملتان؛ لأنه لا يشترط الإفادة في (الجملة). والمخزومي لا يرى أنهما جملتان؛ لأنه يشترط الإفادة فيها. وأرى أن رأي ابن هشام أقرب إلى الصواب؛ لأنه يكفي في الجملة أن يتحقق فيها مفهوم الإسناد ـ وهو الحكم بشيء على

(١) انظر: مغني اللبيب ٢/٤٣١.
(٢) انظر مثلا: المرجع السابق ١/٦٩، ٢٣٠ و٢/٤٣١، ٧٤٤.
(٣) انظر مثلا: المرجع السابق ٢/٤٣١، ٧٤٤، ٧٤٥.
(٤) جامع الدروس العربية ١/١٤.
(٥) انظر: في النحو العربي ٢٨٥.
(٦) انظر: مغني اللبيب ٢/٤٧٠.
(٧) المرجع السابق ٢/٤٨٥.
(٨) في النحو العربي ٢٨٦.
(٩) المرجع السابق ٢٨٦.

شيء - أفادت أم لم تُفد - والأصل فيها أن تكون مفيدة، فإذا وقعت شرطًا أو جوابًا فإنها لا تُفيد وحدها؛ إذ تكون أشبه بجملة الصلة أو جملة الصفة أو جملة الحال حينما تفقد استقلالها المعنوي، وتصبح عنصرًا مشاركًا في تتميم معنى الكلام.

ومَلاكُ الأمر أن الشرط والجواب جملتان تؤلف بينهما أداةٌ هي أداة الشرط؛ لتكوِّن جملة مركَّبة هي الجملة الشرطية. وسوف أتحدث - فيما يلي - عن كل ركنٍ من الأركان الثلاثة للجملة الشرطية.

١ - ١ أداة الشرط

يذكر التهانوي أن الأداة عند النحاة والمنطقيين هي الحرف المقابل للاسم والفعل[١]. ويبيِّن المقصود بالحرف في قوله: "(الحرف) في اصطلاح النحاة كلمةٌ دلت على معنى في غيره، ويسمَّى بحرف المعنى أيضًا وبالأداة أيضًا، ويسميه المنطقيون بالأداة"[٢].

والحق أن هذا التعريف للأداة تعريفٌ قاصرٌ؛ لأنه ضيَّق مفهوم الأداة حين قصرها على الحرف الذي يدل على معنًى في غيره، ولم يُراعِ الوظيفة الأساسية للأداة، وهي الربط بين الكلام، وهذا القصور قد تلافاه المعجم الوسيط[٣] حين ذكر أن الأداة في اصطلاح النحاة هي "اللفظة تُستعمل للربط بين الكلام أو للدلالة على معنًى في غيرها، كالتعريف في الاسم أو الاستقبال في الفعل".

والحق أن الوظيفة الأساسية لأداة الشرط - وهي ربط جملتي الشرط والجواب وتعليق الجواب على الشرط - ليست ببعيدة عن المعنى اللغوي للأداة. يقول ابن فارس: "الأَدْو كالخَتْل والمراوَغة. يقال أَدَا يَأْدُو أَدْوًا... وهذا شيء مشتقٌّ من الأداة؛ لأنها تعمل أعمالا حتى يُوصَل بها إلى ما يُراد.. وكذلك الخَتْل والخَدْع يَعْملان أعمالا"[٤].

وكذلك أداة الشرط، فإنها تعمل أعمالا حتى يُوصَل بها إلى تكوين أسلوب الشرط وتحقيق معناه. إنها تربط جملتي الشرط والجواب؛ لتكوِّن منهما جملة جديدة لها سماتٌ جديدة هي الجملة الشرطية. وكما يذكر أبو الفتح عثمان بن جني فإن "الشيئين إذا خُلطا حدث لهما حُكمٌ ومعنًى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا"[٥]. وأداة الشرط هنا هي

(١) محمد بن علي بن محمد التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون (الأداة)، ١٢٧.
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون (الحرف)، ٦٥١.
(٣) ج ١/ ١٠.
(٤) مقاييس اللغة ١/ ٧٣.
(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٠٦.

التي تقوم بخلط جملتي الشرط والجواب، وعملية (الخلط) هذه تُجسد لنا ما يسمى بظاهرة (التضام)، لكن (التضام) هنا يأتي على سبيل (التلازم) لا على سبيل (التنافي)[١] ؛ إذ تستلزم أداة الشرط جملتين؛ لتدل على أن إحداهما جوابٌ للأخرى.

أداة الشرط - إذن - تقوم بوظيفة أساسية هي الربط. وهذه الوظيفة لا تُؤدَّى إلا داخل السياق؛ لأن أداة الشرط - كغيرها من الأدوات - "ذات افتقار متأصل إلى الضمائم، أو بعبارة أخرى ذات افتقار متأصل إلى السياق"[٢]. فإذا ما عُزلت هذه الأداة عن السياق انهارت بنية الجملة الشرطية وفقدت الأداة وظيفتها. وعملية الربط التي تقوم بها أية أداة من الأدوات حين تكون "بين أجزاء الجملة كلها يكون معنى الأداة هو ما يسمونه (الأسلوب)، كحين يتكلمون عن أسلوب النفي أو الشرط أو الاستفهام؛ فالربط هنا بما تحمله الأداة من وظيفة الأسلوب، ومن هنا تكون الأداة إحدى القرائن اللفظية"[٣].

ولعله قد اتضح الآن وجه الشبه بين الأداة بمعناها اللغوي والأداة بمعناها الاصطلاحي؛ فكلتاهما تقوم بعمل معين أو أعمال معينة تؤدي إلى غاية معينة.

١ - ٢ الشرط

الشرط في اللغة هو "إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه"[٤]. ويُجمع على شروط، وهو غير الشَّرَط - بفتح الراء - وهو العلامة، وجمعه أشراط، ومنه أشراط الساعة؛ أي: علاماتها[٥]. قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[٦]. لذلك لم يكن ابن هشام محقًا حين ذكر "أن الفعل الأول - أي فعل

(١) يقول تمام حسان: يمكن فهم التضام على وجهين نلخصهما فيما يأتي:

أ - الوجه الأول أن التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما؛ فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديمًا وتأخيرًا وفصلا، وهَلُمَّ جَرًّا، ويمكن أن نطلق على هذا الفرع من التضام اصطلاح (التوارد)، وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن...

ب - الوجه الثاني أن المقصود بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين النحويين عنصرًا آخر، فيسمَّى التضام هنا (التلازم)، أو يتنافى معه فلا يلتقي به، ويسمَّى (التنافي)، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر فإن الآخر قد يُدلُّ عليه بمبنى وجودي على سبيل الذكر، أو يُدلُّ عليه بمبنًى عَدَمي على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف. انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) المرجع السابق ١٢٧.

(٣) المرجع السابق ١٢٧.

(٤) ابن منظور: لسان العرب (شرط) ٥٦/٨.

(٥) المرجع السابق (شرط) ٥٦/٨.

(٦) سورة محمد ١٨/٤٧.

الشرط - يسمَّى شرطًا؛ وذلك لأنه علامة على وجود الفعل الثاني، والعلامة تسمَّى شرطًا"[١] - لأن الذي بمعنى العلامة هو الشرَط - بتحريك الراء - وليس الشرْط بتسكينها.

والشرْط هو الركن الثاني من أركان الجملة الشرطية، وقد ذكرتُ آنفًا أنه جملةٌ فقدت استقلالها المعنوي بمجرد ارتباطها بجملة الجواب بوساطة أداة الشرط. وما دام الشرط ركنًا من أركان الجملة الشرطية فلا بد من وجوده لفظًا أو تقديرًا؛ إذ لا يمكن تصور جملةٍ شرطية دون شرط. وكيف يمكن تصور ذلك "والشرط - في معناه الحقيقي - هو أساس الأسلوب ومبدؤه؛ إذ بدونه لا يقع الترتيب ولا يكون، فالنجاح في قولنا: إن تجتهد تنجح - لا حقيقة له إلا إذا كان هناك اجتهاد"[٢].

والأصل في الشرط أنه يلزم من وجوده وجودُ الجواب، ولايلزم - بالضرورة - من امتناعه امتناعُ الجواب، إذ قد يمتنع الجواب بامتناع الشرط، وهذا هو الغالب، نحو: لو زُرْتَني لأكرمتك، فقد امتنع الإكرام لامتناع الزيارة، وقد لا يمتنع الجواب بامتناع الشرط لوجود علة أخرى للجواب غير الشرط، نحو قول عمر في صُهَيْب - رضي الله عنهما - : "نِعْم العبد صهيب لو لم يَخَفِ الله لم يعصِهِ"[٣]، فلو فُرِض عَدَم خوف صهيب من الله لكان مع هذا العدم لا يعصي الله، وذلك لوجود سبب آخر غير الخوف، كنزاهة الطبع أو إجلال الله أو الحياء منه.

١ - ٣ الجزاء أو الجواب

يُسمَّى الركن الثالث من أركان الجملة الشرطية بالجزاء، ويسمى أيضًا بالجواب، أما الجزاء فهو في اللغة "المكافأة على الشيء، جَزَاه به وعليه جزاءً، وجازاه مُجازاةً وجزاء"[٤]. وهو في الاصطلاح "جملة عُلقت على جملة أخرى مسماةٍ بالشرط"[٥]. ومعنى

(١) شرح شذور الذهب ٣١٨.

(٢) محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية ١١٤.

(٣) هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عمر - رضي الله عنه - مرفوعًا إلى النبي - ﷺ - لكنه في سالم لا في صهيب، ولفظه: "إن سالمًا شديد الحب لله عز وجل، لو كان لايخاف الله عز وجل ما عصاه".
انظر: أبا نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/١٧٧. وقال بهاء الدين السبكي تعليقًا على الحديث المذكور أعلاه: "وقد نسب الخطيبي هذا الكلام إلى النبي - ﷺ - ولم أرَ هذا الكلام في شيء من كتب الحديث، لا مرفوعًا ولا موقوفًا، لا عن النبي - ﷺ - ولا عن عمر مع شدة الفحص عنه". انظر كتابه: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص) ٢/٧٩.

(٤) ابن منظور: لسان العرب (جزي) ٣/١٤٣.

(٥) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون (الجزاء)، ٥٥٧.

تعليق جملة الجزاء على جملة الشرط هو أن وقوع فعل الجزاء مُرتب على وقوع فعل الشرط، كما يُرتب وقوع الإثابة أو المعاقبة على وقوع الفعل المثاب أو المعاقَب عليه.

وأما الجواب فهو في اللغة :"ما يكون ردًا على سؤال أو دعاء أو دعوى أو رسالة أو اعتراض ونحو ذلك"[١]. وإنما سُمِّي الركن الثالث من أركان الجملة الشرطية بالجواب تشبيهًا له بجواب السؤال، فكما يأتي الجواب بعد السؤال يأتي جواب الشرط بعد الشرط.

هناك إذن صلةٌ قوية نلمحها بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلٍّ من الجزاء والجواب، وهذه الصلة لمحها من قبل أبو حيان حين قال: "والتسمية بالجزاء والجواب مجازٌ، ووجهه أنه شابَهَ الجزاء من حيث كونه فعلا مترتبًا على فعل آخر، فأَشْبَهَ الفعل المرتب على فعل آخر ثوابًا عليه أو عقابًا، الذي هو حقيقة الجزاء، وشابهَ الجواب من حيث كونه لازمًا عن القول الأول، فصار كالجواب الآتي بعد كلام السائل"[٢].

٢ - دلالة الجملة الشرطية

الجملة الشرطية نمط تركيبي خاص تحكمه علاقة دلالية خاصة، علاقة تنعقد بين الشرط والجواب بوساطة أداة الشرط، وهذه العلاقة هي ما يسميه النحاة بالتعليق، والتعليق كما يقول التهانوي "معنًى اصطلاحيٌّ للنحاة"[٣]. ويتضح هذا المعنى في تصورهم للشرط الذي يعنون به الجملة الشرطية، فالشرط عندهم كما يقول الشريف الجرجاني: "تعليق شيء بشيء بحيث إذا وُجد الأول وُجد الثاني"[٤]، أو هو كما يقول التهانوي نقلا عن المولوي عبدالحكيم[٥]: "تعليق حصول مضمون جملة بحصول أخرى"[٦].

---

(١) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ١/١٤٥.

(٢) جلال الدين السيوطي: همع الهوامع ٢/٥٨.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون (الشرط)، ١٠١٣.

(٤) التعريفات ١٣١.

(٥) هو المُلا عبدالحكيم بن شمس الدين السيالكوتي، علامة الهند، كان من كبار العلماء وخيارهم، وكان رئيس العلماء عند سلطان الهند خرم شاه جهان، لايَصدر إلا عن رأيه، ولم يبلغ أحد من علماء الهند في وقته مبلغه من الشأن والرفعة، وألّف مؤلفات عديدة، منها: حاشية على تفسير البيضاوي على بعض سورة البقرة، وله حاشية على مطول السعد ومختصره، وله غير ذلك، وكانت وفاته في نيِّف وستين وألف من الهجرة. انظر: محمد المُحبِّي: خلاصة الأثر ٢/٣١٨ - ٣١٩.

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون (الشرط)، ١٠١٣.

ونفهم مما سبق أنهم يَعنون بالتعليق توقف حصول الجواب على حصول الشرط بحيث لا يحصل الجواب إلا إذا حصل الشرط. وهذا يعني أنهم ينظرون إلى العلاقة بين الشرط والجواب على أنها علاقة عِلِّية أو سببية، ويعبر المبرد عن هذه العلاقة بقوله: "ومعنى الشرط: وقوع الشيء لوقوع غيره"[١]، أي : بسبب وقوع غيره؛ فاللام هنا حرف تعليل.

وقد بَيَّن مهدي المخزومي هذه العلاقة في قوله: "الشرط أسلوب لغوي ينبني - بالتحليل - على جزأين، الأول مُنَزَّلٌ منزلة السبب، والثاني مُنَزَّلٌ منزلة المسبَّب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول؛ لأن وجود الثاني معلَّق على وجود الأول"[٢].

والحق أن علاقة العِلِّية هذه قد لا تتحقق أحيانًا لغرض دلالي أو بلاغي يناسب المقام، فهناك - مثلا - بعض الشواهد القرآنية التى لا يكون فيها الجواب مسبَّبًا عن الشرط، وقد وقف النحاة الذين كانوا حريصين على اطراد علاقة العِلِّية - وقفوا أمامها حائرين، فلما تأكدوا من عدم تحقق هذه العلاقة قالوا بحذف الجواب، وبدلاً من أن يفكروا في الأغراض الدلالية والبلاغية التي من أجلها تم العدول عن هذه العلاقة - إذا هم يفكرون في الجواب المحذوف، ويجتهدون في تقديره، ويتفقون في هذا التقدير تارةً، ويختلفون أخرى.

ولعل خير من يمثل النحاة في ذلك ابن هشام الذي قدم تنبيهًا يقول فيه: "التحقيق أن من حذف الجواب مثل: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾[٣]؛ لأن الجواب مسبَّبٌ عن الشرط، وأجل الله آتٍ سواءٌ أُوجِد الرجاء أم لم يوجَد، وإنما الأصل: فلْيبادر بالعمل فإن أجل الله لآت. ومثله: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾، أي: فاعلم أنه غني عن جهرك ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾[٤]. ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾، أي: فتصبَّر ﴿وَفَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٥]. ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾، أي: فاصبروا ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾[٦]، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، أي: يفعل الفواحش والمنكرات ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٧]، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ

(١) المقتضب ٢/٤٥.
(٢) في النحو العربي ٢٨٤.
(٣) سورة العنكبوت ٢٩/٥.
(٤) سورة طه ٢٠/٧.
(٥) سورة فاطر ٣٥/٤.
(٦) سورة آل عمران ٣/١٤٠.
(٧) سورة النور ١٤/٢١.

اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: يَغْلب ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١). ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾(٢)، أي: فلا تؤذوهم بقول ولا فعل؛ فإن الله يسمع ذلك ويعلمه. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: فلا لومٌ عليَّ ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾(٣)"(٤).

لقد شطر ابن هشام كل آية، ووضع بين شطريها الجواب الذي قدره، وليْته ما فعل، فقد ذهب بجمال النص القرآني وبهائه، بل ذهب بالغرض الدلالي الذي من أجله تم العدول عن تحقيق علاقة العلِّية، والحق أن الجواب لم يُحذف في هذه الشواهد القرآنية، بل عُدِل فيه عن ذكر المسبَّب إلى ذكر السبب لغرض دلالي أو بلاغي خاص، وسيطول بنا المقام لو وقفنا عند كل آية من الآيات السابقة لمعرفة الغرض الدلالي والبلاغي الذي من أجله تم العدول، وحسبنا أن نقف عند الآيات الثلاثة الأولى؛ لنعرف سبب العدول في كل منها.

ففي الآية الأولى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٥) نلاحظ أن العلاقة المنطقية التي تربط الشرط بالجواب غير موجودة، وأنه قد عُدل عنها لتحقيق غرضٍ دلالي خاص، فهناك تشوُّق إلى لقاء الله، وهذا التشوق في حاجة ماسة إلى تلبية وإشباع؛ ولذلك جاء الجواب ليؤكد أن أجل الله آتٍ لا محالة، ويلبي حاجة النفوس إلى اللقاء؛ ولذلك عُدل عن ذكر المسبَّب ـ وهو المبادرة إلى العمل أو الاستعداد للقاء ـ إلى ذكر السبب الذي هو مجيء الأجل.

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: "والتعبير يصور هذه القلوب المتطلعة إلى لقاء الله صورة موحية، صورةَ الراجي المشتاق، الموصول بما هناك، ويجيب على التطلع بالتوكيد المريح، ويُعقِّب عليه بالطمأنينة النَّدية، يُدخلها في تلك القلوب، فإن الله يسمع لها، ويعلم تطلعها: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾"(٦).

هذه المعاني ما كانت لتتحقق لو قلنا إن الجواب محذوف، وإن تقديره: فليبادر إلى العمل، أو فَلْيستعدَّ، أو غير ذلك مما تتحقق به علاقة السببية، بل إن مجيء الجواب على هذه الصورة التي تؤكد مجيء الأجل الواقع فيه اللقاء ـ لَهُوَ أكبر باعث على المبادرة

(١) سورة المائدة ٥/٥٦.
(٢) سورة البقرة ٢/٢٢٧.
(٣) سورة هود ١١/٥٧.
(٤) مغني اللبيب ٢/ ٧٤٥ - ٧٤٦.
(٥) سورة العنكبوت ٢٩/٥.
(٦) في ظلال القرآن ٥/٢٧٢٢.

إلى العمل والاستعداد للقاء، لا سيما أن هذه الآية جاءت في سياق آيات تدعو إلى العمل المبرهن على صدق الإيمان(١).

أما الآية الثانية: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٢) فقد جاءت بعد قوله تعالى ﴿طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٣)، فقد بدأت سورة طه - وهي مكية - بهذه الآيات؛ لتُؤنِس الرسول - ﷺ - في وحشته، وتُسرِّي الهمَّ عن فؤاده، وقد كذبه قومه وآذَوْه وكفروا بما جاء به، وكان - ﷺ - حريصًا على هدايتهم، عزيزًا عليه عنادُهم، وكانوا يحرصون على تكذيبه وعناده وإلحاق الأذى به(٤).

في هذه الأجواء نزلت هذه الآيات، فهل يُقال إن الجواب في الآية محذوفٌ، وإن التقدير: وإنْ تجهر بالقول فاعلم أنه غنيٌّ عن جهرك؟. إن القول بالحذف والتقدير هنا لا يتناسب مع سياق الحال، ولا يفتح آفاقًا من المعاني والأسرار التي تتولد من انفصام علاقة السببية. والحق أن الجواب لم يُحذف، ولكن عُدِل فيه عن ذكر المسبَّب - وهو: "فاعلم أنه غني عن جهرك" - إلى ذكر السبب، وهو: فإنه يعلم السر وأخفى. وليس المراد من الآية إخبار النبي - ﷺ - بأن الله غني عن جهره، فذلك ما لا تقتضيه قرائن السياق وأسباب النزول، بل المراد إخباره بأن الله معه، يحفظه ويرعاه، معه بقدرته المطلقة وبعلمه الشامل الذي أحاط بكل شيء، والذي يستوي أمامه الإسرارُ بالقول والجهرُ به.

وهذا الأسلوب العدولي نجده أيضًا في الآية الثالثة، وهي قوله تعالي: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾(٥). فنحن أمام جملة شرطية تامة الأركان؛ فالجواب فيها ليس محذوفًا - كما ذكر ابن هشام - ولكن عُدل فيه عن ذكر المسبَّب - وهو: فتصبَّر أو فتأسَّ - إلى ذكر السبب، وهو: فقد كُذبت رسلٌ من قبلك؛ وذلك من أجل تحقيق غرض دلالي هو تسلية النبي - ﷺ - وتثبيت فؤاده بتقديم الأسوة الحسنة التي تعينه على الصبر والتأسي. وقد أشار الزمخشري إلى هذا العدول في تفسيره للآية السابقة،

---

(١) انظر: سورة العنكبوت ١/١٩ - ٧.

(٢) سورة طه ٧/٢٠.

(٣) سورة طه ١/٢٠ - ٦.

(٤) انظر في تفسير الآيات: محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف ٣٩/٣.

(٥) سورة فاطر ٤/٣٥.

فقال: "فإن قلتَ: ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يَتعقَّب الشرط، وهذا سابقٌ له؟ قلتُ: معناه: وإن يكذبوك فتأسَّ بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ موضع : فتأسَّ، استغناءً بالسبب عن المسبَّب، أعني بالتكذيب عن التأسي"(١).

لكن يبدو أن الزمخشري كان واقعًا في أسر الفكرة القائلة بأن الجواب لا بد أن يكون مسبَّبًا عن الشرط؛ إذ يدل ظاهر كلامه على أنه يرى أن الجواب في الآية السابقة محذوف، وأنه قد أُقيمَ غيره مقامه، استغناءً بالسبب عن المسبَّب، فمُراده أن تكذيب الرسل ليس هو الجواب؛ لأن الجواب يترتب مضمونه على مضمون الشرط، وتكذيب الرسل سابقٌ على تكذيب قومه له، وقد سبق أن بَيَّنتُ أن الجوب لم يُحذف، بل عُدل فيه عن ذكر المسبَّب إلى ذكر السبب، فالسبب المَعدول إليه هو الجواب، وإنما جاء الجواب غير مسبَّب عن الشرط من أجل تحقيق الغرض الدلالي الذي ذكرته.

وأغلب الظن أن ما دفع النحاة إلى القول بحذف الجواب في هذه الأساليب الشرطية التي لم تتحقق فيها العلاقة السببية - هو المحافظة على الصورة النمطية التي وضعوها للجملة الشرطية، تلك الصورة التي يكون فيها الجواب مسبَّبًا عن الشرط. والحق أن الجملة الشرطية جملة مرنة قابلة للتشكل في صور متعددة وفقًا لما تقتضيه دلالة السياق، لكن النحاة ظلموها حين وضعوها في قالب واحد هو قالب (المعيار) أو (الأصل) الذى يُردُّ إليه كل ما خالفه بضرب من التقدير والتأويل.

وقد تابع جلال الدين القزويني النحاة في القول بأن الجواب في الآيات السابقة محذوفٌ، وقد أُقيم مقامه ما يَدلُّ عليه، فمثلا في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾(٢) قال: "ليس الإبلاغ هو الجواب؛ لتقدُّمه على توليهم، والتقدير: فإن تَوَلَّوْا فلا لَوم عليَّ؛ لأني قد أبلغتكم، أو فلا عُذر لكم عند ربكم؛ لأني قد أبلغتكم"(٣). ومراد القزويني أن الإبلاغ ليس هو الجواب؛ لأن الجواب يترتب مضمونه على مضمون الشرط، والإبلاغ سابقٌ على التولي الذي هو مضمون الشرط، بل هو سبب في مضمون الجواب المحذوف، وقد أُقيمَ مقامه. وكان ينبغي على القزويني - وهو المختص بالبحث في العدول عن الأصل - أن يفسر لنا سبب العدول في الجواب عن المسبَّب إلى السبب بدلا من القول بحذف الجواب وقيام غيره مقامه.

---

(١) الكشاف ٣/٤٥٥.

(٢) سورة هود ١١/٥٧.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ٢١٠.

المصادر والمراجع

١ - الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله: حِلْية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١. ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م.

٢ - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: عالم الكتب، ط ٦. ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣ - التهانوي، محمد بن علي بن محمد : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج. بيروت: مكتبة لبنان، ط ١ . ١٩٩٦م.

٤ - الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. القاهرة - جدة: مطبعة المدني، ودارالمدني، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٥ - الجرجاني، علي بن محمد : التعريفات. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٦٩م.

٦ - ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الشئون الثقافية العامة، ط ٤. ١٩٩٠م.

٧ - ______: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي. دمشق: دار القلم، ط ١. ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٨ - الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط ١. (١٩٥٧ - ١٩٥٨م).

٩ - الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتوثيق أبي عبدالله الداني بن منير آل زهوي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٠ - السبكي، بهاء الدين أحمد بن علي بن عبدالكافي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (ضِمْن شروح التلخيص). بيروت: مؤسسة دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤. ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١١ - سيد قطب: في ظلال القرآن. بيروت: دار الشروق، ط ١٢. ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٢ - السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، عُني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، دون تاريخ.

١٣ - ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق:

عبدالسلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٢. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

١٤ - القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي. الرياض: مكتب المعارف للنشر والتوزيع، ط ١. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

١٥ - المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (١٣٩٩/ ١٤١٥هـ).

١٦ - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. القاهرة: ط ٢ . ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٧ - المُحِبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. بيروت: دار صادر، دون تاريخ.

١٨ - محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية. بيروت . عمّان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الفرقان للنشر والتوزيع، ط ١. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٩ - مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية (موسوعة في ثلاثة أجزاء). صيدا ـ بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢٣. ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٠ - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط ١. ٢٠٠٠م.

٢١ - مهدي المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه. بيروت: دار الرائد العربي، ط٢. ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٢ - ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب لمحمد محيي الدين عبدالجميد. صيدا ـ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٢٣ - ــــــ : مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. صيدا ـ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

الحدود النحوية لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن أحمد ابن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق ت ٨٩٩هـ

تحقيق ودراسة: أ. د. خالد فهمي(*)

د. رجب رشاد السيد(**)

الحمد لله سبحانه، الذي أنزل كتابه بالعربية المبينة، وجعلنا من خدم هذه اللغة الشريفة ، وقديمًا قالوا: «إن معرفة العربية من الديانة».

والصلاة والسلام على رسول الهدى، خير من نطق بالضاد، وامتلك ناصية البيان، وأنعم عليه بجوامع الكلم، وبعد.

فهذا تحقيق لكتاب جديد في الحدود النحوية ، وهو تراث ممتد عريق في تاريخ العلم عند العرب المسلمين، يعود الفضل في ظهوره إلى العناية بالذكر الحكيم، حتى استقر في فقه العربية في تراث المسلمين العلمي، أن مواضعات النحاة من الألفاظ الإسلامية العربية.

وكتاب زروق رسالة صغيرة جمعت عددًا طيبًا من المصطلحات النحوية، وعرفتها، ووضّحت مفاهيمها، لأغراض تعليمية فيما يبدو.

وقد سبق عددٌ من العلماء إلى تحقيق عدد جيد من تراث الحدود النحوية في العصر الحديث، توزع على عصور زمنية مختلفة، وها هو ذا كتاب زروق يأتي من مرحلة زمنية ما تزال محتاجة إلى فحص عطائها النحوي، وهي حقبة جاءنا منها عددٌ من كتب الحدود النحوية ، فمن القرن التاسع الهجري، ورد إلينا: كتاب الأبذي (٨٠٠ - ٨٦٠هـ) ، والعقباني التلمساني (٨٥٤هـ) ، والمقدسي (٨٨٨هـ)، وزروق (٨٩٩هـ).

وربما أمكن إضافة عدد آخر عاش فترة طويلة من القرن التاسع الهجري، من مثل: الأنصاري الخليلي (٩٠٢هـ) ، وابن القاسم المالكي (٩٢٠هـ).

وهذا العدد صالح لأن يعطي بشكل مبدئي صورة لما كان عليه أمر العناية بالاصطلاح النحوي، ووظائف هذه العناية ، وغاياتها ، ومناهجها.

(*) أستاذ العلوم اللغوية بكلية الآداب ـ جامعة المنوفية.

(**) أستاذ النحو والصرف المساعد بكلية العلوم والآداب ـ جامعة طيبة بالمدينة المنورة.

وقد شاركني أخي العزيز الدكتور / رجب رشاد تحقيق هذا النص، وكان عملنا في التحقيق شركة، كنا نجتمع فنعمل معًا، ثم استقل كل واحدٍ منا فأنجز وحده بعض العمل، على التوزيع التالي:

١- صنع الدكتور/ رجب رشاد ، ترجمة صاحب الكتاب.

٢- وصنع الدكتور/ خالد فهمي ، دراسة الكتاب: منهجه ومصادره.

٣- وصنع الدكتور/ خالد فهمي ، قائمة تراث مصنفات الحدود.

٤- وصنع الدكتور/ رجب رشاد ، قائمة المراجع.

ونحن بما نقدمه هنا نستهدف خدمة هذا العلم الشريف، ونخدم من ورائه لغتنا التي هي لغة الذكر الحكيم.

ونسأل الله تعالى أن يتقبله منا خالصًا لوجهه الكريم.

المحققان

أ.د/ خالد فهمي د/ رجب رشاد

القاهرة في ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

ترجمة أحمد زروق[1] (٨٤٠هـ/ ٨٩٩هـ)

- اسمه ونسبه:

هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي[2] الفاسي المعروف بزروق.

- لقبه

لقب زروق جاءه من جهة جده، حيث قال : كان جدي أزرق العينين، فقالوا له: زروقا فسرت في عقبه [3].

ولُقب (الحضار) أيضًا ذكر ذلك الأستاذ عبد الله كنون حيث قال: " ولعل الحضار بالحاء المهملة هو الصواب، فإن بقرب قرية (تيلسوان) مدفن والده من قبيلة البرانس، واديًا يسمى الحضار بالحاء المهملة والضاد المخففة كما أخبره بذلك صديق له السيد السمار عالم شفشاون فيحتمل أن المترجم نسب نفسه إلى هذا الوادي[4].

مولده ونشأته

عرَّف زروق بنفسه وودلاته، حيث قال: "كان مولدي عند طلوع الشمس من يوم الخميس، الثاني والعشرين من شهر محرم سنة ست وأربعين وثمانمائة "[5].

توفيت أمه يوم السبت بعده، وأبوه يوم الثلاثاء الموالي كليهما قبل سابع ولادته نتيجة للطاعون الذي ضرب فاس في عام ولادته، وكانت وصية والده أن تراعاه أمه (جدته لأبيه)، بيد أن الطفل تربى في حجر جدته لأمه وهي السيدة الصالحة أم البنين، وكانت من الفقيهات المعروفات، فقد كان لها أكبر الأثر في تربيته على الصلاح والتقوى

---

(١) انظر ترجمته فى: الكناش، ص ١١-١٧ ، وطبقات الشاذلية الكبرى للكوهن، ص ١٢٣-١٢٦ ومعجم المؤلفين الصوفيين، ص ٤٣ . والطريقة الشاذلية وأعلامها، ص٨٨- ٨٩ . ونيل الابتهاج ١٣٨/١ ، وشذرات الذهب ٣٦٣/٧، والضوء اللامع ٢٢٢/١ . وتاريخ الأدب العربي لبركلمان قسم ٤٩٤/١٢/٧--٤٩٨ ، ومعجم المؤلفين ١٥٥/١ ، والأعلام ٩١/١، شجرة النور الزكية ٢٨٦/١- ٢٨٧، ودرة الحجال ٩٠/١، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس، ص٣٨٦، وكشف الظنون ٢٢٣/١ ، ٦٦١، ٦٦٢، ١٩٥٨/٢ . وإيضاح المكنون ٩٧/١ . ٣٧٠، ١٨/٢، ١٢٤، ١٧٥. وأحمد رزوق والزروقية. ص٢٧-١٤٧، الشيخ أحمد زروق وآراؤه الاصلاحية، ص٣٦-٢٠٨ .

(٢) نسبة إلى قبيلة البرانس. إحدى القبائل البربرية التي عاشت بالقرب من منطقة فاس بالمغرب العربي. ورد في هدية العارفين البرلسي ص١٨، ٢٤٢ وفي الطريقة الشاذلية وأعلامها البرنوس ص٨٨ .

(٣) الكناش. ص١٣ .

(٤) ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص٦ .

(٥) الكناش. ص١١ .

حيث قال: "وعلمتني الصلاة وأمرتني بها وأنا ابن خمس سنين، فكنت أصلي آنذاك وأدخلتني الكُتاب في هذا السن فكانت تعلمني التوحيد والتوكل والإيمان والديانة بطريق عجيب"(١).

شيوخه

لقد سجل الشيخ أحمد زروق شيوخه الذين يفخر بهم، في كتابه الكناش، وهو المصدر المهم في تسجيل شيوخه، بالإضافة إلى ما ذكرته كتب التراجم، أهمهم ما يأتي:

١- ابن أملال: هو الشيخ الفقيه الصدر الأجل العالم، مفتي المسلمين أبو عبد الله محمد بن علي المديوني، عُرف بابن أملال الفاسي، ت ٨٥٦هـ.

٢-الأنفاس: هو الشيخ الفقيه العالم الصالح أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الأنفاس، ت ٨٦٠هـ.

٣- التازي: هو أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي، ت٨٦٦هـ.

٤- التجيبي: هو الأستاذ الصغير عبد الله التجيبي، ت ٨٨٧هـ

٥- التلمساني: هو أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني، ت٨٩٩هـ.

٦- التُنسي : هو علي بن محمد بن أحمد بن محمد التَّنسي، ت ٨٧٥ هـ

٧- الثعالبي : هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، ت ٨٧٥ هـ.

٨- الجزولي : هو أبو عبد الله بن محمد بن سليمان الجزولي، ت ٨٧٠هـ.

٩- الحباك: هو أبو العباس أحمد بن سعيد القيجميسي المكناسي الخطيب الشهير بالحباك، ت ٨٧٠هـ.

١٠- الحضرمي : هو أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي، ت ٨٩٥هـ

١١- حلولو: هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليزليتي عرف بحلولو القروي. ت ٨٧٥هـ

١٢- الرصَّاع: هو محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري التلمساني ثم التونسي عُرف بابن الرصاع. ت ٨٩٠هـ.

١٣- الزواوي : هو أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي، ت٨٨٤هـ

(١) الكناش. ص١٣ .

١٤- السخاوي: هو الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت٩٠٢هـ.

١٥- السراج الصغير: هو محمد بن الحسن السراج الصغير، ت ٨٨٧هـ،

١٦- السنهوري: هو نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله السنهوري، ت٨٨٩هـ

١٧- السنوسي: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسني السنوستي ت٨٩٥هـ

١٨- صاحب الظهر: هو أبو زكريا يحيى، ت ٨٧٠هـ.

١٩- العبدوسي: هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي، ت٨٥٩هـ

٢٠- العبدوسية: هي أم هانئ بنت محمد العبدوسي، ت ٨٦٠هـ.

٢١- العطار: هو أبو عبد الله المعروف بالعطار، زوج خالة زروق، ت ٨٦٣هـ

٢٢- الغماري: هو أبو العباس أحمد بن الحسن الغماري التلمساني، ت٨٧٤هـ

٢٣- الفلالي : هو أبو العباس أحمد بن علي بن صالح الفلالي السجلماسي، ت ٨٦٠هـ أو ٨٦١هـ.

٢٣- القسنطيني: هو أحمد بن يونس بن سعيد القسنطيني، ت ٨٧٨هـ

٢٤- القشتالي : هو أبو العباس أحمد بن محمد القشتالي، ثم السلوي، المعروف بنور الله، ت ٨٥٦هـ.

٢٥- القَلَصَادي : هو أبو الحسن علي بن محمد البسطي القرشي القَلَصَادي، ت ٨٩١هـ.

٢٦- القَوْري: هو أبوعبد الله محمد بن قاسم بن محمد اللخمي المكناسي، ثم الفاسي الأندلسي الأصل، عُرف بالقوري، ت ٨٧٢هـ.

٢٧- المشدالي : هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي، ت ٨٦٦هـ.

٢٨- المغيلي : هو أبو علي الحسن بن منديل المغيلي، ت ٨٦٤هـ أو ٨٦٦ هـ.

٢٩- الماواسي: هو عيسى بن أحمد أبو مهدي الماواسي البطوي الفاسي، ت٨٩٦هـ .

٣٠- الورياغلي : هو أبو محمد عبد العزيز الورياغلي الفاسي، ت ٨٨١هـ

٣١- الوزروالي: هو أبو العباس أحمد بن العجل الوزروالي قاضي فاس الجديدة، ت ٨٥٦هـ

تلاميذه

تتلمذ عليه كثيرون بسبب تنقله ورحلاته في أقطار مختلفة، منهم:

١- أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني الخطاب الكبير، (ت ٩٤٥هـ).

٢- محمد أبو السعادات بن أبي القاسم أحمد بن عبد القادر المكي (كان حيا عام ٩٢٣هـ).

٣- محمد بن حسن الشيخ ناصر الدين اللقاني، (ت ٩٥٨هـ).

٤- أبو محمد، عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري الفاسي المعروف[١] بسُقَيْن (ت ٩٥٦هـ) .

٥- طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني، المعروف بزروق الصغير، (ت بعد ٩٤٠هـ).

٦- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن حسن اللقاني، (ت ٩٣٥هـ) .

٧- عبد الوهاب الزقاق، (ت٩٦١هـ).

٨- أبو عبد الله، الشيخ محمد بن أبي جُمُعَه الهَبْطِي، (ت٩٣٠هـ).

٩- أبو عبد الله، محمد بن علي الخُرّوبي الطرابلسي الجزائري، (ت ٩٦٣هـ).

١٠- محمد أبو الفضل خروف الأنصاري التونسي، (ت ٩٦٦هـ).

مؤلفاته

لقد ترك زروق تراثا غنيًا متنوعًا في شتى العلوم يتميز بالتحرير والاتقان وفي ذلك يقول العلامة الكتاني في فهرس الفهارس ٤٥٥/١ بعد أن أشار إلى عدد من مؤلفاته : "... وله غير ذلك الكثير الطيب في الفقه والتصوف، وكلامه في تصانيفه كلها كلام مَن حرَّر وضبط العلم وعرف مقاصده ومدار التشريع، بحيث يعتبر قلمه وعلمه وملكته قليلي النظير في المغاربة".

ويقول التنبكي : "وأما تواليفه فكثيرة يميل فيها إلى الاختصار مع التحرير، ولا يخلو شيء منها عن فوائد غزيرة وتحقيقات مفيدة، سيما في التصوف ، فقد انفرد بمعرفته وجودة التأليف فيه" نيل الابتهاج ١٣٩/١ نذكر [٢] منها ما يلي:

(١) وردت ترجمته في شجرة النور الزكية ٨٤٨/٢ برقم ٧٠: ١، تحت اسم: أبو محمد عبدالرحمن بن علي القنطري السُّفياني الفاسي. عُرف بسفين.

(٢) لمعرفة مؤلفاته كاملة الرجوع إلى : أحمد زروق والزروقية، د/ علي فهمي خشيم، ص ٩٢- ١٤٠. والطريقة الشاذلية وأعلامها، د/ أحمد رنيقة، ص ٨٩- ٩٠، والشيخ أحمد زروق محتسب العلماء الأولياء، ص ١٣٦- ١٣٨، ٢١٠- ٢٢٤، مقدمة تحقيق كتاب النصيحة الكاملة لمن خصم الله بالعافية، ص ١١- ١٤، والشيخ أحمد زروق وآراؤه الاصلاحية، ص ١٢٧ - ١٥٣.

١- الأصول البديعية والجوامع الرفيعة - ضمن كتاب مناقب الحضري ، تحقيق د/ محمد عبد القادر نصار. القاهرة: دارة الكرز، ط١ . ٢٠٠٨م.

٢- أصول الطريقة الشاذلية ، تحقيق: د/ محمد عبد القادر نصار. القاهرة: دار الكرز، ط١. ٢٠٠٨م.

٣- اعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين، تحقيق: د/ علي فهيم خشيم. تونس: الدار العربية للكتاب، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. وطبعة أخرى، تحقيق: د/ محمد عبدالقادر نصار. القاهرة: دارة الكرز، ط١. ٢٠٠٨م.

٤- اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد . تحقيق: د/ محمد عبد القادر نصار. القاهرة: دارة الكرز. ط١ ، ٢٠١٠م.

٥ - الأنس في عيوب النفس للسلمي. إيضاح المكنون ٢/ ٢٧٤ .

٦- تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذي الوصول كشف الظنون ١/ ٣٣٣، ومعجم المؤلفين ١/ ١٥٥ .

٧- الجنة للمعتصم من البدع بالسنة. إيضاح المكنون ١/ ٣٧٠ .

٨- الحدود النحوية، وهو الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه.

٩ - سفينة النجا، إيضاح المكنون ٢/ ١٨ .

١٠- شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق: السيد يوسف أحمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

وطبع مرة أخرى، بتحقيق: د/ أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي. القاهرة: دار الفضيلة، ط١. ٢٠٠٩م.

١١- شرح حزب البحر، تحقيق: أحمد فريد المزيدي. القاهرة: دار جوامع الكلم - ٢٠٠٣م.

١٢- شرح الحزب الكبير، لأبي الحسن الشاذلي وشرح مشكلاته. نيل الابتهاج ١/ ١٤٠ .

١٣- شرح الحكم العطائية. تحقيق : الشيخ عبد الحليم محمود.

تحقيق: رمضان بن محمد علي البدري. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

١٤- شرح الحقائق والدقائق، للمقري ، نيل الابتهاج ١/ ١٤٠ .

١٥- شرح الدعوة الدمياطية، طبعت مع الدعوى الجلجلوتية والبرهتية، القاهرة: طبعة حجر، ١٨٦٧م.

١٦- شرح رسالة ابن القيرواني، القاهرة، مطبعة الجمالية، ١٩١٤هـ.

وطبعة أخرى١٣٣٢هـ، تحقيق أحمد فريد الزبيدي. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٦م، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٧- شرح الشيخ زروق على متن الأجرومية لابن آجروم الصنهاجي ، تحقيق : ندى السيد محمد محمد الساعي، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية (رسالة ماجستير)، ١٩٩١م.

١٨- شرح صحيح البخاري، تقديم: الدكتور/ عبد الحليم محمود، تحقيق: موسى محمد علي، وعزت علي عطيه. صيدا: المكتبة العصرية ١٩٧٣ (طبع على نفقة الأزهر الشريف).

١٩- شرح عقيدة الإمام أبي حامد الغزالي ، تصحيح: طه قطرية الدمياطي ومحمد البلبيسي، القاهرة: المطبعة الوهبية على نفقة فدا محمد الكشميري والحاج أبي طالب الميمني ١٢٩٦هـ- ١٨٧٩م، على هامش كتاب (الكفاية في شرح بداية الهداية للغزالي).

ثم حققه: د/ محمد عبد القادر نصار، القاهرة: دارة الكرز، ط١ . ٢٠٠٧ .

٢٠- شرح الغافقية. نيل الابتهاج ١/ ١٤٠ .

٢١- شرح المراصد في التصوف لشيخه ابن عقبة . نيل الابتهاج١/ ١٤٠

٢٢- شرح الوغليسية: طبع بعنوان : شرح العلامة زروق علي المقدسة الوغليسية في العقيدة والفقه، والتصوف، تقديم وتحقيق: محفوظ بوكراع، وعمار بسطة. بيروت: دار ابن حزم ، ط١. ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٢٣- عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق القصد وذكر حوادث الوقت. طُبع عدة طبعات:

١- تحقيق: د/ الصادق عبد الرحمن الغرياني. ط١ . ١٩٩٦م .

٢- تحقيق ودراسة: د/ إدريس عزوزي، ضمن كتابه (الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية، ١٩٩٨ .

٣- تحقيق: د/ عاصم كيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م.

٢٤- فتح المواهب وكنز المطالب في الشبيه على بعض ما يتعلق بصدور المراتب ونيل المراغب. ايضاح المكنون ٢/١٧٥ .

٢٥- قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، ويصل الأصول والفقه بالطريقة، طبع عدة طبعات:

١- تحقيق: محمد زهري النجار، وعلى معبد فرغلي. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٢م، وطبع بنفس التحقيق، القاهرة، الكليات الأزهرية، ١٩٦٨م.

٢- تحقيق وتقديم: الشيخ عثمان الحويمدي، عُني به: حسن السماحي سويدان، بيروت: دار وحي القلم، ط١ . ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣- تحقيق وضبط: محمود بيروتي. دمشق: دار البيروتي، ٢٠٠٤م.

٤- ضبط وتقديم: أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح ، والمستشار توفيق علي وهبه. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١ . ٢٠٠٦م.

٥- تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

٢٦- الكناش صور من ذكريات الحياة الأولى ، تحقيق: د/ علي فهمي خشيم. طرابلس: جامع التاريخ حولية -كلية التربية (عدد٥) ١٩٧٥م- ١٩٧٦م.

ثم نشر مرة أخرى بليبيا: المنشأة العامة للنشر، ١٩٨٠م.

٢٧- مفتاح الفضائل والنعم في الكلام على بعض ما يتعلق بالحكم . إيضاح المكنون ٢/٥٢٦ .

٢٨- مناقب الحضرمي، لأبي العباس أحمد بن عقبة، تحقيق: د/ محمد عبد القادر نصار. القاهرة: دارة الكرز، ط١ . ٢٠٠٨م.

٢٩- النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه، وعلق عليه: قيس بن محمد آل الشيخ مبارك. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، ط١. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- طبعة أخرى، تحقيق: عبد المجيد خيالي. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.

٣٠- همع البيان في شرح أبيات الجمع للشيخ علوان. إيضاح المكنون ٢/٧٢٩ .

٣١- وظيفة سيدي أحمد زروق أو الوظيفة الزروقية - طبعت ضمن كتاب تنوير الأفئدة الزكية، للشيخ أحمد عبد الرحمن الساعاتي.

مكانته العلمية

قال القرافي[١] (ت١٠٠٨هـ): «زروق .... الإمام العالم الصالح الجامع بين الشريعة والأخبار صاحب التصانيف المفيدة، وصفه ابن غازي في استدعائه قائلاً: أخونا الأود الخلاصة الصفي الفقيه المحدث الفقيه الصوفي أبو العباس البرنُس الشهير بزروق» .

وقال أحمد بابا التنبكي[٢] (ت١٠٣٦ هـ): "الإمام العالم الفقيه المحدِّث الصوفي الولي الصالح الزاهد القطب الغوث العارف بالله الحاج الرُّحلة المشهور شرقًا وغربًا، ذو التصانيف العديدة، والمناقب الحميدة، والفوائد العتيدة.

وقال عنه ابن العماد:[٣] "عابد من بحر العبر يغترف. وعالم بالولاية متصف ، تحلي بعقود القناعة والعفاف، وبرع في معرفة الفقه والتصوف والأصول والخلاف، خطبته الدنيا فخطب سواها وعُرضت عليه المناصب فردها وأباها" .

وقال محمد بن محمد مخلوف[٤] (ت١٣٦٠هـ): "الشيخ الكامل ، الولي العارف بالله الواصل ، الصالح الزاهد الفاضل، العالم العامل، شيخ الطريقة وإمام الحقيقة.... وبالجملة فقدره فوق ما يذكر، وهو آخر أئمة الصوفية المحققين، الجامعين لعلمي الحقيقة والشريعة ".

وقال عنه العلامة محمد بن الحسن الحجوي[٥] (ت١٣٧٦هـ) : "الإمام الفقيه المحدث الصوفي المشهور في العالم الإسلامي الرحالة ، ذو التصانيف العديدة المفيدة، والمناقب الحميدة، والزهد والورع، والانكباب على العلم والهداية.... كان من الطبقة العالية في المؤلفين ، وهو آخر المحققين الجامعين بين الفقه والتصنيف ، المحتج به عند الطائفين ، أخذ عن شيوخ المشرق والمغرب ، وأخذوا عنه كذلك، وكان ذابًا عن السنة، قوالاً بالحق ".

وفاته

توفى الشيخ زَرُّوق في خلوته بتكرين من قرى مصراته في اليوم الثامن عشر من شهر صفر سنة ٨٩٩هـ وعمره أربعة وخمسون عامًا[٦].

---

(١) توشيح الديباج ص٣٩ .

(٢) نيل الابتهاج ١/١٣٨ .

(٣) شذرات الذهب ٧/٣٦٣.

(٤) شجرة النور الزكية ١/١١٨ ١١٩.

(٥) الفكر السامي للحجوي ٢/٢٦٤.

(٦) شجرة النور الزكية ٢/١١٩، ونيل الابتهاج ١/١٤٠، وكفاية المحتاج ١/٦٨.

تراث الحدود النحوية

خلَّف النحاة العرب وراءهم تراثًا ضخمًا في الحدود النحوية، وهو واحد من شواهد العناية بتحرير المصطلحات، وتدقيق التعريفات في العلوم الإسلامية المختلفة، وقد أمكن أن نقف من خلال تتبُّعنا لمصنفات التراجم والطبقات ولا سيما ما خصَّ النحويين، ومن خلال مراجعة المصنفات النحوية، ولا سيما الكبير الموسَّع منها على عدد من المؤلفات في الحدود النحوية، وسوف يكون منهجنا في رصدها كما يلي:

١- ترتيب قائمة المصنفين على المشهور من ألقابهم أو كناهم أو أسمائهم تيسيرًا للوصول إليهم، ثم صنع قائمة موجزة لأولئك المصنفين مرتبة ترتيبًا تاريخيًا من القديم إلى الحديث.

٢- ذكر مصنفه في الحدود النحوية ، مع بيان المطبوع، والمخطوط وأماكن وجوده، ومن ذكره في المصادر المختلفة.

الأُبَّذي (٨٠٠-٨٦٠هـ)

هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي شهاب الدين الأُبَّذي المالكي المصري الأزهري البجائي، ولد سنة ٨٠٠هـ ، وتوفى سنة ٨٦٠هـ

وله في الحدود النحوية:

كتاب حدود النحو، ذكره له السيوطي في البغية ٢/٣٦٧ ، والسخاوي في الضوء ٢/١٨٠ والذيل على رفع الإصر ٣١٠، وإيضاح المكنون ١/٣٩١، وبروكلمان (ق٧) /١٢ ٥٢٢.

وقد نشره الدكتور المتولي رمضان أحمد الدميري ، ونشرته الشروق للطباعة والنشر بالمنصورة، مصر سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ولم يبين عن أيِّ نسخ خطية نشره! ثم نشره الدكتور علي توفيق الحمد بإربد بالأردن سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ، معتمدًا ثلاث نسخ خطية، ثم نشرته الدكتورة نجاة حسن عبد الله نولي بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ صلى الله على ساكنها- في العدد (١٢) للسنة ٣٣، سنة ١٤٢١هـ معتمدة ثلاث نسخ خطية.

وقد أعددناه للنشر عن خمس نسخ خطية، مضافًا إليها نسخة الشرح، لابن قاسم المالكي بمكتبة الآداب بالقاهرة سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

الأنصاري الخليلي (٨٥٤-٩٠٢م)

هو محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم الأنصاري الخليلي الشافعي ، الملقب بشمس الدين، وكنيته: أبو الجود ، ولد سنة ٨٤٥هـ، وتوفى سنة ٩٠٢هـ .

وله في الحدود النحوية:

- **معونة الطالبين في معرفة اصطلاحات المُغربين** . ذكره عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (٣) ٨/٢٠٦، وأعلام الهدى في بلاد المسجد الأقصى (١٥١/٢).

البَدْخَشيُّ

هو نظام الدين ، أحمد بن علي أريكان القاضي البدخشي.

وله مما يمكن أن يعد في الحدود النحوية:

رسالة في تعريف الاسم والفعل والحرف. ذكرها بروكلمان (ق٤) ٧-٨ /٢٩٥ حاشية ١، وذكر أن منها نسخة بالمكتب الهندي ٤٠٢ وبباريس ١٢٤٤ .

البَنْدَرُوس

هو حامد بن السيد يوسف البندروس.

له في تراث الحدود النحوية:

-كتاب **(شهود الصحو بحدود النحو)** . ذكر البعيمي أن منه نسخةً في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة - صلى الله على ساكنها - برقم ٢٠/٨٠/١٩٢ .

ثعلب (ت ٢٩١هـ)

هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، المعروف بثعلب ، وكنيته أبو العباس، من أئمة النحاة الكوفيين وتوفى سنة ٢٩١هـ .

وله في الحدود النحوية:

-**حد النحو** . ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ١٠٤/١ ، والفهرست لابن النديم (د. شعبان خليفة) ١٢٧/١ ، وكشف الظنون ٦٣٥/١، وفيه أنه "ذكر فيه ستًا وأربعين حدًا في الإعراب" وهدية العارفين ٥٤/١ .

الجَبْراني (ت ٦٦٨هـ)

هو تاج الدين ، أبو القاسم ، أحمد بن هبة الله بن سعد الله بن سعيد الجبراني، الحلبي، توفى سنة ٦٦٨هـ .

وله في الحدود النحوية:

الحدود النحوية: ذكر بروكلمان (ق ٣) ٥-٦/٢٧٦ أنَّ منه نسخة في باريس، برقم ٢/٤٠٦٧ .

الجُزولي

هو: أحمد بن محمد الجزولي التملي (!) المعشتوكي (!) .

وله في الحدود النحوية:

-**تحفة الرب المعبود على تعاريف النحو والحدود**. منه نسخة برقم ٢٥٦٩/ د نحو بمكتبة البلدية بالإسكندرية، نقلت بالرقم نفسه إلى مكتبة الإسكندرية الجديدة، وعندي مصورة عنها وهي بخط مغربي.

أبو جعفر الضرير (ت ٢٣١هـ)

هو محمد بن سعدان الكوفي المعروف بأبي جعفر الضرير، المتوفى سنة ٢٣١هـ.

وله في الحدود النحوية:

كتاب الحدود (في النحو) . ذكره القفطي ١٤٠/٣ ، قال: (على مثل حدود الفراء، لا يَرْغَبُ الناس فيها)!

الجَلْوَتي الرومي (ت ١١٦٤هـ)

هو ملا عبد الله بن عبد الرحمن بن موسى الجلوتي الرومي النحوي، توفى سنة ١١٦٤هـ .

وله في الحدود النحوية:

-**المقدمة الفخرية في الاصطلاحات النحوية.**

-**المنهج الإلهية في شرح المقدمة الفخرية.**

ذكرهما معجم المؤلفين (٣) ٢٢/٦ . وهدية العارفين ٢٨١/١، وإيضاح المكنون (المقدمة) ٥٤٤/٢، و(المنح) ٥٧٥/٢، وبروكلمان (ق٩) ١٣ب- ٢٩٦/١٤ ، وذكر أنه كتبهما سنة ١١١٠هـ.

الخَطَّابي (ت ٤١٠هـ)

هو عبد الله بن محمد بن حرب بن خطاب، المعروف بالخطابي، وكنيته أبو محمد، نحوي، كوفي، توفي سنة ٤١٠هـ .

وله في الحدود النحوية:

- كتاب الحدود في النحو. ذكره عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (٣) ١١٥/٦ وابن النديم في الفهرست ١١٨/١.

الرَّأسَمُوكيُّ (ت١٠٤٩هـ)

هو: علي بن أحمد الراسموكي

له في الحدود النحوية:

شرح حدود النحو. منه نسخة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ٢٣٩، ذكره العايد ١٢٩ (١٩).

لقد شرعنا في تحقيقه ونشره في القريب العاجل.

الرُّمَّاني (ت ٣٨٤هـ)

هو علي بن عيسى بن عبد الله الرماني النحوي المعتزلي البصري، توفى سنة ٣٨٤هـ.

وله في الحدود النحوية:

-حدود النحو الأكبر

-وحدود النحو الأصغر ذكرهما كشف الظنون ٦٣٥/١ .

وقد نشر الدكتور إبراهيم السامرائي له كتابًا بعنوان الحدود ضمن (رسالتان في اللغة) ٦٣-٨٨ طبعة دار الفكر بعمانً بالأردن، ١٩٨٤م ، وكان نشره كذلك الدكتور مصطفى جواد والدكتور يعقوب مسكوني ضمن (رسائل في النحو واللغة) ببغداد ١٩٦٨م.

سلمة بن عاصم (ت ٣١٠هـ)

هو: سلمة بن عاصم النحوي، أبو محمد صاحب الفراء، أحد العلماء الكوفيين، ثقة، راوية ، توفي سنة ٣١٠هـ .

وله مما يمكن أن يكون في الحدود النحوية:

-كتاب الحلول في النحو. وسماه ابن النديم ١١٤/١ (الملول)، ولعل ذلك تحريف لكلمة: الحدود . وقد ذكره باسم الحلول معجم المؤلفين (٢) ٢٤٠/٤، وبعنوان: (الملول في النحو) الفهرست ١١٤/١ .

الشربيني الحلبي (ت ١٢٥٥هـ)

هو محمد بن أحمد الشربيني ، توفي سنة ١٢٥٥هـ.

وله في الحدود النحوية:

الحقائق النحوية. منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم ١٠٠٤ .

الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)

هو علي بن الحسين السيد مرتضى الشريف الموسوي المتوفى ٤٣٦هـ.

وله في الحدود النحوية:

الحدود. وقد رجح نسبته الدكتور العايد ١٢٩ إلى رجل سمّى له كتابين، استطعنا أن نصل إلى أنه هو الشريف المرتضى كما في إيضاح المكنون ٢١٣/١، وكتابه في الحدود إن صح استنباطنا ليس في الحدود النحوية وإنما هو في حدود علمي الأصول والكلام!

أبو طالب المكفوف

هو أبو طالب المكفوف تلميذ الكسائي .

وله في الحدود النحوية:

كتاب حدود الحروف العوامل والأفعال، واختلاف معانيها. ذكره القفطي ١٣٠/٤ وبغية الوعاة ١٦/٢ .

الطرابيشي (ت ١٢٨٥هـ)

هو عمر بن محمد بن عمر المخملجي الطرابيشي الحلبي، توفي سنة ١٢٨٥هـ ، وكان ولد سنة ١٢٢٠هـ .

وله في الحدود النحوية:

-**النور البارق في شرح الحقائق النحوية.** منه نسخة بدار الكتب المصرية ١٧٢/٢ ، وهو شرح لكتاب الحقائق النحوية، لمحمد السرميني، ذكره الزركلي ٦٤/٥ .

العَبَّادي الشافعي (ت ٩٩٤هـ)

هو شهاب الدين أحمد بن قاسم العبادي القاهري الشافعي، توفي سنة ٩٩٤هـ .

وله في الحدود النحوية:

حدود النحو. ذكره العابد، ص١٢٨ ، وقال في حاشية ١٢٨ : لم أجد له ترجمة!

أبو عبيدة (ت ٢٢١هـ)

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي القرشي ولاء، ولد سنة ١١٤هـ وتوفي ٢١٠هـ على خلاف.

وله في الحدود النحوية:

-**كتاب الحدود**. ذكره الفهرست ٨٧/١ ، ووفيات الأعيان ٢٣٨/٥ ، وكشف الظنون ١٤١١/٢، وتاريخ التراث العربي (علم اللغة) (مج ٨) ١١٧/١ رقم ١٠ .

العقباني التلمساني (ت ٨٥٤هـ)

هو أبو الفضل القاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني التجيبي ، توفي سنة ٨٥٤هـ .

وله في الحدود النحوية:

رسالة في الحدود النحوية. وقد نشره منسوبًا إليه الدكتور إبراهيم سليمان البعيمي، بمجلة عالم المخطوطات والنوادر مج ٧ ع رجب / ذو الحجة ١٤٢٣هـ- سبتمبر / فبراير ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م ص ٥١-٥٣ ، وقد تشكك في نسبتها إلى العقباني المذكور، وإن كانت كتب التراجم تذكر أن له شروحًا على بعض مؤلفات ابن الحاجب النحوي.

الفاكهي (ت ٩٧٢هـ)

هو عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الشافعي ، جمال الدين نحوي، ولد سنة ٨٩٩هـ، توفي سنة ٩٧٢هـ .

له في الحدود النحوية:

-**الحدود في النحو**. ذكره إيضاح المكنون ٣٩٦/١ بعنوان: حدود النحو، وسماه كذلك في ٢٩٦/١، تعريف الحدود في النحو، وكذلك في معجم المؤلفين (١) ٢٩٦/١ و(٣) ٢٨/٦ نشره الدكتور على توفيق الحمد بإربد بالأردن سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- **وشرح الحدود النحوية**. ذكره معجم المؤلفين (١) ٢٩٦/١ ، وإيضاح المكنون ٢٩٦/١، وقد حققه: صالح حسين العابد، ضمن متطلبات رسالة الماجستير، بكلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ثم نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كما حققه محمد الطيب الإبراهيم

بدار النفائس، ١٩٩٦م ، ونشره شبرنجر في سلسلة (٥) Bib lind في كلكتا بالهند، كما في بروكلمان (ق٩) ١٣ ب- ١٦/١٤، كما ذكره سركيس ١٤٣/٢ ، ونشره الدكتور : متولي الدميري بمكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م.

الفَرَّاء (ت ٢٠٧هـ)

هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي ، أبو زكريا الفراء الكوفي ، توفى سنة ٢٠٧هـ .

وله في الحدود النحوية:

-**كتاب الحدود في النحو**. ذكره معجم المؤلفين (٧) ١٩٨/١٢ .

ابن قاسم المالكي (ت ٩٢٠هـ)

هو جلال الدين، عبد الرحمن بن زيد الدين محمد بن قاسم الجلالي المالكي، توفى سنة ٩٢٠هـ .

-**شرح الحدود النحوية للأبذي**. ذكره إيضاح المكنون ٣٩٦/١ ، ومعجم المؤلفين (٣) ١٨٦/٥ ، ونيل الابتهاج ٢٦٢ .

وهو ما حققناه ونشرناه بمكتبة الآداب بالقاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

القَزْويني (ت ١٣٠٠هـ)

هو محمد القَزْويني (ولعله محمد بن مهدي بن حسن القَزْويني النجفي الحلِّي)! توفى سنة ١٣٠٠هـ ، كما في الأعلام ١٧٤/٧ .

وله في الحدود النحوية:

-**الحدود**. ومنه نسخة في مكتبة كوبريلي بتركيا كما ذكر العايد ١٢٩ (١٨).

ابن كَيْسَان (ت ٢٩٩هـ)

هو محمد بن أحمد بن محمد بن كيسان، المعروف بابن كيسان النحوي، يكنى بأبي الحسن، خلط بين المذهبين البصري والكوفي .

وله في الحدود النحوية:

كتاب حد الفاعل والمفعول به. ذكره له الفهرست ١٤٠/١ (رقم ١٦).

المُفَجَّع (ت ٣٢٠هـ)

هو المفجع ، محمد بن أحمد بن عبد الله الكاتب البصري ، أبو عبد الله، من تلاميذ ثعلب، شيعي .

وله مما يمكن أن يكون من الحدود النحوية:

-كتاب حد الإعراب. ذكره له الفهرست ٤٤/١ .

ابن المُظَفَّر

هو: أحمد بن المظفر؟

وله في الحدود النحوية:

الحدود (في النحو) . ذكره العايد ١٢٨ .

المقدسي البلبيسي (الرملي ت ٨٨٨هـ)

هو أبو حامد محمد بن خليل بن يوسف بن علي البلبيسي الرَّمْلي المقدسي المتوفى سنة ٨٨٨هـ، وكان ولد سنة ٨١٩هـ .

وله في الحدود النحوية:

- كتاب (تحفة الخل الودود في معرفة الضوابط والحدود) . ذكر الدكتور العايد ص١٢٨ أن منه نسخة في مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد برقم (١٧٩٠) نقلا عن فهرس عناوين المخطوطات بمكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد، ص٨٤ .

ابن هشام المصري (ت ٧٦١هـ)

هو عبد الله يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، جمال الدين الحنبلي، ولد سنة ٧٠٨هـ، وتوفى سنة ٧٦١هـ .

وله في الحدود النحوية:

-التعريفات النحوية. ذكره العايد ١٢٩ مرجحًا نسبته إلى ابن هشام، اعتمادًا على نسخة خطية منسوبة إليه في مكتبة جامعة الملك سعود برقم ٢/٧٣١م، ولم أجد من ذكرها ممن ترجم له قديمًا وحديثًا!

هشام بن معاوية (ت ٣٠٩هـ)

هو هشام بن معاوية الضرير، أو عبد الله، النحوي الكوفي الضرير، توفى سنة ٣٠٩هـ .

وله في الحدود النحوية:

الحدود النحوية. ذكر بعنوان الحدود في وفيات الأعيان ٦/٨٥ . والحدود في النحو في معجم المؤلفين (٧) ١٢/١٠، وفي الفهرست ١/١١٨ (وله قطعة حدود رأيت منها بخط أبي جعفر الطبري) وبعنوان حدود القياس، في كشف الظنون ١/٦٣٥ .

يحيى بن داود؟

هو يحيى بن داود (لم أقف على من ترجم له).

له في الحدود النحوية:

-رسالة في اصطلاحات النحو. نشرها فيلهلم باخير (ت ١٩١٣م) في فينا سنة ١٨٨٤م، كما ذكر علي بن إبراهيم النملة في كتابه: المستشرقون ونشر التراث (ص٦٦).

- الحدود النحوية ، لزروق المتوفى سنة ٨٩٩هـ

المنهج والمصادر

(١)

عرف التصنيف النحوي عند العرب تراثًا كبيرًا اعتنى بتحرر المصطلحات المستعملة في علم النحو، حمل عنوانًا شائعًا هو: الحدود النحوية. وقد كان ذلك منذ فترة قديمة، ربما تزامنت مع بداياته الأولى، إن صحت نسبة التعليقة التي وردت إلى أبي الأسود الدؤلي [1].

ويبدو أن كتاب: الحدود في النحو، للفراء، المتوفى سنة ٢٠٧هـ هو أقدم ما حمل هذا العنوان، وامتد التأليف في هذا المجال حتى اليوم [2].

وكتاب أبي العباس ، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى المالكي، المعروف بزروق المتوفى سنة ٨٩٩هـ واحد من سلسلة ممتدة، أسهم فيها المغاربة بقدر ظاهر والكتاب - وإن جاء مختصرًا - يضم عددًا طيبًا من المصطلحات النحوية، تبلغ نحوًا من (١٤١) واحدٍ وأربعين ومئة مصطلح.

وواضح من مقدمة الكتاب القصيرة أنه صنفه تلبيه لرغبة بعض من سأله. يقول: قد سألني من لا تسعنى مخالفته أن أجمع له الحدود المختارة المستعملة في علم النحو، وما ضم إليه فأجبته إلى سؤاله».

وفي هذا البيان إيضاح لعدد من الحقائق التي يدركها (زروق ت ٨٩٩هـ)، يظهر منها:

أولاً- الوعي بطبيعة كتابه، فقد اتضح وعيه بأنه ينتمي إلى مجال المعجمات المختصة بالألفاظ المتداولة بين النحاة.

ثانيًا- الوعي بطبيعة الجهاز الاصطلاحي للنحو العربي في مفهومه القديم الذي يضم بعضا من المصطلحات الصرفية واللغوية، بما هي مصطلحات رحالة أسهمت في تكوين الجهاز الاصطلاحي للنحو العربي.

---

(١) انظر : تعليقه أبي الأسود الدؤلي، بتحقيق الدكتور محمد خير الدين محمود البقاعي، بمجلة العرب في المجلد ٤٢ ع ٧-٨ . ص ٤٥٣ _ ٤٧٠ في المحرم وصفر سنة ١٤٢١هـ- فبراير ومارس ٢٠٠٧م.

(٢) انظر: قائمة كاملة لهذا التراث في : شرح الحدود النحوية لابن قاسم المالكي، المتوفى سنة ٩٢٠هـ. بتحقيق الدكتور / خالد فهمي. القاهرة. مكتبة الآداب . مكتبة الآداب، بالقاهرة سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ثالثًا – لم يظهر - نصًا من هذه المقدمة الموجزة الغايات من وراء تصنيف هذا المعجم، وإن بدا احتمال توزعها على غاتين، هما:

أ- الغاية العلمية ، بمعنى إرادة تحرير المصطلحات النحوية.

ب- الغاية التعليمية ، بمعنى إرادة تيسير هذه المفاهيم لإعانة المقبلين على تعلم النحو.

(٢)

تقود قراءة الكتاب إلى القول بأن منهجية ترتيب المصطلحات بدت منسجمة مع الترتيب الشائع في الكتب النحوية، بمعنى أنه يفتتح ببيان معاني المصطلحات المتعلقة بالمقدمات النحوية، وبين يديها بيان لمعاني المصطلحات الافتتاحية المعرِّفة للعلم نفسه، فتراه يبدأ بتعريف مصطلح : النحو، ثم يدخل إلى تعريف مصطلحات: الكلام ، والقول ، واللفظ، والصوت، والمفيد، والكلم، والمفرد، والمركب، والإضافي، والمزجي، والإسنادي، والاسم، والفعل، والماضي، والمضارع، والأمر، والحرف، والتثنية، والجمع، واسم الجمع، واسم الجنس، وجمع المذكر السالم، وجمع المؤنث، وجمع التكسير، والمقصور، والمنقوص، والمنصرف، وما لا ينصرف، والنكرة، والمعرفة، والضمير، والمستتر، والبارز، والمتصل، والمنفصل، والعلم، والشخص، والمرتجل، والمنقول، واللقب ، والكنية، والجنس، واسم الإشارة، والموصول الاسمي، والموصول الحرفي، والإعراب والبناء، والمبنى، والشبه الوصفي، والمعنوي، والاستعمالي، والافتقاري، والإهمالي، واللفظي، والمعرب، والعامل، واللازم، والمتعدي، واسم الفعل، والمرتجل، والمنقول، والمصدر، واسم المصدر، واسم الفاعل، والمثال (صيغة المبالغة)، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، والتعجب، والفاعل، ونائب الفاعل، والمبتدأ، وخبر المبتدأ، والمفعول به، والاشتغال، والتنازع، والاختصاص، والإغراء، والتحذير، والمنادى، والترخيم، والاستغاثة والندبة، والمفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول فيه، والمفعول معه، والحال، والمؤكدة، والمؤسسة، والمقارنة، والمقدرة، والمتداخلة، والمتعددة، والموطئة، والتمييز، والمستثنى، والمتصل، والمنقطع، والتابع، والنعت، والحقيقي، والمجازي، والسببي، وعطف البيان، والتوكيد المعنوي، والتوكيد اللفظي، والبدل، وبدل الكل، وبدل البعض، وبدل الاشتمال، والبدل المباين، وبدل الإضراب، وبدل الغلط، وبدل النسيان، وعطف النسق، والشرط ، والجر، والإضافة، والتنوين، وتنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين العوض، وتنوين الترنم، وتنويه الغالي، والقسم، والعدد، والحكاية، والمصغر، والمنسوب، والإمالة، والوقف، والضرورة، والخط.

وتأمل هذا الترتيب يفتح الباب إلى ما يمكن أن نسميه بمنهجية الترتيب النحوي المعتمد فكرة العائلات النحوية، حيث يظهر جمع المرفوعات، ثم المنصوبات، ثم المجرورات، ثم التوابع، في أحياز مجموعة، ثم في إطارها يعتمد الكتاب منهجية التفريع، بمعنى أن كل مصطلح له أقسام، يرد أولا، ثم ترد تعريفات ما يتفرع منه من مصطلحات تندرج تحته، وهو ما نلحظه مثلا في : تعريف الضمير، ثم يعرف بعده نوعيه: المستتر، والبارز، ثم يورد تعريف نوعي البارز: المتصل والمنفصل . وهكذا دواليك.

وهي منهجية أقر ب إلى ما يسمى في المعجمية باسم الترتيب المفهومي ، أو جمع مصطلحات مجال مفهومي بعينه في حيز واحد، وهي منهجية معينة على التحصيل للمعرفة النحوية.

وكنت سميت ما شابه هذه المنهجية- من قبل _ تسمية مستعارة من الجهاز الاصطلاحي لعلم البلاغة، هي : منهجية اللف والنشر، قلت في مقدمة تحقيق كتاب الحدود للأبذي[١].

لعل أقرب ترتيب يمكن أن يصنف ضمنه هو ما تقترح تسميته بمنهج : اللف والنشر، بمعنى أن الأبذي يجمل في الحد بعض الأمور، والمسائل النحوية، وأقسامها ، ثم يعود فينشرها إذا ما احتاج إلى أن يعرف حدود هذه المسائل التي أجملت سلفًا.

وما حملني على العدول عن هذه التسمية بعض الفروق في منهجية ترتيب الحدود النحوية عند الأبذي (٨٠٠-٨٦٠هـ)، وتابعة ابن قاسم المالكي ٩٢٠هـ في شرحه عليه.

وأقرب ما يمكن الإقرار به هو أن زروق خلط بين منهجين في ترتيب حدوده النحوية، هما:

- ترتيب ابن مالك النحوي الأندلسي الشهير بترتيب الألفية.

- إدخال التفريع عليه، كما قررنا من قبل.

ومن الملاحِظ المهمة في هذا السياق القول بأن ثمة تطابقا بين التعريفات التي أوردها زروق (٨٩٩هـ) والتي أوردها الفاكهي (٩٧٢هـ) في حدود ه النحوية، وفي شرحه عليها. والتطابق الوارد بينهما مذهل، وهنا فإن الأمر يحتمل توجيهين هما:

أولاُ: نقل الفاكهي عن زروق ، ولا سيما أن بعض مَنْ درس شرح حدود الفاكهي لمس نوعَ تقصيرٍ في توثيق نقول الفاكهي من مصادره بشكل يمثل منهجًا مطردًا، يقول

(١) طبعة مكتبة الآداب، بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م ص ٢٣ :

الدكتور صالح حسين العائد في مقدمة تحقيق شرح حدود الفاكهي[1] : على الرغم من أن الفاكهي قد نسب كثيرًا من النصوص إلى أصحابها إلا أنني وجدته في مواضع عديدة ينقل كلامًا طويلاً دون الإشارة إلى مصدر ، بل وصل به الأمر إلى أن نقل كل ما قاله عن بعض الحدود من مصادر دون نسبة ذلك إلى أصحابه.

ثانيًا- نقل زروق (٨٩٩هـ) والفاكهي (٩٧٢هـ) معا من مصدر أسبق منهما، وذلك هو سر تطابقهما، وأقرب ما نتصور أنه يمثل المصدر المشترك لهما هو: ابن الحاجب النحوي سنة ٦٤٦هـ في كتابه : الكافية، وهو ما نرجحه؛ نظرًا لأنه مالكي ومغربي، وزروق مثله مالكي ومغربي!

والاحتمالان قائمان ، ولا سيما أنه لا ذكر لأيٍّ من المصادر في الكتاب الذي جاء مختصرًا إلى حد بعيد.

ومراجعة هوامش التحقيق تظهر هذا الذي نذهب إليه، فقد تتبعنا في تحقيقنا للكتاب بيان موارد التعريفات، ولا سيما ما كان منها منقولاً بالنص، لتيسير الكشف عن مصادر زروق.

ومن هنا فإن أظهر المصادر التي يمكن التعويل عليها هو كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب النحوي.

ويكون كذلك الفاكهي أظهر من تأثر به زروق ، ونقل تعريفاته ، على ما قررناه في أحد احتمالين سبق الإعلان عنهما هنا.

توثيق نسبة الكتاب ومنهج تحقيقه

اعتمدنا في نشر هذا الكتاب على نسخة خطية بيانها كما يأتي: نسخة المكتبة الأزهرية رقم عام ٥٤٤٥٦ ، ورقم خاص ٣٩٤٤ وهي في عشر ورقات، كُتب في صفحتها الأولى: رسالة زروق في النحو. متوسط سطور الصفحة الواحدة ١٧سطرًا، وعدد الكلمات في السطر الواحد ما يقرب من ٨ كلمات خطها نسخي مقروء غير مشكول. تاريخ نسخها في القرن الثالث عشر الهجري، وقد ميز الناسخ كل مصطلح فكتبه بمداد أحمر وتعريفه وشرحه بمداد أسود، وناسخها يدعى حسين أبو العلا، فقد ذكر ذلك في نهاية المخطوط.

سوف يكون حرصنا على إخراج النص مقروءً قراءة صحيحة خالية من أخطاء

---

(١) طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ص ١٨.

التصحيف والتحريف والسقط، متبعين الخطوات الآتية:

١- كتابتها بالطريقة الإملائية المعاصرة، مع استعمال علاقات الترقيم المناسبة، ووضع الزيادات بين قوسين معقوفين.

٢- تخريج المصطلحات بعرضها على المصادر الأصلية.

٣- عرض مادة الكتاب على المصادر الأصلية.

٤- تخريج نصوصها وشواهدها من مصادرها الأصلية.

٥- الترجمة للأعلام والأماكن والكتب متى وجدت.

الصفحة الأولى من المخطوط

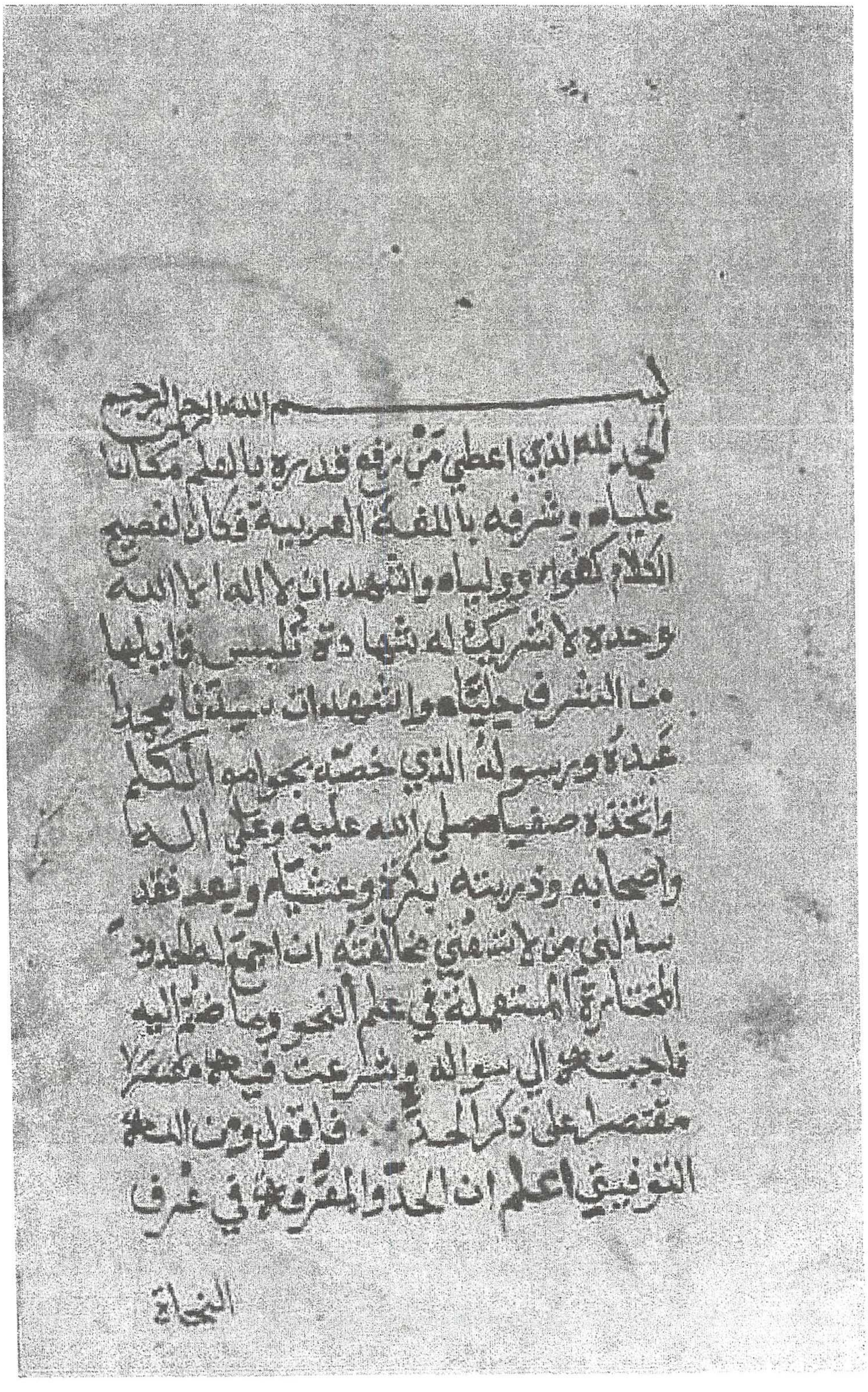

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي اعطي من رفعه قدره بالعلم مكانا
عليا وشرفه باللغة العربية فكان فصيح
الكلام كهوله وولياه واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة تليس قايلها
من الشرف حليا واشهد ان سيدنا محمدا
عبده ورسوله الذي خصه بجوامع الكلم
واتخذه صفيا صلى الله عليه وعلى اله
واصحابه وذريته بكرة وعشيا وبعد فقد
سالني من لا تسعني مخالفته ان اجمع له الحدود
المتعارفة المستعملة في علم النحو وما ضم اليه
فاجبته الى سواله وشرعت فيه مختصرا
مقتصرا على ذكر الحد فاقول وبالله
التوفيق اعلم ان الحد والمعرف في عرف
النحاة

الصفحة الثانية من المخطوط

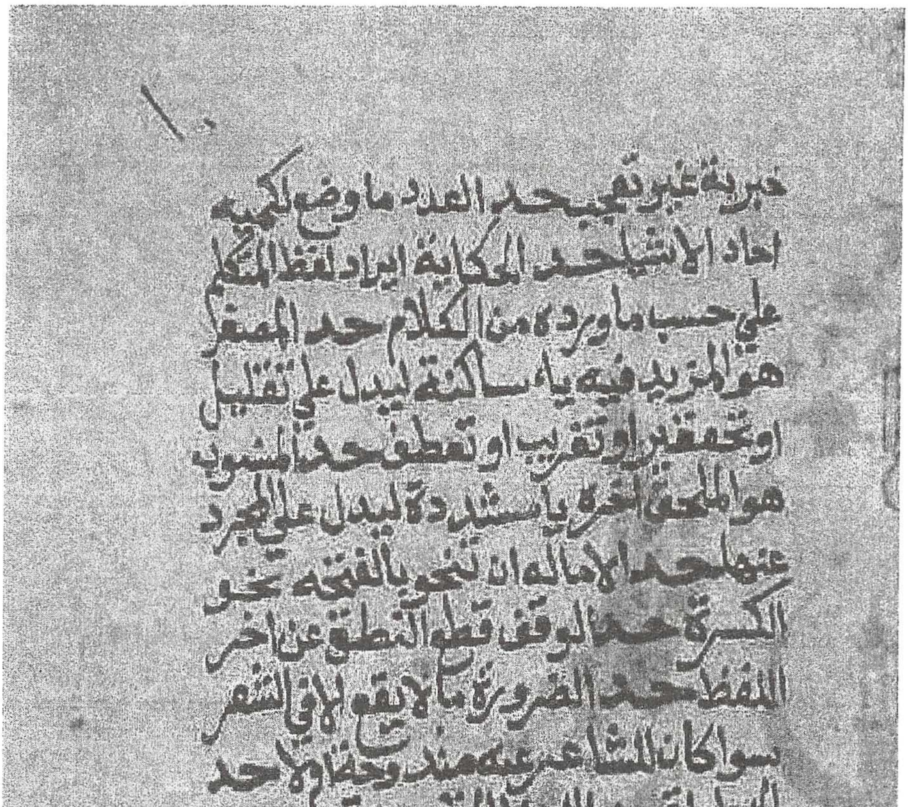

١٠

خبرية عبو تعجب حد العدد ما وضع لكمية
احاد الاشيا حد الحكاية ايراد لفظ المتكلم
علي حسب ما ورده من الكلام حد المصغر
هو المزيد فيه يا ساكنة ليدل علي تقليل
او تحقير او تقريب او تعطف حد المنسوب
هو الملحق اخره يا مشددة ليدل علي المجرد
عنها حد الامالة ان تنحو بالفتحة نحو
الكسرة حد الوقف قطع النطق عن اخر
اللفظ حد الضرورة ما لا يقع الا في الشعر
سوا كان للشاعر عنه مندوحة او لا حد
الخط تصوير اللفظ المقصود تصويره
برسم حروف هجائية بتقدير الابتدا بها
والوقف عليها تمت بحمد الله وعونه علي
يد كاتبه الفقير حسين ابو العلا
غفر الله له ولوالديه ولمن
دعا له بالمغفرة وكان
الفراغ يوم الاثنين
جماد اول ١٢٨٥ سنه
خلت من الهجرة
النبوية
علي صاحبها

٨٩

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى مَنْ رفع قدره بالعلم مكانًا عليًا وشرفه باللغة العربية ، فكان الفصيح الكلام كُفوا ووليًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُلبِسُ قائلها من الشرف حُليا ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عَبدُه ورسوله الذى خصّه بجوامع الكلم واتخذه صَفيًا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه و ذريته بُكرَةً وعَشِيًّا.

وبعد

فقد سألنى من لا تسعنى مخالفتُه أن أجمع له الحدودَ المختارة المُستَعْمَلَة فى علم النحو ، وما ضُمَّ إليه ، فأجبته إلى سؤاله وشرعت فيه مقتصرًا على ذكر الحَدِّ ، فأقول ومن الله التوفيق :

اعلم أن الحد، والمعرِّف فى عُرف النحاة، والفقهاء /[٢أ] والأصوليين اسمان لمسمًّى واحدٍ: وهو: ما يُميِّزُ الشئَ عما عداه ، ولا يكون كذلك إلا ما كان جامعا مانعا(*) فنبدأ بتعريف

١- النحو [و] حد[هـ]: عِلمٌ بأصول يُعْرَفُ بها أحوال أواخرِ الكَلِم إعرابًا وبناء.

٢-حَدُّ الكَلام : قَوْلٌ مُفيد بالإسناد ، مقصودًا لذاته ، و يراد به : الجملة عند قوم والصحيح أنها أعم منه . بل قيل : إنه الصواب ، و عليه فحدُّها : القولُ المُركَّب من فعل مع فاعله ، أو مبتدأ مع خبره ، أو ما نَزَلَ مَنْزِلَةَ أَحَدِهما ، كضرب عمروٌ ، وما قائم الزيدان ، ثم إنْ صُدِّرَت باسمٍ و لو مؤولا فاسمية ، أو بفعل ففعلية ، أو بظرف فظرفية والمراد بالصَّدر المُسنَد أو المسنَد إليه . والمعتبر ما هو صدر فى الأصل ، ثم إن بُنِيتْ على

(*) انظر : رسالة فى الحدود النحوية للعقبانى التلمسانى ٣٦٥ و بنص ما هنا فى حدود النحو للأبذى (د.خالد فهمى) ١/٥٠١ و شرح حدود النحو لابن قاسم المالكى ١/٤٩ و شرح الحدود النحوية للفاكهى ٤٤-٤٥/٢٣ و انظر : التعريفات للجرجانى ٣٠٨/ فقرة ١٥٤١ و المقاصد الشافية فى شرح الخلاصة الكافية للشاطبى١/١٧ .

(١) كما هنا بلفظ مختلف فى رسالة فى الحدود النحوية المنسوبة للعقبانى التلمسانى ٣٥٥-٣٥٦ ، وشرح الحدود النحوية للفاكهى (د.محمد الطيب الإبراهيم)٤٢ ، وشرح حدود ابن عرفة ٦٤/١ ، والحدود فى الأصول للباجى٢٣ ، والحدود فى الأصول لابن فورك ٧٨، والحدود الأنيقة ٦٥ وفى تحرير القواعد المنطقية ٧٨ ترادف بين المعرِّف و القول الشارح و الحد، وانظر: التعريفات للجرجانى ١١٢ فقرة ٥٣٩

(٢) انظر: الحدود للرمانى ٧٤/٧٧ ورسالة فى الحدود النحوية للعقبانى ٣٦٥ و حدود النحو للأبذى ٥١/٣ و شرح حدود النحو لابن قاسم المالكى ٥١/٣ و انظر فيهما تعريف مصطلح الجملة ٨٦/٨٢ و ١١٠/٦٦ على الولاء و الترتيب . و بنص ما هنا فى شرح الحدود النحوية للفاكهى ٤٨-٥٢/٢٥ و انظر : التعريفات للجرجانى ٢٣٧/١١٥٤ و المقاصد الشافية فى شرح الخلاصة الكافية ٣١/١ و مقاليد العلوم فى الحدود و الرسوم٩٤- ٤٥٤ .

مبتدأ فصغرى ، أو أُخْبِرَ عنها بجملة فكبرى .

٣- حَدُّ القول : اللفظُ الموضوعُ لِمَعْنى .

٤- حَدُّ اللَّفْظِ : الصَّوْتُ المُشْتَمِلُ على بعض الحروف الهجائية ، تحقيقًا / [٢ ب] ، أو تقديرا .

٥- حَدُّ الصوت : عَرَضٌ يَخْرُجُ من داخل الرئة مع النَّفَس مستطيلاً ، أو متصلاً بمقطع من مقاطع حروف الحَلْق و اللسان و الشفتين.

٦- حَدُّ المُفيد: ما دل على معنى يَحسنُ سكوت المتكلِّم عليه ؛ بحيث لا يصير السامع منتظرا لشئ آخر ، فهو مستلزمٌ للتركيب(٦أ) ، وهو ضم كلمة فأكثر إلى أخرى.

٧- حَدُّ الكَلِم : ما تركب من ثلاثِ كلماتٍ ، فأكثر ، أفاد ، أو لم يُفِدْ ، فهو أخص من الكلام بالتركيب من الثلاث ، و أعم منه بعدم اشتراط الفائدة . [٧أ] والكلام عكسه.

---

(٣) باختلاف عما هنا فى رسالة فى الحدود النحوية ، للعقبانى ٣٦٥ و بالنص فى شرح الحدود النحوية للفاكهى (الطيب الإبراهيم)٣٣/٥٨ وأوضح المسالك ١٣/١ و شرح شذور الذهب ١١ وهمع الهوامع٣٩/١. و انظر : معجم مصطلحات النحو والصرف و العروض ٢١٦ .

(٤) انظر: الحدود للرمانى ٧٦/٧٤ وبالنص فى :حدود الأبذى ٥/٥٢ وشرحه لابن قاسم المالكى ٥/٥٢ وفى المقاصد الشافية للشاطبى ٣٢/١: " ما نطق به الإنسان". وانظر التعريفات (اللفظ) ١٣٢٥/٢٤٧ ومقاليد العلوم فى الحدود والرسوم ٤٥١/٩٤ .

(٥) قريب مما هنا فى رسالة فى الحدود النحوية للعقبانى ٣٦٥ و انظر : الحدود النحوية للأبذى ٦/٥٢ وشرحه لابن قاسم المالكى ٧و بالنص فى شرح الحدود للفاكهى ٣٥/٦٠، وانظر :التعريفات (الصوت) ٨٨٤/١٧٧ و فى الحدود الطبية وغيرها لابن هبة الله الطبيب ل٥/أ: " حد الصوت : قرع فى الهواء مما له نفس" و انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوى (الداية) ٤٦٤ و كشاف اصطلاحات الفنون (لطفى عبد البديع)٢٠٤/٤ .

(٦) انظر: الحدود للأبذى (الإفادة)٨/٥٣ و بالنص فى شرح الحدود النحوية للفاكهى ٣٧/٦١ و أوضح المسالك١١/١ و ثمة تفصيل حول دلالة المفيد فى المقاصد الشافية للشاطبى ٣٢/١-٣٣ وكشاف اصطلاحات الفنون ١٦١٩/٢ .

(٦أ) الحدود النحوية للأبذى ٧/٥٣ و شرحه لابن قاسم المالكى ٦/٥٢ و الفاكهى ٧٦/٤ و يسمى عند بعضهم تركيب تقييد كما فى التذييل و التكميل ٣٣/١ و يسميه ابن يعيش فى شرح المفصل ٥/١ تركيب وإفراد.

(٧) بنص ما هنا فى الحدود النحوية للأبذى ٤/٥٢ و شرحه لابن قاسم المالكى ٤/٥١ و شرح الحدود النحوية للفاكهى ٣٨/٦٣ وهمع الهوامع٣٥/١ ومعجم مصطلحات النحو و الصرف و العروض ٢٢٠ ومعجم المصطلحات النحوية الصرفية للبدى ١٩٦ .

(٧أ) الحدود للرمانى ٧٧/٧٤ ، و فى الأبذى ٣/٥١: " االكلام : ما تضمن من الكلم إسنادا مفيدا مقصودا لذاته" ، وكذلك فى شرحه لابن قاسم المالكى ٣/٥١ و التلمسانى العقبانى ٣٦٥ ، والمرادى ٢٦٨/١ ، وهو نص تعريف التسهيل كما فى المساعد ٥/١ ، والفاكهى ٦٤ .

٨- حَدُّ الكَلِمةِ : قولٌ مفْرَدٌ مُسْتَقِلٌ .

٩- حَدُّ المُفَردِ : ما لا يقصد بجزء منه الدلالة على جزء معناه ، و يقابله [٩أ] المركب [و]حد (هـ): ما يقصد بجزء منه الدلالة على جزء معناه. و للمفرد من حيث هو إطلاقات فتارة يُرَادُ به ما يقابل المثنى و المجموع ، و تارة يراد به : ما يقابل المضاف أو شبهه ، و تارة يُرادُ به : ما يُقَابِلُ الجملة ، أو شَبْهَهَا ، وتارة يُرادُ به : ما يُقَابِلُ [ل٣أ] المركب - كما مر- و يقسم ثلاثة أقسام : مركب إضافى ، ومزجى ، و إسنادى.

١٠-حَدُّ الإضافى: كُلُّ اسمين نُزِّلَ ثانيهما مَنْزِلةَ التنوين مما قبله.

١١-حَدُّ المُزجيّ : كُلُّ اسمَيْن نُزل ثانيُهَما مَنْزِلةَ تاءِ التأنيثِ مما قَبْلَها.

١٢- حَدُّ الإسْنَادِيّ : كل كلمتين أُسنِدَت إحْدَاهُمَا إلى الأخرى .

١٣- حَدُّ الاسْمِ : كلمة دلت على معنى فى نفسها غير مقترنة بزمن معين وَضْعًا.

---

(٨) انظر: رسالة فى الحدود النحوية ٣٦٥ ، وبالنص فى الحدود النحوية للأبذى ٢/٥١ ، وشرحه لابن قاسم المالكى ٢/٥٠ ، والفاكهى ٤١/٦٥ ، والتذييل ، والتكميل ٢٠/١ ، والرضى على الكافية (يوسف حسن عمر) ١٩/١ ، والمساعد ٤/١ و انظر : التعريفات ١١٨٨/٢٢٨ ، والتوقيف ٢/١٣ ومقاليد العلوم فى الحدود ، والرسوم ٤٥٠/٩٤ ، وعبادة ٢٢٠ ، واللبدى ١٩٦ .

(٩) انظر : الحدود للرمانى ١٨/٦٨ ، وعنه فيما يبدو فى رسالة فى الحدود للتلمسانى العقبانى ٣٦٧ ، واكتفى الأبذى بتعريف فى مقابل المثنى ، والمجموع٤٥/٦٧ ، وبنص ما هنا فى الحدود النحوية للفاكهى ٤٢/٦٨ ، وشرح شذور الذهب ١١ ، وبالنص فى التعريفات (المفرد)١٤٣٥/٢٨٧ ، ومقاليد العلوم فى الحدود و الرسوم (المعنى المفرد)٤٥٣/٩٤ ، وانظر : عبادة ١٩٤ .

(٩أ) انظر : الحدود للرمانى ٣٩/٧٠ ، وبالنص فى الفاكهى ٤٣/٦٩ ، وانظر : شرح شذور الذهب ١٢ ، وفى التعريفات ١٣٣٩/٢٦٩ بنص ما هنا. و انظر : اللبدى ٩٥ ، واكتفى عبادة بتعريف أقسامه ١٢٢.

(١٠) الحدود النحوية للفاكهى (على توفيق الحمد)٦٦ ، وشرح الحدود النحوية له ٤٧/٧١ . وانظر : التعريفات (المركب الإضافى) ١٣٣٩/٢٦٩ حيث اكتفى بالتمثيل عليه، وعبادة ١٢٢ ، واللبدى ٩٥ .

(١١) شرح الحدود النحوية للفاكهى ٤٨/٧١ واكتفى الجرجانى فى التعريفات (المركب)١٣٣٩/٢٦٩ بالتمثيل عليه فقط وعنه فى كشاف اصطلاحات الفنون (تركيب)٤٢٦/١ وعبادة ١٢٢ ، واللبدى ٩٥؛٢١١ ويسميه المزج ، وفى المعجم المفصل فى علوم اللغة ٥٦٧/٢ ويسميه المركب الامتزاجى أيضا.

(١٢) شرح الحدود النحوية للفاكهى ٤٩/٧٢ ، وفى الهمع ١١/١ :" والإسناد : تعليق خبر بمخبر عنه أو طلب بمطلوب منه ". و اكتفى الجرجانى فى التعريفات (المركب) ١٣٣٩/٢٦٩ بالتمثيل عليه فقط ، وفى كشاف اصطلاحات الفنون (تركيب)٤٢٦/١، وعبادة ١٢٢ ، واللبدى ٩٥ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٥٦٦/٢

(١٣) الحدود للرمانى ٧/٦٧ و رسالة فى الحدود النحوية للعقبانى ٣٦٥ و حدود النحو للأبذى ١٣/٥٥ . وشرح الحدود لابن قاسم المالكى ١١/٥٤ ، وفى شرح الحدود النحوية للفاكهى ٥٠/٧٣ بالنص. و انظر : همع الهوامع ٧/١ ، والتعريفات ١٢١/٤٠ ، ومقاليد العلوم ٤٥٦/٩٤ ، وعبادة ١٣٠ ، وصنع له اللبدى مدخلا ٢٤٠ و لم يعرفه.

١٤- حَدُّ الفعل: كَلِمَةُ دَلَّتْ على معنى فى نَفْسِها مُقْتَرِنَةً بزمنٍ مُعَيَّنٍ وَضْعًا . وهو ثلاثة أقْسام : ماض ، ومضارع ، و أمر .

١٥- حَدُّ الماضى: كَلِمةٌ دَلَّت وضعا على حدث، وزمان انقضى .

١٦- حَدُّ المضارع: كَلِمَةُ دُلَّتْ وُضْعًا عَلَى حَدَث، وَزَمَانٍ غَيْرِ منقض حاضرًا كان أو مُستَقبلاً.

١٧-حَدُّ الأمر: كَلمةُ دَلَّت عَلَى الطَّلَب بذاتها مع قَبُولِ ياء المُخَاطبَة أوْ نُونِ التَّوكيدِ.

١٨- حَدُّ الحَرْفِ: كَلِمَةُ دَلَّتْ علِى مَعْنًى فى غَيْرِهَا فَقَط.

١٩- حَدُّ التَّثْنِيَة: جَعْلُ الاسْم القابِل للتَّثْنِيَة دَليلَ اثنين مُتَّفقَين لَفظًا ومَعْنًى : بِزَيادَةٍ فى آخِرِه يليها نُون مَكْسَورَة [ل٣ب].

٢٠-حَدُّ المُثنى: مَا دَلَّ عَلَى اثْنَين بِزَيادةٍ فى آخِرِه صالحا للتجْرِيْدِ وُعطِفَ مثِلهُ عَلَيْه دُوَن اختلاف مَعْنًى.

---

(١٤) الحدود للرمانى ٦٧/٨ و رسالة فى الحدود النحوية للعقبانى ٣٦٦ ، والأبذى ١٤/٥٥ ، وابن قاسم المالكى ١٢/٥٤ ، وشرح حدود الفاكهى ٥١/٧٧ ، وتعليقة أبى الأسود الدؤلى ٤٥٩ ، وانظر : الهمع ٧/١ ، والتعريفات ١٠٩٥/٢١٥ ، ومقاليد العلوم ٥٣٢/١٠١ ، وعبادة ١٩٦ ، واللبدى ١٧٤ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٥٢/١ .

(١٥)انظر : رسالة فى الحدود النحوية للعقبانى ٣٦٦ ، والأبذى ١٩/٥٦ ، وابن قاسم المالكى ١٧/٥٧ ، والفاكهى ٥٢/٧٩ ، وانظر : أوضح المسالك ٢١/١ ، وانظر : مفاتيح العلوم ٤٩ ، والتعريفات ١٢٤٢/٢٥٠ ، وعبادة ٢٠٠ ، واللبدى ٢١١ .

(١٦) جعله العقبانى ٣٦ قسمين هما : الفعل الحاضر ، والفعل المستقبل ، والأبذى ٢١/٥٧، وابن قاسم المالكى ١٨/٥٨ ، والفاكهى ٥٣/٨٠ ، وانظر : التبصرة للصيمرى ٩٠/١ ، ويسمسه فى المفاتيح ٥٠ المستقبل ، وفعل ما أنت فيه! و التعريفات ٢٧٨ /١٣٨٨ ، وعبادة ١٩٨ ، واللبدى ١٣٣ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٥٤/١ ، ويضيف تسميته بالفعل الحال.

(١٧)انظر : العقبانى ٣٦٦ والأبذى ٢٠/٥٦ ، وابن قاسم المالكى ١٩/٥٨ ، والفاكهى ٥٦/٨١ ، والتبصرة للصيمرى ٩٠/١ ، ومفاتيح العلوم ٥٠ ، والتعريفات ٢١٢/٥٣ ، ومقاليد العلوم ٥٣٣/١٠١ ، وعبادة ٢٠١ ، واللبدى ١٢ ، والمعجم المفصل فى علوم العربية ٤٥٣/١ .

(١٨) الحدود للرمانى ٩/٦٧، والعقبانى ٣٦٦ ، والأبذى ١٥/٥٥ ، وابن قاسم ١٣/٥٥ والفاكهى ٥٧/٨٢ ، وتعليقة أبى الأسود ٤٥٩ . والمصطلحات فى معانى القرآن للفراء ٣١ وانظر : التعريفات ٥٥٥/١١٤ ، ومقاليد العلوم ٥٤١/١٠٢ . وعبادة ٨٨ . واللبدى ٦٢ والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٢٦٧/١ .

(١٩) الحدود للرمانى ٢٠/٦٨ . ورسالة التلمسانى ٣٦٨ والأبذى ٥٢/٧٠ . وابن قاسم المالكى ٤٣/٨٥ . والفاكهى ٥٨/٨٤ . وأوضح المسالك ٣٦/١ ، وارتشاف الضرب ٥٤٩/٢ . وانظر : علل التثنية ٤٧ . وعبادة ٦٥ ، واللبدى ٣٩ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ١٥٠/١ .

(٢٠)الأبذى ٥٣/٧٠ ، وابن قاسم المالكى ٤٤/٨٥ ، والفاكهى ٦٦/٨٨ . وانظر : مقاليد العلوم ٥٢٠/٨٦ . والتعريفات ٢١٣ وكشاف اصطلاحات الفنون ٢٥٧/١ . والمساعد ٣٨/١ . وجنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين ٦ .

٢١- حَدُّ الجَمْعِ : الاسمُ الموضوع للآحادِ المجتمعةِ دَالاًّ عليها دلالةَ تَكرارِ الوَاحِدِ [بالعطف](*).

٢٢- حَدُّ اسْمِ الجَمْعِ : الاسْمُ المْوضُوعُ لمجموعِ الآحادِ دَالاًّ عليها دلالةَ المُفْرَدِ على جُمْلَةِ أجزاءِ مُسَمَّاه.

٢٣-حَدُّ اسم الجنس : الاسم الموضوع للحقيقة ملغى فيه اعتبار الفردية .

و الجمعُ قسْمَانِ : صَحِيحُ ومَكَسَّرَ لمُذكَّرٍ أوْ لمُؤنَّثٍ.

٢٤- حَدُّ جَمْعِ المُذكَّرِ السَّالِمِ : مَا دَلَّ على أكثَرِ مِنْ اثْنَيْنِ بزِيَادَةٍ فى آخره مع سَلامةِ بنَاءِ وَاحِدِهِ.

٢٥- حَدُّ جَمْعِ المُؤنَّثِ : مَا جُمِعَ بألفٍ وتَاءٍ مَزِيدتيْنِ.

٢٦- حَدُّ جَمْعِ التَّكْسِيرِ : مَا تَغَيَّرَ فيه بِنَاءُ واحِدِهِ بزِيَادَة ، أوْ نَقْصٍ، أوْ تَبَديلٍ؛ لِغَيْرِ إعْلالٍ .

---

(٢١) الحدود للرماني ٦٨/ ٢١ ، والعقباني ٣٦٨ ، والأبذي ٤٦/٦٧ ، والفاكهي ٦١/٨٩ انظر : مقاليد العلوم (مجموع) ٥٢١/٨٦ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٣٣١/١ . وشرح الكافية الشافية ١٩١/١ ، وعنقود الزواهر فى الصرف ٢٠٧ ، وعبادة ٧٦ ، واللبدى ٤٩، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٢٢٧/١ .

(*) زيادة من شرح الحدود النحوية للفاكهي ٦١/٨٩ .

(٢٢) شرح الحدود النحوية للفاكهي ٦٢/٩٠ ، وشرح الرضى على الكافية ٣٦٧/٣ وعبادة ١٣٤ ، واللبدى ٥٢ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٧/١ ، وشرح الشافية ٢٠٢/٢ .

(٢٣) بالنص فى شرح الحدود النحوية للفاكهي ٦٣/٩١ وشرح الشافية ١٩٣/٢ ، وشرح الرضى على الكافية ٣٦٧/٣ ، وانظر : التعريفات ١٣٣/٤١ التعريفات ، والاصطلاحات لابن كمال باشا ١٠١/٨٢، وعبادة ١٥٧. واللبدى ٥٢ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٧/١ .

(٢٤) انظر : رسالة فى الحدود النحوية للعقباني ٣٦٨ ، والأبذي ٤٩/٦٨ ، والفاكهي ٦٤/٩٢ ، وابن قاسم المالكى ٤١/٨٢ ، وشرح الكافية ١٩١/١ ، والمساعد ٤٤/١ ، وأوضح المسالك ٣٦/١ ، وانظر : مقاليد العلوم ٥٢٤/١٠٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٣٣٣/١ . والتعريفات ٥٠٤/١٠٦ ، وابن كمال باشا ٤٢٣/١٦٢ وعبادة ٧٨ ، واللبدى ٥٠ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٢٣١/١ .

(٢٥) انظر : رسالة فى الحدود النحوية للعقباني ٣٦٨ ، وبالنص فى الأبذي ٤٨/٦٨ ، وابن قاسم المالكى ٤٠/٨١ . والفاكهي ٦٥/٩٢ . وانظر : التعريفات ٥٠٦/١٠٦. وابن كمال باشا ٤٢٥/١٦٢ ، والتوطئة ١٥ والإرشاد للكيشى ٩٧ . والتبصرة ٨٧/١ . والمقتصد ٢٠٣/١ ، والمرادى ٣٣٩/١ ، والرضى ٣٨٧/٣ ، وعبادة ٧٦ . واللبدى ٤٩ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٢٠٣/١ .

(٢٦) رسالة فى الحدود النحوية للعقباني ٣٦٨ ، والأبذي ٤٧/٦٨ . وابن قاسم ٣٩/٨١ ، والفاكهي ٦٦/٩٣ ومقاليد العلوم ٥٢٣/١٠٠ ، والتعريفات ٥٠٥/١٠٦ ، والتبصرة ٦٤٠/٢ ، وشرح المقدمة الجزولية ١١٠٩/٣. والمقتصد ١٩٢/١ ، والمرادى ١٣٧٧/٣، والرضى ٣٦٩/٣ . وابن كمال باشا ٤٢٥/١٦٢ ، وعبادة ٧٦ ، واللبدى ٥١ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٢٢٨/١ .

٢٧-حَدُّ المَقْصُورِ: كُلُّ اسْمٍ مُعْرَبٍ آخِرُه أَلِفٌ لازِمَة قَبْلَهَا فَتْحَةٌ.

٢٨- حَدُّ المَمْدُودِ: كُلُّ اسْمٍ مُعْرَبٍ آخِرُه هَمْزَةٌ بَعْدَ أَلِفٍ زَائِدَةٍ. [ل٤أ].

٢٩- حَدُّ المَنْقُوصِ: كُلُّ اسْمٍ مُعْرَبٍ آخِرُهُ ياءٌ لازِمَ.

٣٠- حَدُّ المُنْصَرِفِ: كُلُّ اسمٍ مُعْرَبٍ سلم من مُشَابَهَةِ الحرف.

٣١- حَدُّ مَا لا يَنْصَرِفُ: كُلُّ اسم مُعْرَبٍ شَابَهُ الفعل بوجود علتين فرعيتين مختلفتين [فيه] (*) من علل تسع ، أو واحدة تقوم مَقَامَهُمَا ، ويجمعهما قوله(**): [من البسيط].

*اجْمَعْ وَزِنْ عَادلاً أنِّث بمعرفة

رَكِّب وزد عجمة فالوصف قد كملا(***)

و المراد بالجمع هنا: صيغة منتهى الجموع؛ أي: ما كان أوله حرفا مفتوحا ؛ أي

---

(٢٧) الحدود للرمانى ٧١/٥٢ ، والعقبانى ٣٦٧ ، والفاكهى ٦٧/٩٤ ، وشرح الشافية ٣٢٤/٢ ، ومقاليد العلوم ٥٧٤/١٠٥ ، والتوقيف (حمدان) ٥١ ، والتعريفات (الأسماء المقصورة) ١٢٤/٤٠ ، وابن كمال باشا ١٠٣/٨٢ ، وانظر : المقصور ، والممدود للقالى ١٣ ، ولابن ولاد ٤١ ، وعبادة ١٥٨ ، واللبدى ١٨٨ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦١٢/٢ .

(٢٨) الحدود للرمانى ٧١/٥١ ، والفاكهى ٦٧/٩٤ ، وفى الحدود النحوية للعقبانى ٣٦٧ سكوت عنه بما يشعر باجتماع المقصور ، والممدود فى تعريف واحد ، وشرح الشافية ٣٢٤/٢ ومقاليد العلوم ٥٧٥/١٠٥ ، وانظر: المقصور ، والممدود للقالى ٣٠٧-٣٠٩ ، وابن ولاد ٤١ ، وعبادة ١٣٢ ، واللبدى ٢١٠ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٥٢٦/٢ .

(٢٩) رسالة فى الحدود النحوية للعقبانى ٣٦٧ ، والفاكهى ٦٩/٩٦ ، والتوقيف (حمدان)٥١ ، والتعريفات (الأسماء المنقوصة) ١٢٥/٤٠ ، وابن كمال باشا ١٠٤/٨٢ ، وعبادة ١٥٨ ، واللبدى ٢٢٨ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٣١/٢ .

(٣٠) انظر : ما ينصرف و ما لا ينصرف للزجاج ١ و بالنص فى شرح الحدود النحوية للفاكهى ٧٠/٩٦ ، وفى رسالة الحدود النحوية للعقبانى ٣٦٧ ، والإيضاح فى شرح المفصل ١٢٤/١ ، وانظر : التعريفات للجرجانى ١٤٩٧/٢٩٩ ، وعنه فى ابن كمال باشا ١٤٤٥/٤٢١ وكشاف اصطلاحات الفنون ٢٤١/٤ ، والكليات ٨٢٢ ، والتوقيف ٣١٦ ودستور العلماء ٣٤٩/٣ ، وعبادة ١٨١ ، واللبدى ١٢٦ ، ومعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٢٨/٢ .

(٣١) انظر : ما ينصرف ، وما لا ينصرف ، للزجاج ٢ ، والحدود النحوية وللأبذى ٥٥/٧٣ ، وشرحه لابن قاسم المالكى ٤٦/٨٨ ، ورسالة العقبانى ٣٦٧ ، وشرح الحدود النحوية للفاكهى ٧١/٩٦ والإيضاح لابن الحاجب ١٢٥/١ ، وانظر : مقاليد العلوم فى الحدود ، والرسوم ٤٦٠/٩٥ ، وابن كمال باشا ٩٩١/٣٠٢ ، والتعريفات ١٦٩ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢٤١/٤ ، والتوقيف ٢٥٤ ، ودستور العلماء ٣٤٩/٣ ، وعبادة ٢٢٥ ،٢٧٢ ، واللبدى ٢١٤ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٣١/٢ .

(*) زيادة من شرح الحدود النحوية للفاكهى٩٦ .

(**) فى المخطوطة:قولك وهو تحريف.

(***) البيت لابن النحاس فى شرح حدود الفاكهى ص٩٧ ومصادر أخرى كثيرة هناك و لا وجود له فى كتابه :التفاحة فى النحو!

حرف كان ، و ثالثه ألفا غير عوض ، يليها كسر أصلى و لو مقدرا، وبعدها حرفان أو ثلاثة وسطها ساكن : كدراهم ، و دنانير ، و دوابّ. و بالعدل خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى مع اتحاد المعنى بغير إلحاق و لا إعلال . و بالعجمة كون الكلمة من أوضاع غير العرب ، ثم تنقل بعد وضعها فى أول [ل٤ب] أحوالها علما إلى لسان العرب ، وبالوصف / كونها دالةً على ذات مُبْهَمةٍ باعتبار معنًى هو مقصود بالوضع.

٣٢- حَدُّ النَّكِرة : ما شاع فى جنسٍ موجودٍ فى الخارج تعدّده ، أو مقدرٍ وجودُ تعدده فيه.

٣٣- حَدُّ المَعرفَةِ: مَا وَضِعَ لُيُستَعْمَلَ في مُعَيَّن . وهى ستة أقسام : الضَّمِير ، فالعَلَم، فاسم الإشارة ، فالموصُول ، فالمعرَّف بالأداة ، فالمُضَاف إلى واحدٍ منها .

٣٤- حَدُّ الضَّمِير : مَا دُلَّ وَضْعًا على مُتَكَلِّمٍ ، أو مُخَاطَبٍ ، أو غائبٍ .

وهو قسمان : مُستَتِرُ ، وَبارِزُ.

٣٥-حَدُّ المُستُتِر : مَا لا صُوُرة له فى اللفظِ(*) وهو قسمان : مُستَتِرٍ وُجُوبًا ، ومُستَتَرُ جَوُازٌ.

٣٦-حَدُّ المُستُتِرِ وُجُوبًا : مَا لا يَخْلَفُه (**) ظاهِرُ ، و لا ضَمير مُنفَصِلُ.

---

(٣٢) الحدود للرمانى ٦٨/١٧ ، ورسالة فى الحدود النحوية للعقبانى ٣٦٧ و شرح الحدود النحوية للفاكهى ١٠٢/٧٦ و انظر : همع الهوامع ١٨٨/١ و مقاليد العلوم ٥١٤/١٠٠ والتعريفات للجرجانى ١٥٧١/٣١٦ وابن كمال باشا ١٥٣١/٤٤٤ و الكليات ٩٨٤ ودستور العلماء ٤٢٠/٣ وعبادة ٢٤١ و اللبدى ٢٣١ والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٥٦/٢ .

(٣٣) الحدود للرمانى ٦٨/١٦ و رسالة فى الحدود للعقبانى ٣٦٧-٣٦٨ و شرح الحدود للفاكهى ١٠٣/٧٧ والإيضاح لابن الحاجب ٦٧/١ و مقاليد العلوم ٥١٣/١٠٠ و التعريفات ١٤١٣/٢٨٣ و ابن كمال باشا ١٣٦٨/٤٠١ و الكليات ٨٤٢، ٨٦٨، ٨٩٥ و الحدود الأنيقة ٦٧ و التوقيف ٣١٠ و دستور العلماء ٢١٥/٣ وكشاف اصطلاحات الفنون ١٥٨٢/٣ و عبادة ٢١٠ واللبدى ١٥٢ و المعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٠٢/٢.

(٣٤) فى شرح الحدود النحوية للفاكهى ١٠٨/٧٨ بالنص و فى العقبانى ٣٦٥ و يسميه الاسم المضمر، والمكنى. والإيضاح شرح المفصل ٤٥٩/١ والهمع ١٩٤/١ وانظر: التعريفات ١٣٩٣/٢٧٩ وابن كمال باشا ٣٩٤ /١٣٤١ ومقاليد العلوم ٥٠٤/٩٩ وعبادة ١٦٠ وفى اللبدى ١٣٤ أنه (أى الضمير) مصطلح بصرى يرادف الكناية عند الكوفيين و انظر: المعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٨١/١ .

(٣٥) بالنص فى شرح الحدود النحوية للفاكهى ٧٩/١١٠ ، وانظر : شرح حدود النحو لابن قاسم المالكى ٥٨/١٠٢ ، وانظر : عبادة ١٦٠ ، واللبدى ١٣٥ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٨٣/١ .

(٣٦) الفاكهى ٨٠/١١٠ ، وانظر: شرح حدود النحو لابن قاسم المالكى ٥٨/١٠٢ ، والرضى ٤٣٦/٢ ، وارتشاف الضرب ٩١١/٢ ، والمساعد ٨١/١ ، وانظر: عبادة ١٦٠، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٨٣/١ .

(*) في الفاكهى زيادة بعده، هى [بل ينوي] ٧٩/١١٠.

(**) في الفاكهي زيادة بعدها، هي: [اسم] ٨٠/١١٠.

٣٧- حَدُّ المُستَتِرِ جوازًا: ما يَخلُفُهُ ذلك [أى: الظاهر أو الضمير المنفصل][*].

٣٨ - حَدُّ البَارِزِ: ما له صورة فى اللفظ . وهو قسمان: مُتَّصِلٌ ومُنفَصِلٌ.

٣٩- حَدُّ المُتَّصِلَ: ما لا يُبتَدأ به ، و لا يقع بعد : " إلا " اختيارا .

٤٠- حَدُّ المُنفصل: ما يُبتَدأ به ، و يقع بعدها (١) اختيارا/ [ل٥أ].

٤١- حَدُّ العَلَمِ: مَا وُضِعَ لِمُعَيَّنٍ لا يَتَناوَلُ غَيْرَه . وهو قسمان: شَخْصِيٌّ ، وجِنسِيٌّ.

٤٢- حَدُّ الشَّخصِيِّ: ما وُضِعَ لشَئ مُعَيَّنٍ فى الخارج لا يَتَناوَلُ غَيْرَه مِن حَيثُ الوَضعَ لهَ . وهو أربعة أقسام: مُرتَجلٌ، وَمَنقُولٌ، وَلَقَبٌ، وكُنيةٌ.

٤٣- حَدُّ المُرتَجَلِ: ما استُعمِل فى أول الأمر عَلَمًا .

٤٤-حَدُّ المَنقُولُ: ما استعمل قبل العَلَميَّة فى غيرها .

٤٥- حَدُّ اللَّقَبِ: ما أشعر برفعة المسمى أو بضعته.

٤٦- حَدُّ الكُنيَة: ما صُدِّرت بأبٍ أو بأم مضافين.

(٣٧) الفاكهى ٨٢/١١١، وانظر: ابن قاسم المالكى٥٨/١٠٢ ، وانظر: أوضح المسالك ٦٣/١ وشرح الكافية الشافية ٢٢٧/١ ، وانظر: عبادة ١٦٠ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٨٣/١ .

(٣٨) الفاكهى ٨٣/١١١ ، وانظر: الهمع ١٩٤/١ ، وانظر : عبادة ١٦٠ ، واللبدى ١٣٥ والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٨٢/١ .

(٣٩) الفاكهى ٨٤/١١١ ، والهمع ١٩٤/١ والإيضاح شرح المفصل ٤٥٩/١ والتعريفات١٣٩٣/٢٧٩ ومقاليد العلوم ٥٠٥/٩٩ ، وابن كمال باشا ١٣٤٢/٣٩٤ وعبادة ١٨٨ ، واللبدى ١٨٤ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٨٢/١ .

(٤٠) الفاكهى ٨٥/١١٢ ، والهمع ١٩٤/١ والإيضاح شرح المفصل ٤٥٩/١ ، والتعريفات ١٣٩٣/٢٧٩ ومقاليد العلوم ٥٠٦/٩٩ ، وابن كمال باشا ١٣٤٢/٣٩٤ ، وعبادة ١٨٨، واللبدى ١٨٤ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٨٢/١ .

(٤١) فى الفاكهى ٨٦/١١٢ ، والهمع ٢٤٣/١ بالنص وانظر: مقاليد العلوم ٥١٤/١٠٠ مع حاشيته ، وعبادة ١٨٦ ، واللبدى ١٥٨ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٢٢/١ .

(٤٢) الفاكهى ٨٧/١١٢ ، والهمع ٢٤٥/١ ، وانظر: ارتشاف الضرب ٩٦٩/٢ ، وعبادة ١٨٧ ، واللبدى ١٥٨ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٣٦/١ .

(٤٣) الفاكهى ٨٨/١١٣ ، والإيضاح فى شرح المفصل ٧٢/١-٧٨ ، والهمع ٢٤٨/١ ، وانظر: التعريفات ١٣٣١/٢٦٨ ، وابن كمال ١٢٨٩/٣٨١ ، والكليات ٨٦٦ ، وعبادة ٢١٨ ، واللبدى ٩٣ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٣٠/١ .

(٤٤) الفاكهى ٨٩/١١٤ ، والهمع ٢٤٧/١ ، وانظر : التعريفات ١٥٠٧/٣٠٢ ، وابن كمال باشا ١٤٥٤/٤٢٤ .

(٤٥) الفاكهى ٢١٠/١١٥ ، والهمع ٢٤٦/١ ، وانظر : التعريفات ١٢٢٩/٢٤٧ ، وابن كمال باشا ١١٨٥/٣٥٣ .

(٤٦) الفاكهى ٩١/١١٦ ، والهمع ٢٤٦/١ ، وانظر : التعريفات ١١٩٧/٢٤١ ، وابن كمال باشا ١١٤٥/٣٤٢ ، وعبادة ٢٦٢ ، واللبدى ١٩٧.

٤٧- حَدُّ الجنسى: ما وَضعَ لشئٍ مُعَيَّنٍ فى الذِّهن ؛ أى : ملاحظ الوجود فيه.

٤٨- حَدُّ اسم الإشَارَة: اسم مُظْهَرٌ دَالٌّ بإيماءٍ على حاضرٍ ، أو ما نَزَلَ مَنْزِلَتَهُ.

٤٩- حَدُّ المَوصُول الاسْمِيِّ: ما افْتَقَرَ إلى الوصل بجملةٍ خبريَّةٍ معهودةٍ ، أو ظَرْفٍ ، أو [جارو](*) مَجْرُورٍ تامَّين، أو بوصفٍ صريحٍ ، وإلى عائدٍ أو خلفه.

٥٠-حَدُّ المَوصُولِ الحرفيِّ: وما أوِّلَ مع صِلَتِهِ بالمَصْدَرِ، ولم يَحْتَجْ إلى عائدٍ .

٥١- حَدُّ الإعْرَابِ: أَثَرٌ ظاهِرٌ [أو مُقدَّرٌ](**) يَجْلبُه العَامِلُ فى آخِرِ الكَلمةِ حَقيقةً [ل٥ب] أو مَجَازًا.

٥٢-حَدُّ البناء: مَا جئَ به لا لبَيَان مُقْتَضَى العَامِلِ من شَبَهِ الإعْرَابِ ، وَلَيْسَ هُوَ حِكَايَةً ، أو إتْبَاعًا، أو نَقْلاً ، أو تَخَلُّصًا من سُكُونَيْنَ.

٥٣-حَدُّ المَبْنِى: ما شَابَهَ الحرفَ شَبَهًا قَوِيًا يُدْنِيهِ مِنْهُ فى وَضْعِهِ ، أو مَعْنَاهُ، أو استِعْمَالِهِ ، أو افْتِقَارِه، أو إهْمَالِهِ ، أو لَفْظِهِ.

٥٤-حَدُّ الشَّبَهِ الوَضْعِىِّ: أنْ يَكونَ الاسْمَ مَوضُوعًا فى الأصْلِ عَلَى حَرْفٍ، أو حَرْفَيْنِ.

---

(٤٧) الفاكهى ٩٢/١١٧ ، وارتشاف الضرب ٩٦٩/٢ ، والتعريفات ١٦٢ ، وابن كمال باشا ٩٤٩/٢٩٢ ، والكليات ٨٧ ، والتوقيف ٢٤٦ ، وعبادة ٢١٩ ، واللبدى ٥٥ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٢٥/١ .

(٤٨) الفاكهى ٩٣/١١٧ ، وانظر : العقبانى (المبهم) ٣٦٦ ، وابن قاسم المالكى ١٦/٥٦، والهمع ٢٥٧/١ ، والتعريفات ١٢٨/٤٠ ، وابن كمال باشا ١١٤/٨٤، وعبادة ١٦٣، واللبدى (المبهم)٢٩، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦١/١ .

(٤٩) انظر: الأبذى ٧٢/٨٣ ، وابن قاسم المالكى ٥٩/١٠٣ ، والفاكهى٩٤/١١٨ ، والرضى على الكافية ٩/٣ ، وارتشاف الضرب ٩٩١/٢ ، والمساعد ١٣٦/١ ، وانظر: عبادة ٣٠٦، واللبدى ٢٤٣ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٣٧/٢ .

(٥٠) الأبذى ٧٣/٨٣ ، وابن قاسم المالكى ٦٠/١٠٤ ، والفاكهى ٩٥/١٢٠، وارتشاف الضرب ٩٩١/٢ ، والمساعد ١٣٧/١ ، والتوطئة ١٦٩ ، وانظر: عبادة ٣٠٥ ، واللبدى ٢٤٣ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٣٧/٢ .

(*) زيادة من الفاكهى ١١٨ ، يستقيم بها الكلام .

(٥١) الأبذى ٢٩/٦١ ، وابن قاسم المالكى ٢٧/٧٠ ، والفاكهى ٩٦/١٢١ ، والتسهيل ٧ ، والمساعد ١٩/١ ، والحدود النحوية للتلمسانى ٣٦٦ ، والرمانى ١٠/٦٧ ، والتعريفات ٣١ ، والمقاليد ٤٥٨/٩٤ ، وعبادة ٢٠٧ ، واللبدى ١٤٩ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٧٥/١ .

(٥٢) الرمانى ١١/٦٧ ، والأبذى ٣٢/٦٢ ، وابن قاسم المالكى ٢٨/٧٢ وهى جميعا تعرفه كما هنا لفظا ، والتلمسانى ٣٦٦ ، وقد عرفه معنى ، وانظر: الرضى على الكافية ٣٩٧/٢ ، والتوطئة ١١٦ ، وعبادة ٥١ ، واللبدى ٢٦ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ١٣١/١ .

(٥٣) الفاكهى ١٠٠/١٢٥ ، والتلمسانى ٣٦٧ ، وانظر: شرح الكافية لابن مالك ٢١٦/١ ، والرضى على الكافية ٣٩٩/٢ ، وعبادة ٥١ ، واللبدى ٢٧ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ١٣١/١ .

(٥٤) الفاكهى ١٠١/١٣٦ ، وتوضيح المقاصد ، والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى ٢٩٩/١ ، وحاشية الصبان على الأشمونى ٥١/١، واللبدى ١١٠ ، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٤٩/١ .

(**) زيادة من الفاكهى ١٢١ يستقيم بها الكلام.

٥٥-حَدُّ [الشَّبَهُ] المَعْنَوىّ: أنْ يَتَضَمَّنَ الاسْمُ مَعْنًى مِنْ مَعَانى الحُرُوفِ ، وإنْ لَمْ يُوْضَعْ لذلِكَ المَعْنَى حَرْفٌ.

٥٦- حَدُّ [الشَّبَه] الاستِعْمَالىّ: أنْ يَكُونَ الاسْمُ نَائِبًا عَنْ الفِعْلِ ، ولا يَتَأثَّر بالعَامِلِ.

٥٧- حَدُّ [الشَّبَه] الافتِقَارِىّ: أنْ يَكُونَ الاسْمُ لازِمَ الافتقارِ إلى جُمْلَةٍ يَتِمُّ بهَا مَعْنَاهُ.

٥٨- حَدُّ [الشَّبَه] الإهْمَالِىّ: أنْ يَكُونَ الاسْمُ مُشْبِهًا للحَرْفِ فى كَوْنِ [هـ] غَيْرَعَامِلٍ، وغَيْرَ مَعْمُولٍ.

٥٩- حَدُّ [الشَّبَهُ] اللَّفْظِىّ: أنْ يَكُونَ الاسْمُ مُشْبِهًا للحرفِ فى لَفْظِهِ .

٦٠-حَدُّ المُعْرَبِ: مَا سَلِمَ مِنْ مُشَابَهَةِ الحَرْفِ.

٦١-حَدُّ العَامِلِ: مَا أثَّرَ فِى آخِرِ الكَلِمَةِ مِنْ اسْمٍ، أو فِعْلٍ، أو حَرْفٍ [ل٦أ] والفِعْلُ ثَلاثَةُ أقْسَام : لازِمٌ، ومُتَعَدٍّ، وَوَاسِطَةٌ (*).

٦٢-حَدُّ اللاَّزِم: مَا لا مَفْعُولَ [به](**) له ، أو له بواسطة فَقَطْ.

(٥٥) الفاكهى ١٠٢/١٢٧ ، والمرادى ٢٩٩/١ وحاشية الصبان على الأشمونى ٥٢/١ ، واللبدى ١١٠، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٤٩/١ .

(٥٦) الفاكهى ١٠٣/١٢٨، والمرادى ٣٠٠/١ وحاشية الصبان على الأشمونى ٢٥/١ ، واللبدى ١١٠، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٤٦/١ .

(٥٧) الفاكهى ١٠٤/١٢٩، والمرادى ٣٠١/١ وحاشية الصبان على الأشمونى ٥٤/١، واللبدى ١١٠، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٤٦/١ .

(٥٨) الفاكهى ١٠٥/١٣٠، والمرادى ٣٠١/١، واللبدى ١١٠، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٤٧/١ .

(٥٩) الفاكهى ١٠٦/١٣١، وانظر المرادى ٣٠٠/١ وحاشية الصبان على الأشمونى ٥٣/١، وانظر: اللبدى ٤٨ حيث يجعل الشبه اللفظى مرادفا للشبه الجُمودىّ .

(٦٠) انظر : الرمانى ٣٦/٦٩، وبالنص فى الفاكهى ١٠٧/١٣٢، والمرادى ٣٠١/١، والعقبانى ٣٦٦، وانظر : حاشية الصبان على الأشمونى ٥٧/١، ومقاليد العلوم ٤٥٧/٩٤، وانظر: عبادة ١٧٩، واللبدى ١٥٠، والمعجم الوافى فى النحو، والصرف، والإعراب ٣٢٧/٢، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٠٠/٢ .

(٦١) العقبانى ٣٦٦، والفاكهى ١٠٨/١٣٢، والعوامل المئة النحوية للجرجانى ٧٣، والتعريفات ٩٤٤/١٨٩، والمقاليد ٤٥٩/٩٥، وابن كمال باشا ٢٤٧/ ٨٧، وعبادة ١٨٩، واللبدى ١٦٠، والمعجم الوافى ٤٦/٢، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٩٩/١ ، والمعجم الوافى فى النحو والصرف والإعراب ٤٦/٢ .

(٦٢) الرمانى ٧٠/٧٣، والفاكهى ١٠٩/١٣٣، والمرادى٦٢٠/٢، وانظر: التعريفات ١٢٠٦/٢٤٤ ومقاليد العلوم ٥٦٥/١٠٥، وابن كمال باشا ١١٦١/٣٤٧، وانظر: عبادة ١٩٩، واللبدى ٢٠٢، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٥٦/١، والمعجم الوافى فى النحو والصرف، والإعراب ١٣٩/٢ .

(*) يعرفه الفاكهى فى شرحه على الحدود النحوية ١٣٣ : و الواسطة ، لا يلزم و لا تعد ، وهو الناقص ككان ، وكاد ، وأخواتهما"! و انظر: عبادة (الفعل الواسطة) ٢٠١ .

(**) زيادة من الفاكهى ١٣٣ .

٦٣- حَدُّ المُتَعدِّى: مَا لَهُ مَفْعُولٌ به بَغيرِهَا(*) وعُومِلَ مُعَامَلَتَهُ فى(**) الأسْمَاءِ عَشَرَةٌ: اسمُ الفِعْلِ، والمَصْدَرُ، واسْمُهُ، واسمُ الفَاعِلِ ، والمِثَالُ (***) واسْمُ المَفْعُول، والصِفَةُ المُشْبِهَةُ، واسْمُ التَّفْضِيلِ، والظَّرفُ ،والجَارُ والمجرورُ المُعْتمِدَان(****).

٦٤- حَدُّ اسْمَ الفِعْلِ: مـا نَابَ عَنْ الفِعْلِ ، ولَيْسَ فَضْلَةً ، ولا مُتَأثِّرًا بِعَامِلٍ وهُوَ قِسْمَانِ : مُرتَجلٌ ومَنْقولٌ.

٦٥- حَدُّ المُرْتَجَلِ : مَا وُضِعَ فى أوَلِ الأمْرِ اسْمًا للفِعْلِ.

٦٦- حَدُّ المَنْقُولِ : مَا وُضِعَ لِغَيْرِهِ ، ثُم نُقِلَ [إليْه].

٦٧ - حَدُّ المَصْدَرِ : اسْمٌ دَالٌّ بالأصَالَةِ عَلَى مَعْنًى قَائِمٍ بِفَاعِلٍ ، أو صَادِرٍ عنه. إمَا حقِيقَة ، أو مَجَازًا، أو وَاقِعٍ على مَفْعُولٍ.

٦٨-حَدُّ اسْمِهِ: مَا سَاوَى المَصْدَرَ فى الدَّلالَةِ ، وخَالَفَهُ بِعلميَّةٍ ، أو بخُلُوِّهِ لَفظًا، أو تَقْديرًا دون عِوضٍ مِنْ بَعْضِ ما فِى فِعْلِهِ [ل٦ب].

---

(٦٣) الفاكهى ١١٠/١٣٤ ، والمرادى ٦٢٠/٢ والإيضاح شرح المفصل ٢٤٤/١ ، وانظر مقاليد العلوم ٥٦٥/١٠٥ والتعريفات ١٢٦٢/٢٥٤ وابن كمال باشا ١٣٢٠/٣٦٤ ، وانظر عبادة ٢٠٦، واللبدى ١٤٦، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٥٧/١، والمعجم الوافى فى النحو والصرف والإعراب ١٣٤/٢ .

(*) يقصد بغيرها؛ أى بغير الواسطة ، فيكون مرجع الضمير : "ها" عائدا على كلمة بواسطة فى الحد أو التعريف السابق .

(**) فى الفاكهى ١٣٤"من" بدلا من " فى" وهو الأقرب للصواب.

(***) يقصد بالمثال هنا: صيغة المبالغة ، وهو المستفاد من شرح الفاكهى١٣٧ .

(****) يقصد بالمعتمدين ، سبقهما بنفى أو استفهام و غيرهما كما فى الفاكهى ١٣٧ .

(٦٤) الرمانى ٧/٦٧، والفاكهى ١١١/١٣٨، وانظر: المرادى ٢٩٤/١، والهمع ١١٩/٥، وانظر: مقاليد العلوم ٥٠٩/٩٩، والتعريفات ١٢٢/٤٠، وابن كمال باشا ١٠٧/٨٣، وعبادة ١٦٠، واللبدى ٧٥، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٥٠/١، والمعجم الوافى فى النحو ، والصرف و الإعراب ٩١/١ .

(٦٥) الفاكهى ١٢٨/١١٢، والإيضاح فى شرح المفصل ٧٢/١-٧٨، وانظر: التعريفات ١٣٣١/٢٦٨، وابن كمال باشا ١٢٨٩/٣٨١، وانظر: عبادة ٢١١، واللبدى ٩٣، والمعجم المفصل ٥١/١، والمعجم الوافى فى النحو ٩١/١ .

(٦٦) الفاكهى ١٣٨/١١٣، والمزهر ٢٩٨/١، وتقريب الوصول ١٠٥، وانظر : التعريفات ١٥٠٧/٣٠٢، وابن كمال باشا ١٤٥٤/٤٢٤، وانظر: عبادة ١٣٧، واللبدى ٢٣١، والمعجم المفصل ٥١/١، والمعجم الوافى فى النحو ٩١/١ .

(٦٧) الرمانى ٣٢/٦٩ والأبذى ٧٨/٨٥، وابن قاسم المالكى ٦٣/١٠٨ والفاكهى ١١٤/١٣٩ والعقبانى ١٣٣٨/٣٦٩، وانظر: الرضى على الكافية ٣٩٩/٣ ومقاليد العلوم ٥٢٧/١٠١ والتعريفات ١٢٨٣/٢٧٧ وابن كمال ١٣٣٨/٣٣٩ وعبادة ١٥١ واللبدى ١٢٣ .

(٦٨) الفاكهى ١١٥/١٤٠، وارتشاف الضرب ٤٩٩/٢، والمرادى ٨٤٥/٢، وشرح التسهيل ١٢١/٣، واللبدى ١٢٣ ، والمعجم المفصل ٥٤/١، والمعجم الوافى ٩٦/١ .

٦٩- حَدُّ اسْمِ الفَاعِلِ: مَا اشْتُقَّ مِنْ مَصْدَرِ فِعْلٍ لِمَنْ قَامَ بِهِ عَلَى معنى الحُدُوث.

٧٠- حَدُّ المِثَالِ: مَا حُوِّلَ للمبالغةِ، والتَّكثير (*) مَن اسم فاعل إلى فَعَّالٍ، أو مِفْعَالٍ، أو فَعُولٍ، أو فَعِيلٍ، أو فَعِلٍ.

٧١- حَدُّ اسْمِ المفعولِ: ما اشْتُقَّ مِنْ مَصْدَرِ فعل لمن وَقَعَ عَليه.

٧٢- حَدُّ الصفة المُشَبَّهَة: ما اشْتُقَّ من [مصدر](**) فعلٍ لازمٍ مقصودٍ ثُبُوتِ مَعْنَاه.

٧٣- حَدُّ اسْمِ التَّفْضِيلِ: ما اشْتُقَّ مِنْ فِعْلٍ ثُلاثِي مَوْصُوفٍ بِزِيَادَةٍ عَلَى غَيْرِهِ.

٧٤- حَدُّ التَّعَجُّبُ: انْفِعَالٌ يُحْدِثُ فِى النَّفْسِ عِنْدَ الشُّعُورِ بِأَمْرٍ يُجْهَلُ سَبَبُهُ.

٧٥-حَدُّ الفَاعِلِ: ما قُدِّمَ الفعلُ التَّامُّ أو شَبَهَ عَلَيْهِ بالأصَالَةِ، وأُسْنِدَ إليه على جهة قيامه به، أو وُقُوعِهِ منه.

---

(٦٩) الفاكهى ١١٦/١٤١ والمساعد ١٨٨/٢ وارتشاف الضرب ٥٠٩/٢ والتعريفات ١٣٥/٤٢ وابن كمال ١٠٩/٨٣ ومقاليد العلوم ٥٢٨/١٠١ واللبدى ١٧٦ وعبادة ١٦١.

(٧٠) بالنص فى الفاكهى ١١٧/١٤١، وفى المساعد ١٩٣/٢ تسمى بأمثلة المبالغة، وفى كشاف اصطلاحات الفنون ١٤٤٨/٢ أن المثال: "قد يراد به الصيغة" وذكر المعجم المفصل فى علوم اللغة ٣٧٤/١ أن من أسماء صيغ المبالغة أمثلة المالبغة!

(٧١) الفاكهى ١١٨/١٤٣، وانظر: ارتشاف الضرب ٥٠٩/٢ والممتع ٤٥٤/٢، والمساعد ٢٠٨/٢والمنصف ٢٨٢/١، والتعريفات ١٣٩/٤٢ ومقاليد العلوم ٥٢٩/١٠١ وابن كمال ١١٠/٨٣، وعبادة ١٦١، واللبدى ١٧٨، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٥٥/١.

(٧٢) بالنص الفاكهى ١١٩/١٤٤، والهمع٩٢/٥ والمساعد٢/ ٢١٠ والارتشاف ٥١٠/٢ وبالنص فى مقاليد العلوم ٥٣٠/١٠١ والتعريفات والاصطلاحات ٧٨٦/٢٥٦، والتعريفات ٨٧٣/١٧٥، وعبادة ٢٠٢ واللبدى ١١٧، والمعجم المفصل فى علوم اللغة٣٦٩/١ والمعجم الوافى فى النحو والصرف والإعراب١٨/٢.

(*) فى المخطوط و التكسير بالسين وهو تحريف! و التصحيح من الفاكهى ١٤١.

(**) زيادة لازمة من الفاكهى١٤٤.

(٧٣) الفاكهى ١٢٠/١٤٤، وارتشاف الضرب ٢٣١٩/٥، والهمع ١٠٧/٥، والمساعد١٦٦/٢، والتعريفات ١٣٢/٤١ ومقاليد العلوم ٥٣١/١٠١، وابن كمال باشا ١١١/٨٣ وعبادة ١٣٦، واللبدى١٧٣، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٦/١، والمعجم الوافى فى النحو والصرف والإعراب ٣١٥/١.

(٧٤) الفاكهى ١٢١/١٤٥، والعقبانى ٢٧٠، والتعريفات ٣٨٥/٨٥، وابن كمال باشا ٢٤٠/١٣٨، وعنه فى التوقيف ١٠٠، وعبادة ١٧٥، واللبدى ١٤٣، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ١٨٥/١، والمعجم الوافى فى النحو والصرف و الإعراب ٢٩١/١.

(٧٥) العقبانى ٢٦٨، والأبذى ٥٦/٧٤، والفاكهى ١٢٢/١٤٦، وابن القاسم ٤٧/٢٦٠، وشرح الرضى ١٨٥/١، والكافية الشافية ٥٧٦/٢، والمساعد ٣٨٥/١، والمرادى ٣٨٥/٢، والتعريفات ١٠٦٦/٢١١، وابن كمال باشا ٩٩٩/٣٠٤، ومقاليد العلوم ٤٦٣/٩٥، واكتفى الخوارزمى بالتمثيل له فى المفاتيح ٤٧، وعبادة ٢٤٣، واللبدى ١٧٦، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٤٤٦/١، والمعجم الوافى فى النحو والصرف و الإعراب ٩٥/٢.

٧٦-حَدُّ نائبه: ما حُذفَ فَاعِلُهُ ، وأُقيمَ هو مَقَامَه.

٧٧-حَدُّ المُبْتَدأ: الاسْمُ المُجَرَّدَ عن عامل لَفْظِيٍّ لفظًا، أو حُكْمًا مُخْبَرًا عَنْهُ، أو وَصْفٌ عُطِفَ على اسْمٍ انْفَصَلَ، وأَغْنَى .

٧٨-حَدُّ خَبَرِه: مَا تَحْصُلُ بِهِ الفَائِدَةُ مَعَ مُبْتَدأ غيْرِ الوَصْفِ المَذْكُور.

٧٩-حَدُّ المَفْعُولِ بِهِ: مَا وَقَعَ عَلَيْه فِعْلُ الفَاعلِ، ومِنْهُ المَنْصُوبُ علَى [ل١٧أ] الاشْتِغَال ، أو عَلَى التَنَازُع أو عَلَى الاخْتِصَاصِ، أو الإغْرَاءِ، أو التَّحْذِيرِ ، أو النِّدَاءِ.

٨٠- حَدُّ الاشْتِغَالِ: أنْ يَتَقدَّمَ اسْمٌ، ويَتَأخَرَ عَنْهُ فِعْلٌ مُتَصرِّفٌ [أو وَصْفٌ صَالِحٌ للعَمَلِ](*) مَشْغُولٌ عَنْ نَصْبِهِ لفظًا، أو مَحَلاً بالنَّصَبِ لمحَلِّ ضَمِيرِهِ بوَاسِطَةٍ، أو غَيْرِهَا.

٨١- حَدُّ التَنَازُعِ: أنْ يَتَقدَّم عَامِلانِ مَذْكُورانِ فَأكْثَرَ على معمولٍ وَاحِدٍ فَأكْثَر .

٨٢- حَدُّ الاخْتِصَاصِ: حَكْمٌ عُلِّقَ بِضَميرِ مَا، تَأخَّرَ عَنْهُ(**) من اسْمٍ ظاهرٍ أو مَعرِّفٍ.

---

(٧٦) الفاكهى ١٤٧/١٢٣، وفى العقبانى ٣٦٩ "حد ما لم يسم فاعله" وانظر: الأبذى ٥٦/٧٤، وابن قاسم المالكى ٤٨/٩١، وانظر: الرضى ١٨٥/١، والمساعد ٢٨٥/١، والمرادى ٥٨٣/٢، وفى مقاليد العلوم ٤٦٤/٩٥ "مفعول ما لم يسم فاعله وانظر: التعريفات ١٠٦٦/٢١١، واللبدى ٢٣٢، وعبادة ٢٤٢، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٤٤/٢، والمعجم الوافى فى النحو والصرف و العروض ٣٩٠/٢ .

(٧٧) بالنص فى الفاكهى ١٢٤/١٤٨، وانظر: الأبذى ٥٩/٣٦، وابن قاسم المالكى ٥١/٩٤، والتلمسانى ٣٦٨، والرضى على الكافية ٢٢٣/١، والمساعد ٢٠٣/١، والمرادى ٤٧٠/١ ، والتعريفات ٢٠٨، وابن كمال باشا ١٢١٠/٣٥٨ ومقاليد العلوم ٤٦٥/٩٥، ومثل له فقط فى مفاتيح العلوم ٤٧ وعبادة ٥٤، واللبدى ١٧، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٥٤٣/٢ .

(٧٨) الأبذى ٦٠/٧٦، وشرحه لابن قاسم المالكى ٥٢/٩٥، والتلمسانى ٣٧٠ ، والفاكهى ٣٤١، والرضى ٢٢٣/١ ، والمقدمة الجزولية ٧٧٤/٢، والمرادى ٤٧٤/١ ، والإرشاد للكيشى ١٠٩، والتعريفات ١٠١، وابن كمال باشا ٥٥٢/١٩٢ ومقاليد العلوم ٤٦٦/٩٥، وعبادة ١١٦، واللبدى ٦٢، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٢٩٥/١ . ٢٩٨، والمعجم الوافى فى النحو والصرف و الإعراب ٢٨٥/٢ .

(٨٠) بالنص فى الفاكهى ١٢٨/١٥١. والهمع١٤٩/٥، وعبادة ١٤٧، واللبدى ١١٧، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٦٢/١. والمعجم الوافى فى الصرف و النحو والإعراب ١٢٢/١ .

(*) زيادة من الفاكهى ١٥١ .

(٨١) الفاكهى ١٢٩/١٥٢. والهمع١٣٧/٥ وكشاف اصطلاحات الفنون ٥١١/١ وجامع العلوم ٢٨٦، وعبادة ٢٣٥ ، واللبدى ٢٢٠، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٢٠٤/١، والمعجم الوافى فى الصرف و النحو والإعراب ٣١٣/١ .

(٨٢) الفاكهى ١٣٠/١٥٣. وانظر: المساعد ٥٦٥/٢، والارتشاف ٢٩/٣، والكليات ٥٩، والتوقيف (الداية) ٤٢، والارتشاف ٢٢٤٧/٥. وعبادة ١٠٥، واللبدى ٧٤، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٢١/١، والمعجم الوافى ٢٨/١ .

(**) بعدها فى الفاكهى ص١٥٣ : المتكلم أو لغيره .

٨٣- حَدُّ الإغْراءِ: تَنبيهُ المُخَاطَب على أمْرٍ محمودٍ؛ ليَفعَلَهُ.

٨٤-حَدُّ التَّحْذير: تَنبيه المُخَاطَب على أمْرٍ مَكْرُوه: ليَجْتَنبَهُ .

٨٥- حَدُّ المُنادَى: المَطْلوبُ إقبالُه بحَرفٍ نائبٍ مَنابَ أدْعُو، لفظًا أو تقديرًا.

٨٦-حَدُّ التَّرْخيم: حَذْفُ بَعْضِ الكلمةِ على وَجْهٍ مخصُوص.

٨٧-حَدُّ الاسْتغَاثَة: نِداء من يُخَلِّص من شِدَّةٍ، أو يُعينُ على دفع مَشَقَّةٍ .

٨٨-حَدُّ النُّدبَة: نداءِ المُتَفَجَّع عَلَيْه [لفقده](*) حقيقةً، أو حُكْمًا، أو المُتوجَّع منه لكَوْنه مَحَلَّ ألَم، أو سَبَبًا له.

٨٩- حَدُّ المَفعُول المُطلق: المصْدَرُ الفَضْلَةُ المُؤكدُ لعامِلِه، أو المُبَيِّن لنوْعِه، أوْ عَدَدِه.

٩٠-حَدُّ المَفْعُول لَهُ: المَصْدر القَلْبى [الفضلة](**) المُعَلِّل لحدث شاركه وقتا وفاعلا.

(٨٣) الفاكهى ١٣١/١٥٤، وانظر: همع الهوامع ٢٧/٣، والارتشاف ١٤٧٧/٣، والكليات ١٥٣ وكشاف اصطلاحات الفنون ٢٣٤/١، وعبادة ١٩١، واللبدى ١٦٥، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٧٩/١. والمعجم الوافى ١٥٤/١ .

(٨٤) الفاكهى ١٣٢/١٥٤، والهمع ٢٣/٣، والارتشاف ١٤٧٨/٣، وشرح الكافية ٤٧٩/١، وانظر: التعريفات ٣٣١/٧٥، وابن كمال باشا ٢٨٨/١٢٦، واللبدى ٦١، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ١٥٤/١، والمعجم الوافى فى النحو و الصرف، والإعراب ٢٧٧/١ .

(٨٥) الفاكهى ١٣٣/١٥٥، والأبذى ٥٨/٧٦، وابن قاسم المالكى ٥٠/٩٣، والتلمسانى ٣٧٠، وبالنص فى الرضى على الكافية ٣٤٤/١، وبالنص فى مقاليد العلوم ٤٧٣/٩٦، والتعريفات ٢٥٠، وانظر: عبادة ٢٧٨، واللبدى ٢٢٠، والمعجم المفصل ٦٢٦/٢، والمعجم الوافى ٩٧/٢ .

(٨٦) الرمانى ٥١/٧١، وبالنص فى الفاكهى ١٣٤/١٥٦، والارتشاف ٢٢٢٧/٥، والمساعد ٥٤٦/٢، وانظر: التعريفات ٣٥٤/٧٨ ومقاليد العلوم ٤٧٤/٩٦، وابن كمال باشا ٣٠٩/١٣١، والحدود للتلمسانى ٣٧٠، وعبادة ١٣٨، واللبدى ٩٢، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ١٦٣/١، والمعجم الوافى ٢٨١/١ .

(٨٧) بالنص فى الفاكهى ١٣٥/١٥٧، وعبادة ١٩١، واللبدى ١٦٧، والمعجم المفصل ٣٨/١، والمعجم الوافى ٤٨/١.

(٨٨) الفاكهى ١٣٦/١٥٨، والحدود للتلمسانى ٣٧٠، والارتشاف ٢٢١٥/٥، وانظر: مقاليد العلوم ٤٧٥/٩٦، والتعريفات ٢٩٩(١٤٩٤)، وابن كمال ٤٢١ (١٤٤٧)، وعبادة ٢٣٥، واللبدى ٢١٨، والمعجم المفصل ٦٤٨/٢، والمعجم الوافى ٤٠٧/٢ .

(*) الزيادة من الفاكهى ١٥٨ .

(٨٩) الأبذى ٦٦/٧٨ . وشرحه لابن قاسم المالكى ٥/٥٣/٩٧)، ويسميه العقبانى "المصدر" ٣٦٩، وبالنص فى الفاكهى ١٣٧/١٥٩، وانظر: الرضى على الكافية ٢٩٥/١، والمساعد ٤٦٣/١، وانظر: التعريفات ٢٨٨/١٤٤١) ومقاليد العلوم ٤٧١/٩٦، وابن كمال باشا ١٣٩٥٠/٤٠٨ وعبادة ٢٤٣ واللبدى ١٤٠ والمعجم المفصل ٦١٠/٢ والمعجم الوافى ٣٥١/٢ .

(٩٠) الأبذى ٦٥/٧٨، وشرحه لابن قاسم المالكى ٤/٥٣/٩٧ ، والعقبانى ٣٦٩، والفاكهى ١٣٩/١٦١، وانظر: الرضى على الكافية ٥٠٧، والمساعد ٤٨٤/١، والارتشاف ١٣٨٣/٣، وانظر: التعريفات ٢٤، والمقاليد ٩٦ (٤٧٨). وابن كمال باشا ١٣٩٨/٤٠٩، وعبادة ٢٤٤، واللبدى ١٧٧، والمعجم المفصل ٦١٠/٢، والمعجم الوافى ٣٥٠/٢

(**) زيادة من الفاكهى ١٦١ .

٩١- حَدُّ المَفْعُول فيه: ما ذُكِرَ فضلةً ؛ لأجلِ أمْرٍ وَقَعَ فِيهِ من اسْمِ زمَانٍ مُطْلَقًا، أو مَكَانٍ مُبْهم، أو مَادتُهُ مَادةَ عَاملهٌ.

٩٢- حَدُّ المَفْعُول مَعَه: الاسمُ الفَضْلَةُ التالى واوًا أريدَ بها التَّنْصِيصُ عَلَى المَعِية مَسْبُوقةً بفعْلٍ، أوْ مَا فِيهِ حُرُوفُهُ، وَمعْناه.

٩٣-حَدُّ الحَالِ: الوصْفُ الفَضْلَةُ المَسُوق(*) لبَيَان هَيْئَة صاحِبِه [أوتأكيده](**) أو تَأكِيدِ عَاملِهِ أو [تأكيد] مضمون الجُمْلة قَبْلَهُ وهى قسمان: مُؤكَّدةٌ ومُؤسِّسَةٌ.

٩٤-حَدُّ المُؤكَّدَةِ: ما استُفيدَ مَعْنَاهَا بدُون ذكْرِهَا.

٩٥-حَدُّ المُؤسِّسَةِ: مَا لَمْ يُستَفَد(***) مَعْنَاهَا بِدُون ذِكْرِهَا وهى خَمْسَةُ أقْسَام: مُقَارِنَة، ومُقَدَّرَة، وَمُتَداخِلَة ، ومُتَعَدِّدَة ، ومُوطِّئَة.

٩٦-حَدُّ المُقَارنَةِ: هى المُبَيِّنَة لهَيْئَةِ صَاحِبهَا وقْتَ وجُوُدِ عَامِلِها .

---

(٩١) الأبذى ٦٣/٧٧ ، وشرحه لابن قاسم ٤/٥٣/٩٧، والعقبانى ٣٦٩، والفاكهى ١٤٠/١٦٢، والمساعد ٤٨٩/١، والارتشاف ١٣٨٩/٣، وفيه يسمى: الظرف عند البصريين ، والمحل عند الفراء ويسمى الكسائى الظروف بالصفات! والتعريفات ١٤٣٨/٢٨٨ ، والمقاليد ٤٧٦/٩٦، وابن كمال باشا ٤٠٨ /١٣٩٧ . وعبادة ٢٤٤ ، واللبدى ١٧٧، والمعجم المفصل ٦١٠/٢، والمعجم الوافى ٣٩/٢ .

(٩٢) الأبذى ٦٤/٧٨، وشرحه لابن قاسم المالكى ٣/٥٣/٩٦، والفاكهى ١٤٥/١٦٣، والعقبانى ٣٦٩، والرضى على الكافية ٥١٥/١، والمساعد ٥٣٩/١، والارتشاف ١٤٨٣/٣، والتعريفات ٢٤٢، وابن كمال باشا ١٣٩٩/٤٠٩، والمقاليد ٤٧٩/٩٦)، وعبادة ٢٤٤، واللبدى ٧٧، والمعجم المفصل ٦١٠/٢، والمعجم الوافى ٣٥٤/٢ .

(*) فى خ المسوقة! والتصحيح من الفاكهى ١٦٤ .

(**) زيادة من الفاكهى ١٦٤ .

(٩٣) الرمانى ٢٩/٦٩، والأبذى ٧٥/٨٤، وشرحه لابن قاسم المالكى ١٠٦، والتلمسانى ٣٦٩، وبالنص فى الفاكهى ١٤٦/١٦٤، وانظر: الرضى على الكافية ٧/٢، والارتشاف ١٥٥٧/٣، والمساعد ٥/٢، والتعريفات ١١٠، والمقاليد ٤٨٠/٩٦، وابن كمال باشا ٤٤٦/١٦٨، وعبادة ٩٧، واللبدى ٦٨، والمعجم المفصل ٢٥٩/١، والمعجم الوافى ٣٧٤/١ .

(٩٤) بالنص فى الفاكهى ١٤٧/١٦٦، وانظر: ارتشاف الضرب ١٥٦١/٣ وما بعدها ، والتعريفات ٥٢٩/١١١، وابن كمال باشا ٤٤٧/١٦٩) وكشاف اصطلاحات الفنون ١٢٢/٢، والتوقيف ١٣٤٠، وعبادة ٩٨، واللبدى ٧٠، والمعجم المفصل ٢٦٠/١، والمعجم الوافى ٣٧٤/١ .

(٩٥) بالنص فى الفاكهى ١٥٠/١٦٧، ويسميها : الحال المبنية، وانظر: الارتشاف ١٥٦١/٣، والتعريفات ١١١، وابن كمال باشا ٤٤٨/١٦٩، وكشاف اصطلاحات الفنون ١٢٢/٢، والتوقيف ١٣٤، وعبادة ٩٨، واللبدى ٢٣٠، والمعجم المفصل ٢٦٠/١، والمعجم الوافى ٣٧٤/١ .

(***) فى خ يستقل ، وهو تحريف!

(٩٦) بالنص فى الفاكهى ١٥١/١٦٧، وفى الكشاف ١٢٣/٢ تسمى: المحققة أيضا وهو أول تقسيم باعتبار زمانها القائم وعبادة ١٠٠ واللبدى ٧٠، والمعجم المفصل ٢٦١/١، والمعجم الوافى ٣٧٤/١ .

٩٧- حَدُّ المُقَدَّرَة: هى التى يَكُونَ حُصُولُ مَضْمُونِهَا مُتَأخرًا عَنْ حُصُولِ مَضْمُونِ عَامِلِهَا.

٩٨-حَدُّ المُتَداخِلَةِ: هِيَ التِى يَكُونُ صَاحِبُهَا مِنَ حَالٍ أخْرَى.

٩٩-حَدُّ المُتَعَدِّدَةِ : هِيَ التى يَكونُ صَاحِبُهَا صَاحِبُ حَالٍ أخْرَى .

١٠٠-حَدُّ المُوَطِّئَةِ: هِيَ الجَامِدَةُ المَوْصُوفَةُ بِمُشْتَقٍّ أو شِبْهِهِ.

١٠١-حَدُّ التَّمْيِيزِ: اسمٌ نكرَةٌ فَضْلَةٌ يَرْفَعُ إبهَامَ اسْمٍ، أو إجْمَالِ نِسْبَةٍ.

١٠٢-حَدُّ المُسْتَثْنَى: هُوَ المُخْرِجِ تَحْقِيقًا ، أو تَقْدِيرًا بإلا، أو إحْدَى أخَوَاتِهَا من مَذْكُورٍ ، أو مَتْرُوكٍ بِشرطِ الفَائِدَةِ وهو قسمان: مُتصلٌ، ومُنْقَطِعٌ.

١٠٣-حَدُّ المُتَّصِلِ: هُوَ ما يُكونُ المُسْتَثْنَى بَعْضُ المُسْتَثْنَى مِنْهُ.

١٠٤-حَدُّ المُنْقَطِعِ: هُوَ ما لا يُكون المُسْتَثْنَى بعضُ المُسْتَثْنَى مِنْهُ.

---

(٩٧) بالنص فى الفاكهى ١٦٧(١٥٢)، وفى كشاف اصطلاحات الفنون ٢/١٢٣، وتسمى المستقبلة، وثانى تقسيم باعتبار زمانها القائم وعبادة ١٠٠، واللبدى ١٨٣، والمعجم المفصل ١/٢٦١، والمعجم الوافى ١/٣٧٥، وثمة تقسيم ثالث باعتبار الماضى تسمى فى كشاف اصطلاحات الفنون ٢/١٢٣ بالمحكية .

(٩٨) بالنص فى الفاكهى ١٦٨ (١٥٣) وكشاف اصطلاحات الفنون ٢/١٢٤، وعبادة ٩٨، واللبدى ٨١، والمعجم المفصل ١/٢٦٠، والمعجم الوافى ١/٣٧٥ .

(٩٩) بالنص فى الفاكهى ١٦٩ (١٥٤) وكشاف اصطلاحات الفنون ٢/١٢٤، وعبادة ٩٩، والمعجم المفصل ١/٢٦٠، والمعجم الوافى ١/٣٧٥ .

(١٠٠) بالنص فى الفاكهى ١٥٥/١٧٠ وكشاف اصطلاحات الفنون ٢/١٢٣، وعبادة ١٠٠، والمعجم المفصل ١/٢٦١ ، والمعجم الوافى ١/٣٧٤ .

(١٠١) الرمانى ٦٩/٣٠، والأبذى ٧٦/٨٤، وابن قاسم المالكى ٦١/١٠٦، والتلمسانى ٣٦٩، والفاكهى ١٧١ /١٥٦، وانظر: الرضى على الكافية ٥٣/٢، ويسميه أبوحيان فى الارتشاف ١٦٢١/٤ التبيين / والتفسير/ و المميز /و المبين/ والمفسر والمساعد ٥٤/٢ وانظر : التعريفات ٦٦وابن كمال باشا ٣٦٦/١٤٤ ومقاليد العلوم ٤٨١/٩٧ ، وعبادة ٢٧٥، واللبدى ٢١٥، والمعجم المفصل ١/٢٠٣، والمعجم الوافى ١/٣١٠ .

(١٠٢) الرمانى ٤٢/٧٠، وفى الأبذى ٨٠/٨٦ بالنص، وشرحه لابن قاسم المالكى ١٠٨(٦٤)، والتلمسانى ٣٦٩، والفاكهى ١٥٧/١٧٣، وانظر: الارتشاف ١٤٩٧/٣، وشرح الكافية الشافية ٢/٧٠، والمرادى ٥٤٨/١، وانظر: مقاليد العلوم ٤٨٢/٩٧، والتعريفات ٢٧١ /١٣٥١، وابن كمال باشا ٣٨٧ /١٣١٦، وعبادة ٥٨، واللبدى ٣٨ والمعجم المفصل ٥٧٠/٢، والمعجم الوافى ٢١٤/٢ .

(١٠٣) الفاكهى ١٥٨/١٧٤، وانظر: التلمسانى ٣٦٩ والإيضاح شرح المفصل ٣٥٩/١ وانظر: المقاليد ٤٨٣/٩٧، والتعريفات ٢٧١ /١٣٥٢، وابن كمال باشا ١٣١٦/٣٨٧ والاستغناء فى أحكام الاستثناء ٢٨٦، وعبادة ٦٧، واللبدى ٣٨، والمعجم المفصل ٣١/١ والمعجم الوافى ٤٢/١ .

(١٠٤) الفاكهى ١٧٥ (١٥٩)، وانظر : المقاليد ٤٨٤/٩٧، والتعريفات ١٣٥٣/٢٧٢، وابن كمال باشا ٣٨٧ /١٣١٧، والاستغناء فى أحكام الاستثناء ٣٨٦، وعبادة ٥٨، واللبدى ٣٨، والمعجم المفصل ٣١/١، والمعجم الوافى ٤٢/١ .

١٠٥-حَدُّ التَّابِع: اللَّفظَ المُشَارِكُ لما قَبْلَهُ فى إعرابه ، وعَامِله مُطْلَقًا، ولَيْسَ خَبَرًا. وهو خَمْسَةُ أقسام: نَعْتٌ، وعَطْفُ بَيَان، وتوكيدٌ وبَدَلٌ، وعَطْفُ نَسَق.

١٠٦-حَدُّ النَّعْت: التَّابِعُ المُشْتَقُّ المبـاينُ، أو المُؤَوَّلُ به المُبـاينُ(*) للفظ متبوعه. وهُوَ ثَلاثَة أقسَام: حَقيقيٌّ، ومَجَازِيٌّ ، وسَبَبِيٌّ.

١٠٧- حَدُّ الحَقيقِي: هُوَ الجَارى على مَا قَبْلَهُ مَعَ رَفْعِه لِضَميره(**).

١٠٨-حَدُّ المَجَازِى: هُوَ الجَارِى عَلَى مَا بَعْدَهُ مَعَ رَفْعِه ضَمِيرَ مَا قَبْلَهُ.

١٠٩-حَدُّ السَبَبِيِّ: هُوَ الجَارِى عَلَى مـا بَعْدَه مَعَ رَفْعَه حَالَ كَوْنِ مَا بَعْدَهُ مُتلبسًا بِضَمير ما قَبْلَهُ.

١١٠-حَدُّ عَطْفُ البيَّان: تَابِعُ مُوَضِّحٌ ، أو مُخَصِّصٌ جَامِدٌ غَيْرُ مُؤَوَّلٍ .

١١١-حَدُّ التَوْكيد: تَابِعُ يُقْصَد به كَونُ المَتْبُوع عَلَى ظَاهِرِه، وهو قِسْمَان: مَعْنَوِيٌّ، ولَفْظِيٌّ.

---

(١٠٥) الرمانى ٢٥/٦٨، والفاكهى ١٦٠/١٧٥، والتلمسانى ٣٧٠ وانظر شرح التسهيل ٢٨٦/٣، والارتشاف ١٩٠٧/٤، وانظر: التعريفات ٧١، وابن كمال باشا ٢٦٥/١٢٠، والمقاليد ٤٩٢/٩٨، وعبادة ٦٢، واللبدى ٣٢ ، والمعجم المفصل ١٤٥/١ ، والمعجم الوافى ٢٠/١ .

(١٠٦) انظر: الرمانى (الصفة) ٢٦/٦٩، والأبذى ٦٧/٧٩، وابن قاسم المالكى ٩٨ /٥٤، والتلمسانى ٣٧٠، والفاكهى ١٦١/١٧٧ ، والرضى ٢٧٣/٢، والمرادى ٩٤٥/٢ والمساعد ٤٠١/٢، والتعريفات ٣١١، وابن كمال باشا ٤٣٨، والمقاليد ٤٩٣/٩٨ وعبادة ٢٣٩، واللبدى ٢٢٦، والمعجم المفصل ٣٦٨/١، والمعجم الوافى٤١٥/٢.

(*) يقصد بالمباين أنه لفظ آخر ؛ إذ لو تكرر لفظ المتبوع ، لكان التابع توكيدا لفظيا ، و انظر: شرح الحدود النحوية للفاكهى ١٧٧ .

(١٠٧) الفاكهى ١٦٢/١٧٨، وانظر : كشاف اصطلاحات الفنون ١٧١١/٢، وانظر: عبادة ٢٣٩، واللبدى ٢٢٦، والمعجم المفصل ٣٦٩/١ والمعجم الوافى ٤١٥/٢ .

(**) يقصد ضمير النعت المستتر فيه ، باعتبار أن النعت مشتق عامل انظر : شرح الفاكهى ١٧٨ .

(١٠٨) الفاكهى ١٦٣/١٧٩، وكشاف اصطلاحات الفنون ١٧١٢ وعبادة ٢٣٩ .

(١٠٩) الفاكهى ١٦٤/١٧٩ وكشاف اصطلاحات الفنون ١٧١٢/٢، وعبادة ٢٣٩، واللبدى ١٠٢، والمعجم المفصل ٣٦٨/١، والمعجم الوافى ٤١٥/٢ .

(١١٠) الفاكهى ١٦٥/١٧٩، والارتشاف ١٩٤٣/٤، والتعريفات ١٩٥، وابن كمال باشا ٩٢٠/٢٨٥، والتوقيف ٢٤٣ وعبادة ١٨١، واللبدى ٢٩، والمعجم المفصل ٤٠٩/١ والمعجم الوافى ٥٨/٢ .

(١١١) الأبذى ٨٠ (٦٩) وشرحه لابن قاسم المالكى ٥٦/١٠٠، والتلمسانى ٣٧٠، والفاكهى ١٦٦/١٨١، والرضى ٣٥٧/٢ . والتبصرة، والتذكرة ١٦٣/١، والارتشاف ١٩٤٧/٤، والتعريفات ٣١٠/٧١)، وابن كمال باشا ٢٦٦/١٢١، والمقاليد ٤٩٥/٩٨ وعبادة ٣٨، واللبدى ٢٤٦ ، والمعجم المفصل ٢١٥/١، والمعجم الوافى ٣١٨/١.

١١٢-حَدُّ التَّوكِيدِ المَعْنَوِىّ: التَّابِعُ المُقَرِّرُ أمْرَ المَتْبُوعِ فى النِّسبَةِ أو الشُّمُولِ.

١١٣- حَدُّ التَّوكِيدِ اللَّفظِىّ: إعَادَةُ اللَّفْظِ الأوّلِ بِعَيْنِهِ ، أو مُوَافِقِهِ.

١١٤-حَدُّ البَدَلِ: التَّابِعُ المَقْصُودُ بالحُكْمِ بلا وَاسِطَة .وهو أرْبَعَةُ أقسامٍ : بَدَلُ كُلٍّ ، وَبَدلَ بَعْضٍ ، وَبَدلُ اشْتِمَالٍ ، وَبَدلُ مُبَايِنٌ .

١١٥-حَدُّ بَدَلُ الكُلِّ: مَا كَانَ مَدْلُولُه مَدْلُولَ الأوّلِ بحَسْبِ المَاصَدَّق، ويُسَمَى: البَدَلَ المُطَابِقَ.

١١٦- حَدُّ بَدَلِ البَعْضِ: مَا كَانَ جُزْءاً من الأوّلِ.

١١٧-حَـدُّ بَدَلِ الاشْـتِـمَـالِ: مَـا كَـانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الأوّلِ مُـلابَسَـةٌ بِغَيْـرِ(*) الكُلِّيَّـةِ والجُزئِّيةِ.

١١٨- حَدُّ البَّدَلِ المُبَايِنِ: مَا لا مُلابَسَةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الأوّلِ(**) وهُوَ ثَلاثَةُ أقسامٍ: بَدَلُ إضْرَابٍ، وَبَدلُ غَلَطٍ، وَبَدلُ نِسْيَانٍ.

١١٩-حَدُّ بَدَلِ الإضْرَابِ: مـا يُقْصَدُ ذِكْرُ مَتْبُوعِـهِ كَمَـا يُقْصَدُ ذِكْرُهُ، ولا تَنَاسُبَ بَيْنَهُمَا. ويُسَمَّى بَدَلَ البَدَاءِ.

(١١٢) الفاكهى ١٨٢(١٦٧)، وانظر: ابن قاسم المالكى ٥٦/١٠٠، والرضى على الكافية ٢٥٧/٢، والمقاليد ٤٩٧/٩٨) وكشاف اصطلاحات الفنون١/٩٠، وعبادة ٣٩ واللبدى ٢٤٦، والمعجم المفصل٢١٦/١، والمعجم الوافى ٣١٨/١ .

(١١٣) الفاكهى ١٦٨/١٨٢، وانظر: الرضى على الكافية ٢٥٧/٢، والتعريفات ٣١١/٧١ وابن كمال باشا ٢٦٧/١٢١ وكشاف اصطلاحات ٩١/١، وعبادة ٣٩، واللبدى ٢٤٦ والمعجم المفصل ٢١٦/١، والمعجم الوافى ٣١٨/١ .

(١١٤) الرمانى ٢٧/٦٩ والأبذى ٧٠/٨١ وشرحه لابن قاسم ٥٧/١٠١، والتلمسانى ٣٧٠، والفاكهى ١٦٩/١٨٥، والرضى على الكافية ٣٩٧/٢ والارتشاف ١٩٦١/٤، وفى المساعد ٤٢٧/٢ : أن البدل مصطلح بصرى، والكوفيون يسمونه : تكريرا ، وترجمة، تبيينا، وانظر: المرادى ١٠٣٦/٢، والتعريفات ٢٧٥/٧٢، وابن كمال باشا ٢٣٧/١١٠ ومقاليد العلوم ٩٨ /٤٩٨، وعبادة ٤٨، واللبدى ٢٠ ، والمعجم المفصل ١٢٦/١، والمعجم الوافى ٢٥١/١ .

(١١٥) الفاكهى ١٧٠/١٨٦ وانظر: الارتشاف ١٩٦٤/٤ ومقاليد العلوم ٤٩٩/٩٨ وكشاف اصطلاحات الفنون ٣١٦/١ و عبادة ٤٨ و اللبدى ٢٠ و المعجم المفصل ١٢٦/١ و المعجم الوافى ٢٥١/١ .

(١١٦) الفاكهى ١٧١/١٨٧ وانظر: الارتشاف ١٩٦٥/٤ والمقاليد ٥٠٠/٩٨ وكشاف اصطلاحات الفنون ٣١٧/١ وعبادة ٤٩ و اللبدى ٢٠ والمعجم المفصل ١٣٦/١ والمعجم الوافى ٢٥١/١ .

(١١٧) الفاكهى ١٧٢/١٨٨ و الارتشاف ١٩٦٦/٤ ومقاليد العلوم ٥٠١/٩٨ وكشاف اصطلاحات الفنون ٣١٧/١ وعبادة ٤٩ و اللبدى٢ و المعجم المفصل ١٢٦/١ و المعجم الوافى ٢٥١/١ .

(*) فى خ بمعنى وهو تحريف! والتصويب من الفاكهى ١٨٨ .

(١١٨) الفاكهى ١٧٣/١٨٩ و الارتشاف ١٩٦٩/٤ واللبدى ٢٠ والمعجم المفصل ١٢٦/١ والمعجم الوافى ٢٥٢/١ .

(**) فى الفاكهى ١٨٩ زيادة هى بوجه ما .

(١١٩) الفاكهى ١٧٤/١٩٠ و عبادة ٤٩ واللبدى ٢٠ والمعجم المفصل ١٢٦/١، والمعجم الوافى ٢٥٢/١ .

١٢٠-حَدُّ بَدَلِ الغَلَطِ: مَا ذُكِرَ فيهِ الأَوَّلُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ بَلْ سَبَقَ إليْهِ اللِّسَانُ؛(*) فهو بَدَل عمَّا ذُكِرَ غَلَطًا.

١٢١- حَدُّ بَدَلِ النسيان: مَا يُقْصَد ذِكْرُ مَتبوعِهِ أيضًا ثُمَّ يَتَبَيَّنُ فسادُ قَصْدِهِ .

١٢٢-حَدُّ عَطْفِ النَّسَقِ: تَابِعٌ يَتَوسَّطُ بَيْنَهُ وبَيْنَ متبوعه أحَدُ حُروف العَطْفِ.

١٢٣- حَدُّ الشَّرْطِ: تَعْلِيقُ حُصُولِ مَضْمُونِ جُمْلَةٍ بِحُصُولِ مَضْمُونِ أُخْرَى.

١٢٤-حَدُّ الجَرِّ: الكَسْرَةُ الَّتِي يُحْدِثُهَا العَامِلُ فى آخِرِ الاسْمِ ، سَوَاءٌ كَانَ العَامِلُ حرْفًا أو مُضَافًا.

١٢٥- حَدُّ الإضَافَةِ: إِسْنَادُ اسمٍ إلى غَيْرِهِ (**) بتَنْزِيلِهِ مِنَ الأوَّلِ مَنْزِلَةَ التَّنوينِ، أو مَا يَقُومُ مَقَامَهُ.

١٢٦- حَدُّ التَّنوينِ: نُونٌ سَاكِنَةٌ زائدةٌ تَثْبُتُ لفظًا لا خَطًّا [ل٩ب] اسْتِغْنَاءً عَنْهَا بتَكْرَارِ الحَرَكَةِ عِنْدَ الضَّبْطِ بالقَلَمِ ،وَهُوَ سِتَّةُ أقسامٍ : تَنْوِينُ تَمْكِينٍ ، وتَنْكِيرٍ ، ومُقَابَلَةٍ ، وعِوَضٍ، وتَرَنُّمٍ ، وغَالٍ.

---

(١٢٠) الفاكهى ١٧٥/١٩١ وكشاف اصطلاحات الفنون ٣١٧/١ و الارتشاف ١٩٧٠/٤ والمقاليد ٥٠٢/٩٨ وعبادة ٤٩ و اللبدى ٢٠ و المعجم المفصل ١٢٦/١ و المعجم الوافى ٢٥٢/١ .

(*) بعد اللسان : أى و لا معنى لها ا.

(١٢١) الفاكهى ١٧٦/١٩١ الارتشاف ١٩٧٢/٤ وكشاف اصطلاحات الفنون ٣١٧/١ وعبادة ٤٩ و اللبدى ٢٠ والمعجم المفصل ١٢٦/١ والمعجم الوافى ٢٥٢/١ .

(١٢٢) الرمانى ٢٨/٦٩ و الأبذى ٦٨/٨٠ و ابن قاسم ٥٥/٩٩ والتلمسانى ٣٧٠، والفاكهى ١٧٧/١٩٢ والرضى ٣٣١/٢ و الارتشاف ١٩٧٥/٤ والمساعد ٤٤١/٢ ، ويسميه سيبويه ٤٤١/١ أحيانا باسم الشركة ، والنسق: اصطلاح كوفى والمقاليد ٤٩٤/٩٨ والتعريفات ١٩٥ وابن كمال باشا ٩١٩/٢٨٤ والتوقيف ٢٤٣ وعبادة ١٨٢ واللبدى ٢٢٤ والمعجم المفصل ٤٩١ والمعجم الوافى ٦١/٢ .

(١٢٣) انظر: التلمسانى ٣٧٠ والفاكهى ١٧٨/١٩٥ وكشاف اصطلاحات الفنون ١٢٠/٤ والتعريفات ٨٢٢/١٦٦ وابن كمال باشا ٧٣٢/٢٤٢ وعنه فى التوقيف ٢٠٣ وعبادة ١٤٦ واللبدى ١١٤ والمعجم المفصل ٣٥٣/١ والمعجم الوافى ١٠/٢ .

(١٢٤) الفاكهى ١٧٩/١٦٩، وانظر: الرمانى ٢٤/٦٨، والأبذى ٢٤/٦٠، وابن قاسم ٢٢/٦٧ وكشاف اصطلاحات الفنون ٢٨٧/١، والرضى ٦٩/١، والمساعد ٢٢/١، وعبادة ٥٩، واللبدى ٤٢، والمعجم المفصل ٢٢٤/١، والمعجم الوافى ٣٢٨/١ .

(١٢٥) الرمانى ٣١/٦٩ والأبذى ٨١/٨٦، وشرحه لابن قاسم المالكى ٦٥/١٠٩ والتلمسانى ٣٦٩، والفاكهى ١٨٠/١٩٧، والرضى ٢٠٦/٢ ويسميها فى المساعد ٣٢٩/٢ النسبة ، والتعريفات ١٦٠/٤٥ وابن كمال باشا ١٣٣/٨٨ والمقاليد ٩٨، وعبادة ١٦٤ واللبدى ١٣٦، والمعجم المفصل ٦٧/١، والمعجم الوافى ١٢٩/١ .

(**) الباء فى بتنزيله: زيادة لازمة من الفاكهى ١٩٧ .

(١٢٦)الفاكهى ١٨١/١٩٩، والأبذى ٢٧/٦٠، وشرحه لابن قاسم المالكى ٢٥/٦٨، والموضح المبين لأقسام التنوين ٣٩، والارتشاف ٦٦٧/٢، والمرادى ٢٥٧/١، والتعريفات ٤٣٨/٩٤، وابن كمال باشا ٣٧٢/١٤٥ وعبادة ٢٤٣ واللبدى ٢٣٣، والمعجم المفصل ٢٠٨/١، والمعجم الوافى ٣١٦/١ .

١٢٧- حَدُّ تَنْوِين التُّمكين: هُوَ اللاحِقُ للأَسْمَاءِ المُعْربةِ دَلالَةً عَلَى أصَالته، إذ لم يُبنَ، و لم يمنع من الصرف [لسلامته من شبه الحرف و شبه الفعل](*).

١٢٨- حَدُّ تَنْوِين التَّنكيرِ: هو اللاحِقُ لبعْضِ الأسْماءِ المْبِينَّةِ إشعَارًا بأن المرادَ به غيرُ مُعَيَّن.

١٢٩-حَدُّ تَنْوِين المُقَابَلة : هُوَ اللاحق لمَا جُمعَ بألفٍ وَتَاءٍ مزيَدتيَّن.

١٣٠-حَدُّ تَنوينَ العَوضِ: هُوَ اللاحقُ للاسْم عَوضًا عَن المُضَافِ إليْه والجَمع المَتناهِي المُعتَل اللام عَوضًا عن الحَرْفِ، أو الحَرَكَة.

١٣١- حَدُّ تَنوينَ التَّرنُّم: هُوَ اللاحق للْقَوَافِي المَطْلَقَة، والأعَارِيض المُصَرَّعَة، أو المُقَفَاة.

١٣٢-حَدُّ تَنْوين الغَالي(**): هُو اللاحِقُ للقَوَافي المُقَيَّدَة، والأعَارِيض المُصَرَّعَة .

١٣٣- حَدُّ القَسَم: جُملَةٌ جِئَ بِهَا لتوكيدِ جُمْلةٍ خبريَّةٍ غَيْرِ [ل ١٠أ] تَعَجُّبُ [بية](***)

---

(١٢٧) الفاكهى ١٨٢/٢٠٢، وانظر: الارتشاف ٦٦٧/٢ . والمرادى ٢٧٥/١، والتعريفات ٤٣٨/٩٤، والموضح المبين لأقسام التنوين ٤٥، وعبادة ٢٤٤، واللبدى ٢٣٤، والمعجم ٢٠٨/١، والمعجم الوافى ٣٠٦/١ .

(*) زيادة من الفاكهى ٢٠٢.

(١٢٨) الفاكهى ١٨٣/٢٠٣، وابن قاسم المالكى ٢٦/٦٩ وانظر: ارتشاف الضرب ٦٦٧/٢، والمرادى ٢٧٦/١، والتعريفات ٤٣٨/٩٤، والموضح المبين لأقسام التنوين ٤٥، وانظر: عبادة ٢٤٤، واللبدى ٢٣٤، والمعجم المفصل فى علوم اللغة ٢٠٨/١، والمعجم الوافى ٣١٦/١ .

(١٢٩) الفاكهى ٢٠٣ /١٨٤، وانظر: ارتشاف الضرب ٦٦٧/٢، والمرادى ٢٧٦/١، والتعريفات ٤٣٨/٩٤، وعبادة ٢٤٤ واللبدى ٢٣٤، والمعجم المفصل ٢٠٨/١، والمعجم الوافى ٣١٦/١ .

(١٣٠) الفاكهى ١٨٥/٢٠٤، وابن قاسم ٢٦/٦٩، وانظر: ارتشاف الضرب ٦٦٧/٢، والمرادى ٢٧٦/١، والموضح المبين ٤٥، والتعريفات ٤٣٨/٩٤، وعبادة ٢٤٤، واللبدى ٢٣٤، والمعجم المفصل ٢٠٨/٢، والمعجم الوافى ٣١٦/١ .

(١٣١)الفاكهى ٨٨٦/٢٠٥، وابن قاسم المالكى ٢٦/٦٩، وانظر: ارتشاف الضرب ٦٦٧/٢، والمرادى ٢٧٦/١، والموضح المبين ٤٥، والتعريفات ٤٣٨/٩٤، وابن كمال باشا ٣٧٣/١٤٥، ويسميه الكفوى فى الكليات ٢٩٣ تسمية خاصة فى القرآن الكريم باسم تنوين الفواصل وعبادة ٢٤٤، واللبدى ٢٣٤، والمعجم المفصل ٢٠٨/١، والمعجم الوافى ٣١٦/١ .

(١٣٢) ابن قاسم ٣٦/٦٩، والفاكهى ١٩٤/٢١٠، وارتشاف الضرب ٦٦٧/٢، والمرادى ٢٧٦/١، وفى التعريفات ٤٣٨/٩٤، وابن كمال باشا ٣٧٤/١٤٦، والموضح المبين لأقسام التنوين ٤٥، وعبادة ٢٤٤، واللبدى ٢٣٤، والمعجم المفصل ٢٠٨/١، والمعجم الوافى ٣١٦/١ .

(**) فى خ الغال من غير ياء!.

(١٣٣) الفاكهى ١٩٥/٣١، وانظر: التبيان، وأقسامه القرآن ١٨، ورسالة فى الحدود النحوية للتلمسانى ٣٦٩، وفى ارتشاف الضرب ١٧٦٣/٤ بالنص، وعبادة ٧٥، واللبدى ١٨٧، والمعجم المفصل ٤٦٦/١، والمعجم الوافى ١٩٣/٢ .

(***) الفاكهى ٢١١ تعجبية .

١٣٤ - حَدُّ العَدَد: ما وُضِعَ لكمِّية آحَاد الأشْيَاء.

١٣٥- حَدُّ الحِكَايَةِ: إيرَادُ لَفْظِ المُتَكَلِّم عَلَى حَسَب مَا أوْرَدَه(*) مِنَ(**) الكَلام.

١٣٦- حَدُّ المُصَغَّر: هُوَ المَزِيد فيه يَاءٌ سَاكِنَةٌ، لِيُدُلَّ عَلَى تَقْليل، أو تَحْقِير، أو تَقْرِيب، أو تَعَطُّفٍ.

١٣٧- حَدُّ المَنْسُوبِ: هُوَ المُلْحَق آخِرُه يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ ؛ ليُدلَّ عَلَى [نسبته إلى](***) المُجَرَّد عَنْها.

١٣٨- حَدُّ الإمَالَةِ: أنْ تَنْحُوَ بالفتحة نَحْوَ الكَسْرَة.

١٣٩- حَدُّ الوقفِ: قَطْعُ النُّطْقِ عِنَد(****) آخِرِ اللَّفْظِ.

١٤٠- حَدُّ الضَّرُورَة: مَا لا يَقَعُ فى الشِّعْر سَوَاءٌ كَانَ للشاعر عَنْهُ مَنْدُوحَةٌ، أوْ لا.

١٤١- حَدُّ الخَطِّ: تَصْوِيرُ اللَّفظِ المَقْصودِ تَصْوِيرُه بَرَسْمِ حُرُوفٍ هَجَائِيَةٍ بتَقْدِير الابتداء بها ، وَالوقْفِ عليها.

---

(١٣٤) الفاكهى ١٩٦/٢١٢، وانظر: التعريفات ٩٥٧/١٩١، وابن كمال باشا ٨٩٢/٢٧٩، وفى مقاليد العلوم رسم: أسماء العدد بالنص ٥١٦/١٠٠، واللبدى ١٤٤، والمعجم المفصل ٤٠٣/١، والمعجم الوافى ٤٨/٢ .

(١٣٥) الفاكهى ١٩٧/٢١٣، والتلمسانى ٣٧١، وارتشاف الضرب ٦٨٠/٢، والتعريفات ٥٩٩/١٢٢، وعبادة ٩٧، واللبدى ٦٦، والمعجم المفصل ٢٨٨، والمعجم الوافى ١٤٧/١ .

(*) فى خ ورده و الصواب : أورده .

(**) فى الفاكهى ٢١٣ : فى !.

(١٣٦) الفاكهى ٣٧٦/٢١٣، وابن كمال باشا ١٣٣٧/٣٩٣، ويسميه التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون: المختصر ٢٢٧/٤، وانظر: عبادة ١٥٦، واللبدى ١٢٦، والمعجم المفصل ١٧٩/١، والمعجم الوافى ٢٨٦/١ .

(١٣٧)الفاكهى ١٩٩/٢١٤ ، والتلمسانى ٣٧١، والارتشاف ٥٥٩/١، وشرح الشافية ٤/٢، وبالنص فى مقاليد العلوم ٥٧٠/١٠٥، والتعريفات ١٤٩٥/٢٩٩، وابن كمال باشا ١٤٥٨/٤٦٢، وعبادة ٢٣٦، واللبدى ٢٢٣، والمعجم المفصل ٦٤٨/٢، والمعجم الوافى ٤٠٩/٢ .

(***) زيادة من الفاكهى ٢١٤!.

(١٣٨) الفاكهى ٢٠٠/٢١٥، والتلمسانى ٣٧١، وانظر: قرة العين فى الفتح، والإمالة، وبين اللفظين ١٢، والتعريفات ٢٠٦/٥٣، وابن كمال باشا ١٩٦/١٠٠، والارتشاف ٥١٨/٢، وعبادة ٢٣٢، واللبدى ٢١٦، والمعجم المفصل ١٠٢/١، وانظر: الإمالة فى اللهجات العربية القديمة ، لرجب عثمان ١٣٢ .

(١٣٩) الفاكهى ٢٠١/٢١٦، وشرح الشافية ٢٧١/٢، وانظر: المكتفى فى الوقف، والابتداء للدانى (جايد زيدان)١٠٧، وفى المقاليد ٥٧١/١٠٥ فى باب الصرف تعريف بما عند القراء! وهو نص ما فى شرح الشافية ، وهو ما يؤكد أن المصطلح رحال من علم الإقراء إلى الصرف. انظر: عبادة ٢٥٨، واللبدى ٢٤٥ ، والمعجم المفصل ٦٠٨/٢، والمعجم الوافى ٤٤٥/٢ .

(****) فى خ عن وهو تحريف !.

(١٤٠) الفاكهى ٢٠٢/٢١٨، وانظر : الرمانى ٧٤/٧٣ وما يجوز للشاعر الضرورة ٨٨، وضرائر الشعر ١٣ ومورد البصائر لفرائد الضرائر ٦٠، وعبادة ١٥٨، واللبدى ١٣١، والمعجم المفصل ٣٨١/١ .

(١٤١) الفاكهى ٢٠٥/٢٢١، وباب الهجاء لابن الدهان ص ١، والتعريفات ١٣٣ بالنص، وابن كمال باشا ٥٦٩/١٩٥، وكذلك فى شرح الشافية لليزدى ١٠٨٤/٢، والمعجم المفصل ٤٨٠/١ .

تمت بحمد الله وعونه على يد كاتبه الفقير حسين أبو العلا ، غفر الله له ولوالديه. و لمن دعا له بالمغفرة . و كان الفراغ [من كتابتها] يوم الاثنين جمادى الأولى سنة ١٢٨٥ خلت من الهجرة النبوية . على صاحبها أفضل الصلاة و السلام .

قائمة المصادر والمراجع

● أحمد زروق والزروقية ، دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة ، د/ علي فهمي خشيم. بيروت: دار المدار الإسلامي ، ط٣ - ٢٠٠٢م.

● ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد، ومراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م.

● الإرشاد إلى علم الإعراب، للكيشي ، تحقيق: الدكتور عبد الله الحسيني البركاتي والدكتور محسن العميري ، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

● الاستغناء في الاستثناء لشهاب الدين القرافي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١. ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

● إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لليماني ، تحقيق: الدكتور عبد المجيد دياب، الرياض: مركز الملك فيصل، ١٤٠٦هـ.

● الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

● الأعلام، للزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت، ٢٠٠٢م.

● أعلام الهدى في بلاد المسجد الأقصى ، لياسين طاهر الأغا والدكتورة نبيلة فخري الأغا، القاهرة: مركز الأعلام العربي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

● الأمالي ، لابن الشجري ، تحقيق: الدكتور محمود الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

● الإمالة في اللهجات العربية القديمة وامتدادتها، دراسة وصفية تاريخية، رسالة ماجستير . إعداد رجب عثمان محمد- كلية الآداب - جامعة عين شمس ١٩٨٨

● إنباه الرواة على أنباة النحاة للقفطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة - بيروت : دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

● الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين

عبدالحميد، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

● ــــــــ، تحقيق: الدكتور جودة مبروك ومراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي ، ٢٠٠٢م.

● أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٢م.

● الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسي، تحقيق: الدكتور كاظم المرجان، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

● إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل البغدادي، إستانبول ١٩٤٥م، مصورة دار الفكر، بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

● الإيضاح في شرح المفصل ، لابن الحاجب ، تحقيق: الدكتور موسى العليلي، بغداد: وزارة الأوقاف العراقية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

● بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة، للسيوطي ، تحقيق: الدكتور علي عمر، القاهر: مكتبة الخانجي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

● ــــــــ ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت: دار الفكر، ١٢٩٩هـ- ١٩٧٩م.

● البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، الكويت: مركز المخطوطات، دار التراث،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

● بيان كشف الألفاظ المنسوب للأُبَّذي ، تحقيق: الدكتور خالد فهمي، القاهرة: مكتبة الخانجي ، ٢٠٠٢م.

● تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة: الدكتور عبد الحليم النجار وآخرين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

● تاريخ التراث العربي، لمحمد فؤاد سزكين ، ترجمة: الدكتور محمود فهمي حجازي ومراجعة: الدكتور عرفة مصطفى والدكتور سعيد عبد الرحيم، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

● التبصرة والتذكرة ، للصيمري ، تحقيق: الدكتور فتحي مصطفى، مكة المكرمة:

جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٢م.

- تحرير القواعد المنطقية، للرازي ، القاهرة: مكتبة الحلبي ، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م .
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- التعريفات ، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة: دار الريان، ١٤٠١هـ- ١٩٨٤م.
- ـــــــ ، تحقيق: فلوجل، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٩م.
- التعليقة، لأبي الأسود الدؤلي، تحقيق: محمد خير الدين البقاعي، الرياض: مجلة العرب ع ٧-٨ مج ٤٢ لسنة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- توشيح الديباج للقرافي، تحقيق: الدكتور علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١. ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- التوطئة للشلوبين، تحقيق: الدكتور يوسف المطوع، القاهرة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري ، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي ، تحقيق: الدكتور صالح عبد الحميد حمدان، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٠ .
- جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنين، للمحبي، القاهرة: دار زاهد القدسي، د. ت.
- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت: المكتبة العلمية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٨٦م.
- حدود الأبذي ، تحقيق: الدكتور خالد فهمي إبراهيم، القاهرة: مكتبة الآداب، ط١- ٢٠٠٨م.

- حدود النحو، للرماني، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي ، ضمن رسالتان في اللغة، الأردن: دار الفكر، عمان، ١٩٨٤م.
- الحدود النحوية، للفاكهي، تحقيق: الدكتور علي توفيق الحمد، الأردن: إربد، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لزكريا الأنصارى، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، دبى ـ بيروت: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ودار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- درة الحجال في أسماء الرجال، للمكناسي، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٠م.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسية ، تأليف: الدكتور عبدالله كنون، قدم له واعتنى به ورتب تراجمه إلى طبقات: الدكتور محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم.
- الذيل على رفع الإصر (بغية العلماء والرواة، للسخاوي)، تحقيق: الدكتور جودة هلال ومحمد محمود صبح، ومراجعة علي البجاوي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- رسالة الحدود النحوية للعقباني، تحقيق: الدكتور إبراهيم سليمان البعيمي، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، مج ٧ ع رجب / ذو الحجة ، ١٤٢٣هـ سبتمبر ، فبراير ٢٠٠٢- ٢٠٠٣هـ.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق: مجمع اللغة العربية ، ١٣٩٤هـ.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد محمد مخلوف، تحقيق: الدكتور علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٦م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، بيروت: المكتب التجاري، ونسخة مطبعة القدس، القاهرة ١٣٥١هـ.

● شرح الألفية، للأشموني، القاهرة: مكتبة الحلبي د. ت.

● شرح الألفية، لابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت - القاهر: المكتبة العصرية، والمكتبة التجارية ، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

● شرح الألفية، (توضيح المقاصد بشرح ألفية ابن مالك)، للمرادي، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠١م.

● شرح الألفية للمكودي، تحقيق: الدكتورة فاطمة الراجحي، القاهرة: الدار المصرية السعودية، ٢٠٠٤ م.

● شرح الألفية ، لابن الناظم، تحقيق: الدكتور عبد الحميد السيد، بيروت: دار الجيل د. ت.

● شرح الحدود النحوية، للفاكهي، تحقيق: الدكتور صالح حسين العايد، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

وطبعة أخرى تحقيق: الدكتور محمد الطيب الإبراهيمي، بيروت: دار النفائس، ط١. ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

● شرح حدود النحو للأبذي، لابن قاسم المالكي، تحقيق ودراسة: الدكتور خالد فهمي إبراهيم، القاهرة: مكتبة الآداب، ط١. ١٤١٩هـ- ٢٠٠٨م.

● شرح الرضي على الكافية ، تحقيق: الدكتور يوسف حسن عمر، بنغازي: جامعة قاريونس، ١٩٩٦م.

● شرح الكافية الشافية، لابن مالك ، تحقيق: الدكتور عبد المنعم هريدي، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

● شرح المفصل لابن يعيش، القاهرة: مكتبة المتنبي ، مصورة عن مطبعة المنيرية القاهرة ١٩٢٨-١٩٣١ .

● شرح المقدمة الجزولية الكبير، للشلوبين، تحقيق: الدكتور تركي العتيبي، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

● شرح شذور الذهب، لابن هشام ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية ، ١٩٨٤م.

● الشيخ أحمد زروق وآراؤه الاصلاحية ، تحقيق ودراسة لكتابه عدة المريد الصادق ، إعداد: إدريس عزوزي ، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ط ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

● الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة ، تحقيق نسبه ومدرسته الصوفية، تأليف: الدكتور محمد طيب، ليبيا: دار مكتبة الشعب للنشر والتوزيع، ط٢. ٢٠٠٨م.

● صحيح البخاري ، للإمام البخاري، القاهرة: دار الشعب، القاهرة، د. ت.

● ضرائر الشعر، لابن عصفور، تحقيق: الدكتور السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة، ط٢. ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

● الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، للسخاوي، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥٤هـ.

● طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م.

● الطريقة الشاذلية وأعلامها، تأليف: الدكتور محمد أحمد درنيقة، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب ، ٢٠٠٩م.

● علل التثنية، لابن جني، تحقيق: الدكتور صبح التميمي، مراجعة: الدكتور رمضان عبدالتواب، بيروت: دار أسامة، ط١ ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

● عمدة الحافظ وعدة اللافظ، لابن مالك، تحقيق: عدنان الدوري ، بغداد، ١٣٩٧هـ- ١٩٩٧م.

● عنقود الزواهر في الصرف، للقوشجي ، تحقيق: الدكتور أحمد عفيفي، القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠١م.

● الفتح المبين في طبقات الأصوليين، تأليف: عبد الله مصطفى المراغي، القاهرة ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

● الفهرست ، للنديم ، نشره الدكتور شعبان خليفة، القاهرة ٢٠٠٣م.

● الكتاب، لسيبويه ، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ-

١٩٨٨م.

● كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تحقيق: الدكتور لطفي عبد البديع، ترجم نصوصه الفارسية: الدكتور محمد عبد النعيم حسانين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

● كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكي ، تحقيق: الدكتور علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٤م.

● الكليات ، للكفوي ، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

● الكناش صور من ذكريات الحياة الأولى، تحقيق: الدكتور علي فهمي خشيم، ليبيا :المنشأة العامة للنشر، ١٩٨٠م.

● ما ينصرف وما لا ينصرف ، للزجاج، تحقيق: الدكتورة هدى قراعة، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

● مجالس ثعلب، تحقيق ، عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠م.

● المستشرقون ونشر التراث، تأليف: علي بن إبراهيم النملة، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

● ما يجوز للشاعر في الضرورة (ضرائر الشعر) للقزاز القيرواني، تحقيق: الدكتور محمد زغلول سلام، والدكتور مصطفى هدارة، الإسكندرية: منشأة المعارف .

● ما يحتمل الشعر من الضرورة، للسيرافي، تحقيق وتعليق: الدكتور عوض بن حمد القوزي، الرياض: جامعة الملك سعود، ط٣. ١٤١٤هـ- ١٩٩١م.

● المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

● المعجم المفصل في علوم اللغة، إعداد: الدكتور محمد التونجي، والأستاذ/ راجي الأسمر . مراجعة الدكتور إميل يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

● معجم المؤلفين ، لعمر كحالة، بيروت، ١٩٨٥م.

- معجم المؤلفين الصوفيين، تأليف: الدكتور محمد أحمد درنيقة، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٤م.
- معجم المصطلحات النحوية، للدكتور سمير اللبدي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، لسركيس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت.
- معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض، للدكتور محمد إبراهيم عبادة، القاهرة: مكتبة الآداب ، ٢٠٠١م.
- المعجم الوافي في النحو العربي، صنفه: الدكتور علي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزغبي، بيروت: دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٤م.
- المعجم الوافي في النحو والصرف والإعراب، إعداد: الدكتور إميل بديع يعقوب، لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب ، ط١. ٢٠١١م.
- المعرَّب من الكلام الأعجمي، للجواليقي، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦١م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام ، تحقيق: الدكتور عبد اللطيف الخطيب، الكويت، ١٤١٢هـ- ٢٠٠١م.
- ــــــــ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة: مكتبة الحلبي، د. ت.
- المقرَّب ، لابن عصفور، تحقيق: الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، والدكتور عبدالله الجبوري، بغداد، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي، تحقيق: مجموعة من العلماء، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط١. ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، بغداد: وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد، ١٩٨٢م.
- المقدمة الجزولية، للجزولي ، تحقيق: الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد، القاهرة، ١٩٨٨م.

- المقصور والممدود، لابن السكيت، تحقيق: الدكتور محمد محمد سعيد، القاهرة: مطبعة الأمانة، ط١. ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- المقصور والممدود، لابن ولاد، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢. ١٤١٢هـ- ١٩٩٣م.
- المناهج والأطر التأليفية في تراثنا ، للدكتور محمد لطفي الصباغ، الرياض، سنة ١٩٨٩م.
- المكتفي في الوقف والابتداء، لأبي عمرو الداني، حقق نصه وعلق حواشيه: الدكتور محي الدين عبد الرحمن رمضان، الأردن: دار عمار، ط٢. ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- مورد البصائر لفرائد الضرائر، تحقيق ودراسة: الدكتور حازم سعيد يونس، الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع، ط١. ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتبكتي، نشره: الدكتور عبد الحميد الهرامة، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية ، ١٩٨٩م.
- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق: الطاهر الزاوي، والدكتور محمود الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.
- هدية العارفين ، لإسماعيل البغدادي، استانبول ١٩٤٥م، مصورة دار الفكر، بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبدالحسن الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان ، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٢م.

الحقائق الغائبة حول كتاب "الشعر والشعراء". لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وإصلاح طبعة الشيخ أحمد شاكر

أ. محمد صالح إبراهيم فرحات(*)

على سبيل التقديم

حينما قرأت نقد العلامة الراحل السيد أحمد صقر. ت ١٩٨٨م. لطبعة الشيخ الجليل أحمد شاكر- ت ١٩٥٨ م. من كتاب "الشعر والشعراء"، لابن قتيبة. ت ٢٧٦ هـ. أثار في نفسي شكوكًا، وفتح أمامي أبواب الاحتمالات، وزادها في صدري ما أعرفه عن السيد صقر من طباع؛ فهو يشير ويدل ويضرب الأمثال الصادقة، ولا يستقصي في الذكر والتصريح، ويعرف ويضمر أضعاف ما يذيع وينشر، وتأبى همته الدنو من أي نص سبقه إليه أحد، وإن كان أنفق فيه الجهد والعمر يزمع نشره[1]!!

وأيضا ظروف نشر كتاب "الشعر والشعراء"، فالشيخ أحمد شاكر لم يرجع في نشرته تلك إلى أي نسخة مخطوطة - كما صرح -، بل اعتمد على طبعة دي غويه وحدها، يأخذ منها ويدع، وذلك باب واسع ترد منه الأخطاء تترى .

وكان لا بد من تحرير الأمر، والوصول فيه لبرد اليقين، فكانت رحلة جمع ما أمكن من أصول الكتاب: المخطوط منها، والمطبوع لدرسه وفحصه، وقراءة كل ما كُتِب حول الكتاب، وعرضه على الحقائق التي أمدَّتنا بها مخطوطات الكتاب الأصيلة، والحكم عليها في ضوئها.

وخلاصة ما يمكنني قوله في هذا التقديم هو أن تلك الطبعة الذائعة بين أيدينا - طبعة أحمد شاكر - وأصلها - طبعة دى غويه - طبعة ملفقة من إخراجتين -على الأقل - أخرجهما ابن قتيبة، وقد غيَّر وبدَّل ، وزاد ونقص ، وبتر ووصل ، وحذف وأبقى ، وصوَّب وصحَّح من أول عنوان الكتاب إلى نهايته ، وهو وإن لم يرجع عن لب ما آمن به واعتقد من رأى أو مذهب، إلا أنه لا ينبغي الحكم عليه إلا من خلال قوله الأخير الذى ارتضاه لنفسه - كما هو معروف ومقرر - ، وإن في جعل الناسخ جوار المنسوخ دون

(*) محقق وباحث في التراث.

(١) وقفت على ذلك منه مرارًا، ولو ذكرتها لخرجت عن موضوع البحث إلى بيان الطبيعة الخاصة لشخصية الراحل السيد صقر، وعسى أن أكتب في ذلك مقالا كاشفا.

التنبه لذلك مدعاةً لاتهام أبى محمد بن قتيبة بالاضطراب والوهم - كما حدث.

ولقد شرعت في تحقيق جديد للكتاب أفصل فيه بين الإخراجتين ، ليستبين الناسخ من المنسوخ، غير أنى وجدت نفسى في مرية من أمري :أأعيد غالب نصوص الكتاب وتراجمه في إخراجتين منفصلتين لحرف زاد أو نقص أو كلمة أو جملة؟

وهذا وإن كان له فوائد، فهو كثير لا يقبل! أم أكتفى بالإخراجة الثانية؟ فهي كلمته الأخيرة؛ ولكن الإخراجة الأولى سارت بها الركبان، ونقل عنها الأقدمون والمحدثون، وفيها ما ليس في الثانية.

أم غير هذا وذاك، فأحاول في بحث إصلاح طبعة الشيخ أحمد التي انتشرت وسادت، وكُتِبَ لها القبول والانتشار والثقة.

وكان هذا الرأي الأخير أقرب للسداد والوفاء، فدونكم ما حررتُ، راجيًا لي ولكم النفع في الدنيا والآخرة.

ورحم الله ابن قتيبة الإمام العالم العامل، والأستاذين الجليلين: أحمد شاكر، والسيد صقر على ما بذلا وقدَّما، وشكرٌ منى واعترافٌ بدور وفضل الأستاذ الدكتور عبد الحكيم راضي في هذا البحث إيمانًا وعونًا وتشجيعًا.

إيجاز قبل التفصيل

أخرج أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - ت ٢٧٦هـ -كتابه " الشعر والشعراء" مرتين - أو أكثر - اختلفت في المسمى والمتن زيادة ونقصًا طال كل أجزاء الكتاب.

ولم يشر هو إلى صنيعه هذا، ويبدو أن أحدًا من سلفنا الجليل لم يقف على ذلك ؛ بل وقع لكل واحد منهم نسخة عن إحدى الإخراجات، ينقل عنها ولا يتفطن لوجود غيرها.

وحين بدأ المستشرقون في جمع التراث العربي من أقطاره المختلفة، ثم تفرغوا لدرسه ونشره، فاجأهم وجود صور مختلفة لكتاب "الشعر والشعراء " وأمام تشابه المتن، وتكرار أغلبه، وإزاء صعوبات النشر لديهم وضرورة الاقتصاد، كان الجمع بين تلك الإخراجات في نشرة واحدة تتخذ من إحداها أساسًا، مع تميز زيادات الإخراجات الأخرى بأقواس الزيادة في المتن، وأما الاختلافات فتكون في الحواشي، كان ذلك هو الحل الوحيد أمامهم مع نص لا يمكن الاستغناء عن أي جزء من صوره، فجلّها قد عرفه الأقدمون ونقلوا عنه.

وقد ذكر ناشر الكتاب المستشرق دي غويه كل ذلك في مقدمة تحقيقه بإيجاز شديد، وكانت طبعته تلك سنة ١٩٠٢ م جليلة الفائدة، عزيزة الوجود، الأمر الذي دفع العلامة الجليل الشيخ أحمد شاكر إلى النهوض بتحقيق جديد للكتاب؛ ليوفر نسخًا صحيحةً للكتاب.

لكنه اعتمد على تلك الطبعة وحدها في نشرته، ولم تسعفه ترجمة مقدمة دي غويه المقتضبة -كعادتهم- في جلاء الأمر، ولم ير الشيخ أية مخطوطة للكتاب، واكتفى بعرض متن الكتاب على ما بين يديه من مراجع، وأخرج نشرته ما بين سنتي ١٩٤٦، ١٩٥٠ م لتكون أشهر طبعة للكتاب، وأكثرها حظوة بين الناس.

خرج الكتاب إذن في حال عجيبة، لا نظير لها فيما بين أيدي الناس من كتب تراثهم، حال جمعت بين الناسخ والمنسوخ على السواء، ولفقت بين إخراجات الكتاب تلفيقًا محكمًا، وقد احتفظت خلال متنها بحواشي القراء، وأهدرت الزيادات الأصيلة من نصها !! شأنها في ذلك شأن أصلها الأعجمي

لكن باحثًا عربيًا فردًا وقف على شيء كبير من حقيقة الأمر، فنبه إلى (أن طبعة ليدن لا تصلح وحدها لأن تكون أساسًا لنشر الكتاب نشرًا علميًا، يجعل القارئ على ثقة من أن الكتاب كما ألَّفه مؤلفه) ويجب (التماس المخطوطات؛ ليخرج الكتاب كما كتبه صاحبه غير ملفق ولا ناقص كما هو الآن).

لكن تلك الدعوة الصريحة ذهبت هباءً، فإن أحدًا من الذين درسوا ابن قتيبة عامةً، أو كتابه -الشعر والشعراء -خاصة لم ينهض لتحرير ذلك الأمر، بل أخذ الباحثون يحللون الكتاب، ويعللون ويفسرون، وتارة يحاجون ابن قتيبة في صنيعه في الكتاب - كما ظنوا-والحقيقة غير ذلك لو كانوا يعلمون !!

حتى صاحب تلك الصيحة الهادرة - السيد أحمد صقر - لم يدفع في سبيل كشف تلك الحقيقة بالأدلة الدامغة ولو بحرف واحد حتى مات-رحمه الله -، الأمر الذي أدى في النهاية إلى تلقي الكتاب بالقبول والرضا، وانتشرت تلك الطبعة، وتداولها الناس، بل عدوها أصدق طبعات الكتاب!!

الخبر مفصلا

في سنة ١٨٧٥م خرجت الطبعة الأولى لكتاب " الشعر والشعراء"، لابن قتيبة في مدينة ليدن، تحقيق المستشرق ريترهوزن، عن مخطوطة كانت في حوزة المستشرق الفرنسي شفر وحدها[١] فظهر الكتاب لأول مرة مطبوعًا ممثلا للإخراجة الأولى باسمها وصفتها، وعنها ذاع وانتشر بين الناس.

لكن في سنة ١٩٠٢م أخرج المستشرق الهولندي الكبير دي غويه طبعته من كتاب "الشعر والشعراء" في مدينة ليدن، معتمدًا على عدة أصول خطية من ڤينا، وبرلين، وباريس والقاهرة عارضها له عدد من علماء الاستشراق أمثال :هرتمن ، وريتر هوزن ، ونولدكه، بالإضافة إلى الأصل الذى اعتمده هو ، وهو مخطوطة ليدن[٢] وجاءت تلك النشرة من الكتاب في حال عجيبة غير مألوفة في الكتب عامة؛ فقد أسفر ذلك الجهد من الجمع للنسخ والمعارضة بينها عن اكتشاف دي غويه (أن المؤلف أملى كتابه من كراسته في فترات مختلفة، فكان يستعمل في كل مرة عبارات متغايرة ، ويضيف أحيانا عبارات من عنده، ويهمل عبارات كان قد أملاها في مرة سابقة ، ونص بعض العناوين وخصوصًا في الجزء الأول من الكتاب يختلف في بعضها عن بعض في مختلف المخطوطات إلى حد أنه ينبغي أن تنشر مستقلة)[٣].

(والحق أن الخلاف بين النسخ اختلاف هائل ليس في سطر أو سطرين أو صفحة أو صفحتين، بل في فصول وتراجم بأكملها، فامرؤ القيس، وزهير، والنابغة، والمتلمّس، وطرفة، وأوس بن حجر، والمرقش الأكبر، والمرقش الأصغر، وعلقمة الفحل، وعدى بن زيد[٤] كل شاعر من هؤلاء له ترجمتان متتاليتان كل واحدة منها تباين الأخرى في أسلوبها ومنهجها، وتخالفها في ترتيب عناصرها)[٥].

والواقع أن دي غويه عندما فوجئ بهذه المخالفة الواسعة بين النسخ ،ووقوفه على

(١) مقدمة تحقيق دي غويه المترجمة والمنشورة في مقدمة تحقيق أحمد شاكر للكتاب، ص ٤٢ .

(٢) السابق

(٣) السابق ص ٤٣

(٤) وأيضًا عباس بن مرداس له ترجمتان ص ٣٠٠، ٧٤٦ ط شاكر - وص ١٦٦، ٤٦٨ ط دي غويه .

(٥) من نقد السيد صقر لتحقيق أحمد شاكر لكتابنا. والمنشور في مقدمة تحقيق شاكر ص ٩. ويقصد بقوله (ترجمتان متتاليتان) صنيع دي غويه في نشرته. فكل ترجمة تعود إلى إخراجة لم يستطع الرجل التخلي عن إحداهما بالأخرى لشدة الاختلاف فنشرهما متتاليتين.

نقل ابن خلكان في "الوفيات" وأبو الفرج الأصفهاني في "الأغاني" عن الإخراجة الثانية، ونقل عبد القادر البغدادي في " خزانة الأدب " عن الإخراجة الأولى[١].

وإزاء ضرورة الاقتصاد في طباعة الكتب العربية التي لا يعنى بها إلا طائفة زهيدة في الغرب، هم علماء الاستشراق وطلبته[٢] - كان ذلك المسلك العجيب من دي غويه في نشر ذلك الكتاب، فأدمج بين الروايتين جاعلا الإخراجة الثانية أصلا[٣] والأولى في الحاشية عند الاختلاف في الكلمات أو العبارات، وبين قوسين في المتن عند الزيادة والانفراد[٤] وأشار إلى صنيعه ذلك كله في مقدمة تحقيقه وحاشية الصفحة الأولى من تحقيقه[٥].

وفى مصر طبع كتاب "الشعر والشعراء" عدة طبعات، اعتمدت على مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٥٥٠ أدب، والتي تمثل الإخراجة الأولى للكتاب، (طبعات سقيمة مبتورة، كثيرة التصحيف والتحريف، لا تعد شيئًا مذكورًا بالقياس إلى طبعة ليدن الثانية ... بيد أن الحصول على نسخة منها - طبعة ليدن الثانية - قد أصبح متعذرًا، بل مستحيلا، فتشوفت النفوس إلى طبعة جديدة تغنى عنها أو تسد مسدها، واستشرف الناس إلى من ينتدب نفسه للقيام بهذا العمل الخطير، حتى ارتضى الأستاذ العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر أن ينهض بتلك المهمة الشاقة)[٦].

لكن الشيخ أحمد ـ أجزل الله له المثوبة - سلك في نشره لهذا الكتاب مسلكًا غريبًا عليه[٧]، وبعيدًا عن النهج العلمي السديد فعلى كون قراءته للنص أصلحت كثيرًا مما أخطأ فيه المستشرقون الأعاجم ، وعلى استفادته من التخريج وما وقف عليه من مصادر

---

(١) مقدمة دي غويه ص ٤٢، ٤٤ .

(٢) (كانوا لا يطبعون قط من أي كتاب نشروه أكثر من خمسمئة نسخة توزع على مراكز الاستشراق في أوربة وأمريكة) رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا، ص ٥٥.

(٣) قال دي غويه في مقدمته، ص ٤٣، ٤٦ (والأصل في هذه الطبعة هو نسخة ليدن المخطوطة التي صححها بريم وسوكين من مخطوطة دمشق)

(٤) قال، ص ٤٦: (فأخذت ما في نسختي: فينا، وباريس، ووضعت زياداتهما بين قوسين هكذا (.....) .)

(٥) كلاهما ترجمه الأستاذ وهيب كامل، المدرس بكلية الآداب جامعة القاهرة، ونشرهما الشيخ أحمد شاكر في مقدمة تحقيقه، ولكن بعد تأمل مديد لتلك الترجمة أظن أن الأستاذ وهيب قد جانبه التوفيق في مواضع عديدة من الترجمة، فشل فيها في فهم المقصود، وأبعد النجعة في عود الضمائر على مقاصدها، مما جعلها ترجمة مضلة غير واضحة .

(٦) من مقالة السيد صقر المانعة، ص ٧ .

(٧) تحقيقاته السالفة مثل " الرسالة " للشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، " ولباب الآداب " لأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) لا يتفق نهجها العلمي بصنيعه هذا في "الشعر والشعراء"

ومراجع ، إلا أنه - كما قال وفعل - (اعتمد في تحقيق الكتاب على طبعة ليدن سنة ١٩٠٢)[١] وحدها، واعتذر عن الحصول على صور النسخ المخطوطة بظروف الحرب العالمية الثانية[٢] ، وفى المخطوطات الموجودة في دار الكتب المصرية - وقد كان خبرها عنده كما ذكر في مقدمته[٣] - وحدها كفاية ، لو كان فعل ! ولكان لنشر ذلك الكتاب الجليل شأن آخر[٤] وبعد نشر الجزء الأول من الكتاب نشر العلامة الكبير السيد أحمد صقر نقدًا عاليًا مدويًا لذلك التحقيق ، أومأ فيه إلى حقيقة الأمر وجلية الصواب، وضرب لذلك الأمثال ، وقدم الدلائل والبراهين الساطعة ، قال : (وكنت أحسب أن هذه التراجم الثنائية ستحفز الأستاذ إلى التماس المخطوطات ليخرج الكتاب كما كتبه صاحبه غير ملفق ولا ناقص[٥] كما هو الآن، فقد تبينت أن بعض النصوص التي نقلها الأقدمون عنه لا توجد فيه ، كل ذلك يثبت لنا أن طبعة ليدن لا تصلح وحدها لأن تكون أساسا لنشر الكتاب نشرًا علميًا يجعل القارئ على ثقة من أن الكتاب كما ألفه مؤلفه لم تعبث به أيدى الماسخين أو الناسخين ؛ لكن الأستاذ قد اعتمدها واتخذها إماما لطبعته واتبعها حتى فيما لا ينبغي أن تتبع فيه)[٦] وبعد أربع سنوات من صدور الجزء الأول يصدر الجزء الثاني سنة ١٩٥٠م من الكتاب، وقد حال سفر الشيخ أحمد للحج بينه وبين إتمامه الجزء الأخير منه، ليتمه الأستاذ عبد السلام هارون، ولينقده الأستاذ صقر بمقال جديد[٧].

وتعجل المنية الأستاذ الشيخ أحمد شاكر عن إتمام مراجعة الطبعة الثانية، فيموت ولم يطبع منه سوى بضع ملازم سنة ١٩٥٨م[٨]، والمؤسف حقا هو أن الشيخ - فيما

---

(١) مقدمة تحقيقه، ص ٣٩.

(٢) السابق، ص ٤٠.

(٣) السابق، ص ٣٨.

(٤) قال السيد صقر في نقده للتحقيق، ص ٢٣ (أما الملاحظات التي تتعلق بمراجعة الكتاب بالمخطوطات فكثيرة جدًا. ولو رجع إليها الأستاذ لغيَّر في الكتاب وبدَّل . وقدَّم وأخَّر. وبتر ووصل، وزاد ونقص. ولظهر الكتاب في صورة أخرى)

(٥) تأمل مليًا هاتين الكلمتين. فأما الأولى فالكتاب فعلا ملفق من إخراجات متعددة، قد جمعت الناسخ إلى المنسوخ، والخطأ إلى الصواب. وأما الثانية فخطيرة جدًا. ولقد وقفت على بعض مواضع ذلك النقص، لكن ما أخشاه حقًا أن يكون صدر الأستاذ صقر قد طوى علي أكثر ممَّا عرفنا، فقد كان واسع العلم بعيد الغور . رحمه الله . .

(٦) مقالته النفيسة، ص ٩ .

(٧) كل ذلك منشور في مقدمة طبعة شاكر، ص ٢٥ وما بعدها، وص ٣١ وما بعدها. وتأمل مليًا صنيع الشيخ أحمد: إذ نشر نقد السيد صقر في مقدمة تحقيقه: فضرب لنا مثلا عاليًا رفيعًا للتواضع . رحمه الله . .

(٨) قول أسامة أحمد شاكر في خاتمة الطبعة الثانية، ص ١٠٣٩ .

يبدو-قد تهيأ له ولأول مرة مخطوطة للكتاب، واستعد لمعارضتها، لكن الزمان لم يسعفه، فوضع رمزها مع سائر رموز أصول طبعة ليدن، ولكن لا أثر لها في حواشي الكتاب[١] وتصدر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧م، وقد زعم الأستاذ أسامة أحمد شاكر أن الأستاذ السيد صقر قد راجعها و (بذل جهدًا كبيرًا في هذه الطبعة)[٢] ولا أثر لشيء مما زعم أو ظن!

وليتوقف البحث والدرس لأصول كتاب "الشعر والشعراء"، لابن قتيبة عند هذا الحد، فلا الأستاذ صقر يمدُّ فيه يدًا، ولا ينبس ببنت شفة حتى يتوفاه الله سنة ١٩٨٨ م، ولا أحد يتابع في درس ذلك الأمر حتى يكشف عن جليته، ويذعن الناس لطبعة شاكر، حتى يعدها بعض الأفاضل من أهل العلم (أصدق طبعاته)[٣]، ويقرر آخر أنه (لا شك أن هذه الطبعة هي أكمل ما بين أيدينا من نسخ الكتاب)[٤].

بل ينهمك الباحثون في درسها وتحليلها، وكأنها لا حوب فيها ولا إثم، ولا نقص ولا خلل، ويسرع الظن بالدارسين إلى أن ابن قتيبة ألّف كتابه هكذا، قال صاحب كتاب "ابن قتيبة، العالم الناقد الأديب" : (ويتبع ابن قتيبة في تراجم الشعراء طريقة غريبة، فهو يبدأ بإيراد اسم الشاعر وبعض أخباره، ثم يذكر بعض النصوص المختارة له، كل ذلك في إيجاز شديد. وبعد ذلك يتناول الشاعر في شيء من الإطناب مرة أخرى وتلك طريقة لها مزاياها ولها عيوبها ... إلخ)[٥] والأمر كله من صنع دي غويه، فهو من جمع -بتمييز- بين الناسخ من المنسوخ، ومن جاء بعده لم يفقه صنيعه، وكان ما كان!!

(١) مخطوطة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، ص ٥٧ من مقدمة التحقيق .

(٢) خاتمة الطبعة الثانية، ص ١٠٣٩ .

(٣) الموجز، ص ٦٠ .

(٤) دراسة في مصادر الأدب، ص ١٦٢ .

(٥) ص ٢٩٨. أفلا يرجع إلى المكتوب، ويقارن بين نص الترجمتين ليرى البون الواسع بينهما، والخلاف في القول؟!.

الإخراجة الأولى

سماتها - محتواها - أصولها

سماتها

كافة أصولها جاءت تحمل ذلك الاسم الشهير الذي عرف به الكتاب، أعنى "الشعر والشعراء"، وهي تسمية تتطابق مع محتوى الكتاب، فالكتاب انقسم إلى جزأين غير متكافئين في الحجم والجهد العقلي والنقدي، فالجزء الأول يمثل المقدمة النقدية التي أبان فيها ابن قتيبة عن آراءه النقدية في الشعر والأدب

أما الثاني فإخباري تاريخي، سرد فيه تراجم الشعراء وأخبارهم، مع نظرات نقدية متناثرة.

محتواها

- يمكن تحديد الجزء الأول من خلال طبعة أحمد شاكر باستخدام الأرقام التي قسمت فقرات النص بواسطتها، ويشغل الجزء الأول الأرقام التالية:

من ١:٢٩، ٣١:٤٥، ٤٨:٧٠، ٧٢:٧٣، ٧٥:٩٢، ٩٥:٩٦، ٩٩:١٠٧، ١٠٩:١١٤، ١١٤:١١٧، ١١٧:١١٨، ١٢٠، ١٢٦:١٣٢، ١٣٦:١٣٨

أما الجزء الثاني، والذي يتكون من تراجم الشعراء، فتيسر تراجمه على الترتيب التالي:

١- امرؤ القيس
٢- النابغة الذبياني
٣- زهير بن أبى سلمى
٤- أوس بن حجر
٥- طرفة بن العبد
٦- المتلمس
٧- الحارث بن حلزة
٨- المرقش الأكبر
٩- المرقش الأصغر
١٠-علقمة بن عبدة
١١-الأفوه الأودى
١٢- المسيب بن علس
١٣- كعب بن زهير
١٤- عدى بن زيد
١٥- عمرو بن كلثوم
١٦- أبو دؤاد الإيادى
١٧- حاتم الطائى
١٨ - عنترة العبسى
١٩ - أعشى قيس
٢٠- عبيد بن الأبرص
٢١- بشر بن أبى خازم
٢٢- سلامة بن جندل
٢٣- لبيد بن ربيعة
٢٤- زيد الخيل
٢٥ - النابغة الجعدي
٢٦- مهلهل بن ربيعة
٢٧- العباس بن مرداس
٢٨- أبو زبيد الطائي
٢٩ - حسان بن ثابت
٣٠- النمر بن تولب
٣١- تأبط شرا
٣٢، ٣٣ الشماخ ومزرد
٣٤- الحطيئة
٣٥- النجاشي
٣٦- عامر بن الطفيل
٣٧، ٣٨ - مالك ومتمم ابنا نويرة
٣٩- خفاف بن ندبة
٤٠- الخنساء
٤١- المساور بن هند
٤٢- ضابئ البرجمى
٤٣ - مالك بن الريب
٤٤- ابن أحمر
٤٥- ابن مفرغ
٤٦- سليك بن السلكة .
٤٧- ابن فسوة
٤٨- عمرو بن معدي كرب
٤٩، ٥٠- ابنا خذاق: يزيد وسويد
٥٢- عمرو بن قميئة
٥٢- زهير بن جناب
٥٣ - الأضبط بن قريع
٥٤- المستوغر
٥٥- أبو الطمحان .
٥٦- حميد بن ثور
٥٧- المثقب العبدى
٥٨- الممزق العبدى
٥٩- ابن دارة
٦٠- المنخل اليشكرى
٦١- المغيرة بن حبناء
٦٢- عبد بنى الحسحاس
٦٣- نصيب
٦٤- العديد بن الفرخ
٦٥- الراعى
٦٦- أفنون
٦٧- المخبل
٦٨- سويد بن أبي كاهل
٦٩- أبو محجن
٧٠- عمرو بن شأس
٧١- ابن الطثرية
٧٢- زياد الأعجم
٧٣- جميل العذرى
٧٤- توبة بن الحمير
٧٥- ليلى الأخيلية
٧٦- شبيل بن ورقاء
٧٧- طفيل الغنوى
٧٨- ابن مقبل
٧٩- أمية بن أبى الصلت
٨٠، ٨١- أبوه : أبو الصلت وابنه : القاسم
٨٢- خليد عينين
٨٣- جرير
٨٤- الفرزدق
٨٥- الأخطل
٨٦- البعيث
٨٧- اللعين المنقرى
٨٨- الصلتان

٨٩- كثير
٩٠- الأحوص
٩١- أرطأة بن سهية
٩٢- ذو الرمة
٩٣- نهار بن توسعة
٩٤- ابن قيس الرقيات
٩٥- أيمن بن خريم
٩٦- مسكين الدرامى
٩٧- عمر بن أبى ربيعة
٩٨- الأقيشر
٩٩- المجنون
١٠٠ - العرجى
١٠١- موسى شهوات
١٠٢- عروة بن أذينة
١٠٣- الكميت بن زيد الأسدى
١٠٤- وابنه المستهل
١٠٥- الطرماح
١٠٦- العجاج
١٠٧- رؤبة بن العجاج
١٠٨- أبو نخيلة
١٠٩- أبو النجم
١١٠- دُكين الراجز
١١١- الأغلب الراجز
١١٢- أبو دهبل الجمحى
١١٣- عدى بن الرقاع
١١٤- عروة بن حزام
١١٥ قيس بن ذريح
١١٦- عمرو بن الأهتم

١١٧- سويد بن كراع
١١٨ - ابن غلفاء
١١٩- نهشل بن حرى
١٢٠- أبو الغول
١٢١- الأعور الشنى
١٢٢- حريث بن محفض
١٢٣- سحيم بن الأعرف
١٢٤- سحيم بن وثيل
١٢٥- فرعان بن الأعرف
١٢٦- خداش بن زهير
١٢٧- الحصين بن الحمام
١٢٨،١٢٩- كعب وعمير ابنا جعيل .
١٣٠- عبد الله بن همام
١٣١- هدبة بن الخشرم
١٣٢-وزيادة بن زيد العذريان
- شعراء هذيل
١٣٣- أبو ذؤيب
١٣٤ المتنخل
١٣٥- أبو خراش وإخواته
١٣٦- عروة بن مرة
١٣٧- أبو جندب بن مرة
١٣٨- خويلد بن مطحل
١٣٩ - مالك بن الحارث
١٤٠- أسامة بن الحارث
١٤١- أمية بن أبى عائذ

١٤٢- صخر الغى
١٤٣- أبو العيال
١٤٤- أبو كبير الهذلى
١٤٥- عروة بن الورد
١٤٦- طريح الثقفى
١٤٧- عمر بن لجأ
١٤٨- أبو الهندى
١٤٩- الكذاب الحرمازى
١٥٠- مرة بن محكان
١٥١- أوس بن مغراء
١٥٢- أبو الزحف الراجز
١٥٣- السرادق الهذلى
١٥٤- سعد بن ناشب
١٥٥- المرار العدوى
١٥٦- المرار بن سعيد الأسدي
١٥٧- أبو وجزة السعدي
١٥٨- الشمردل
١٥٩- القتال الكلابي
١٦٠- القلاخ بن جناب
١٦١- ذو الإصبع
١٦٢- البردخت
١٦٤- خلف بن خليفة
١٦٥- العجلاني
١٦٦- جران العود العبدي
١٦٧ - القطامى
١٦٩- أبو الأسود الدؤلى

١٧٠- ابن الدمينة	١٧٧- ابن هرمة	١٨٣- ابن ميادة
١٧١- أبو جلدة	١٧٨- العماني الفقيمي	١٨٤- أبو حية النميري
١٧٢- الأجرد	١٧٩- بشار بن برد	١٨٥- أبو دُلامة .
١٧٣- مدرج الريح	١٨٠- سديف	١٨٦- حماد عجرد
١٧٤- أنس بن أبى إياس	١٨١- مروان بن أبى حفصة	١٨٧- مالك بن أسماء
١٧٥- المقنع الكندى		١٨٨ - عبيد بن أيوب
١٧٦- يحيى بن نوفل	١٨٢- أبو عطاء السندي	١٨٩- الأُحمير السعدى

أصول الإخراجة الأولى

١- نسخة راغب باشا بتركيا

أقدم ما وقفت عليه من مخطوطات الكتاب عامة؛ فقد "كتبها وذهبها أصغر الممالك على عبدالملك الأشرفي[(١)]" في عبان سنة عشرين وستمائة[(٢)] من الهجرة، وذلك "بخزانة... السلطان الملك الأشرف العالم الشاعر أبي التسبيح موسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب..."[(٣)].

وعليها إفادات وتوقيعات وتملكات كثيرة لم أحقق أكثرها، وخِتم مكتبة راغب باشا واضح جلي.

وهي مكتوبة بخط نسخ جميل من خطوط القرن السابع الهجري، محلّى بعلامات الإهمال والضبط والتقييد: كالحاء الصغيرة تحت كل حرف حاء، وما يشبه الطائر أو كما يسميه المعاصرون الميدان فوق كل حرف سين، والهاء اللطيفة فوق كل هاء مربوطة، وكذلك أسفل كل طاء أخرى بخط دقيق.

وهى مضبوطة بالشكل الكامل، وبأولها فهرس ضم كل أسامي الشعراء الموجودين بالكتاب، وعدد أوراقها ١٦٤ ورقة، وجاء الاسم فيها "الشعر والشعراء". وهي أصل نسخة داراالكتب المصرية رقم ٥٥٠ أدب. كما صرح ناسخها فى ختام النسخة. ونسخة فينا[(٤)].

---

(١) طرّة المخطوطة.

(٢) خاتمة النسخ.

(٣) المتوفى سنة ٦٣٥هـ. وله سيرة حسنة وحب للعلم وأهله. لا سيما أهل الحديث. وقد بنى لهم دار الحديث بدمشق. ونقل إليها كتبًا سنية. البداية والنهاية ج ١٣. ص ١٥١. شذرات الذهب ج ٥، ص ١٧٥.

(٤) سأعرض لذلك عند الحديث عنها.

٢-نسخة دار الكتب المصرية:

محفوظة في الدار تحت رقم ٥٥٠ أدب، وتقع في ١٠١ ورقة، كتبها (يحيى بن محمد بن رويس ابن القاضي المغربي الزواوي)[١] ، وكان ذلك بقسطنطينية المحروسة في كتب راغب باشا لثلاث ليال خلون من شهر رجب سنة ١٢٨٦هـ[٢]، وفى حواشيها تعليقات توضيحية ، وروايات جاء بعضها عقب قوله (قال الشريف:)، وجاء الاسم على طرتها كتاب "الشعر والشعراء".

٣-نسخة ڤينا:

(كتاب "الشعر والشعراء" ... اشتهر بين العلماء من مخطوطة ڤينا. وترجم نُلدكه مقدمته إلى اللغة الألمانية سنة ١٨٦٤م)[٣] وهذه الترجمة هي المسئولة عن شهرة كتابنا بهذا الاسم -الشعر والشعراء-دون غيره

ونص نسخة ليدن (يختلف في مواضع كثيرة مع مخطوطة ڤينا، وهو في الغالب أغزر منها مادة بكثير ... وقد حمل هذا الاقتضاب نُلدكه على الظن أن مخطوطة ڤينا تشتمل على مختصر لمؤلف ابن قتيبة، وقد أخذ ألورد بهذا الرأي، وأثبته في كتالوج برلين ج ٦ ، ص ٤٧٤ وما بعدها في وصفه للمخطوطة)[٤].

وقد أورد دي غويه في حواشي نشرته بعض التعليقات الموجودة في حواشي نسخة ڤينا، فإذا بها مصدَّرة بقوله (قال الشريف:)[٥] وهي متطابقة مع التعليقات الموجودة في نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥٠ أدب، والتي نُقلت بدورها عن نسخة راغب باشا، ومن ثم نعتقد بأنها فرع عن نسخة راغب باشا .

٤-نسخة شيفر:

(النص في مخطوطة شيفر هذه يتفق مع مخطوطة ڤينا في كل المواضع تقريبًا)[٦].

(مخطوطة ڤينا ... ومخطوطة باريس التي كانت في حوزة شيفر ... تخالفان

(١) من منسوخاته أيضًا نسخة من الحماسة البصرية، في مكتبة الشيخ عبد العزيز الميمني، نسخها بخط مغربي سنة ١٢٨٦هـ. مقال حماسة البصري، ص ٩٣ .

(٢) خاتمة النسخ .

(٣) مقدمة دي غويه، ص ٤٢ .

(٤) السابق.

(٥) نشرة دي غويه ، ص٤ ٨ ح P

(٦) مقدمة دي غويه، ص ٤٢ .

المخطوطات السابقة - نسخة ليدن، وبرلين، والقاهرة - كثيرًا مخالفة شديدة)[١].

٥-نسخة عبد القادر البغدادي التي نقل عنها في كتابه "الخزانة":

(هناك نوع من الأصول هو كالأبناء الأدعياء وهي الأصول القديمة المنقولة في أثناء أصول أخرى؛ فقد جرى بعض المؤلفين على أن يضمنوا كتبهم. إن عفوا وإن عمدًا. كتبًا أخرى أو جمهورًا عظيمًا منها)[٢].

وقد اعتمد عبد القادر البغدادي. ت ١٠٩٣هـ. في تأليفه لخزانة الأدب على كثير من الكتب، ذكر منها كتاب "الشعر والشعراء"، لابن قتيبة[٣].

(ويقتبس كتاب "خزانة الأدب" مواضع كثيرة من كتابنا -الشعر والشعراء-وكثيرا ما يكون ما يقتبسه متفقًا مع نص مخطوطة فينا)[٤]، أي الإخراجة الأولى.

وحينما أخذ الشيخ شاكر في معارضة نصوص الكتاب بما تحت يديه من المراجع، وقف مرارًا على موافقة نقل "خزانة الأدب" عن "الشعر والشعراء" لنص نسختي" فينا، وشيفر[٥].

لكن البغدادي حين يذكر كتابنا فإنه قد يذكره باسم "طبقات الشعراء" لابن قتيبة[٦]، وهذا الاسم علم على الإخراجة الثانية[٧]، ولعل البغدادي وجد غيره يذكره بهذا الاسم فتساهل، ونقوله تشهد بأنه نقل عن الأولى فقط، وتبعها في صوابها وخطئها[٨]؛ بل انقطع تخريج الشيخ شاكر من الخزانة مع قرب انتهاء التراجم الموجودة في الإخراجة الاولى[٩]، ولم يخرج أي ترجمة من زيادات الإخراجة الثانية من خزانة الأدب.

---

(١) مقدمة دي غويه، ص ٤٦ .

(٢) تحقيق النصوص، ص٣٠ .

(٣) مقدمة خزانة الأدب، ج ١ /ص ٢٤ .

(٤) مقدمة دي غويه، ص ٤٤ .

(٥) مواضع كثيرة أبرزها: ص ١٩٧/ح٣، ص ٣٥٣/ح٢، ص ٤٤٢/ ح٤، ص ٥١٠/ح٢، ص ٥٢٧/ح٣ .

(٦) ج١ ص١٠٣، ١٢٧، وغيرها.

(٧) يأتي خبرها لاحقًا .

(٨) مثلا تبع صاحب الخزانة الإخراجة الأولى في أوهامها في ترجمة المثقب العبدى، ص ١٦٠ / الشعر والشعراء، وأشار لذلك محقق ديوان المثقب، ص ١٢٨ . ولا توجد مثل هذه الأوهام في الإخراجة الثانية.

(٩) آخر من خرجت ترجمته من خزانة الأدب هو أبو حية النميري، ص ٧٧٤ ، ط شاكر.

الإخراجة الثانية

سماتها ، محتواها ، أصولها

عاد أبو محمد إلى كتابه - الشعر والشعراء-مرة أخرى، فغيَّر وبدَّل، وزاد ونقص، وبتر ووصل، وحذف وأبقى، وصوَّب وصحَّح من أول عنوان الكتاب إلى نهايته،و تأتى تلك الإخراجة بعد ما تنوعت معارفه وزادت، وأحسن ما لم يكن يحسن، تأتي بعدما ألف واحتنك[١]، وأغلب نسخ تلك الإخراجة تحمل اسم "طبقات الشعراء" وقد طال التغيير مقدمة الكتاب النقدية، وتراجمه الأدبية

الجزء الأول: المقدمة النقدية

لم يغير ابن قتيبة شيئًا من أفكاره النقدية التي سطرها في الإخراجة الأولى، بل عززها بالأمثلة[٢] والأشعار والأخبار[٣] ، وأحيانًا أثبت فكره لمثال كتبه آنفًا[٤]، وغير نسبة بعض الأبيات[٥].

الجزء الثاني:

أما جزء التراجم فهذا قد ناله الجانب الأكبر من التغيير، فغير القتيبي تراجم برمتها، وعدل في أخرى بعض المعارف-خاصة في مسألة الأنساب - وحذف تراجم،و أضاف أخرى، وأعاد ترتيب تراجمه، وزاد في محتواها كثيرًا .

وتسير تراجم الإخراجة الثانية على الترتيب التالي:

---

(١) في تلك الإخراجة الثانية تجده يذكر كتبه التي سبقت ككتاب "العرب" ص ١٠٣، و"الأشربة" ص ٨٥٠.

(٢) زاد في رقم ٣٠ مثالا ثانيًا. وبعد رقم ٤٥ ضرب لذاك النوع من الشعر الرديء مثالين من شعر أبى الأسد ، ورقم ٧١ عزز رأيه السابق رقم ٧٠ببيت للأحوص، وبعد رقم ٩٢ قدَّم مثالين جديدين لفكرته، وبعد رقم ٩٦ قدَّم مثالين جديدين أيضًا. وفى رقم ١١٤زاد مثالاً - بيت حميد- ، وفى رقم ١١٧ زاد من بعده قوله (وكندة حولي جميعا صبر) إلى آخر العنصر، وفى رقم ١١٨ زاد من قوله (أوطاء والأخرى دالا ... كأنهما ملطاط)، وزاد في رقم ١٢٠ من بعد قوله: (ولا واغل) إلى نهاية العنصر، وفى رقم ١٢٩ زاد بيت الفرزدق في مقطعة رقم ١٣٢ أبياتًا .

(٣) رقم ١٠٧.

(٤) في رقم ٧٤ أثبت فكره للمثال الذي كتبه آنفا رقم ٧٥ في الأولى

(٥) تأمل مليا رقم ٢٩ و حاشيته رقم ٣ ط شاكر .

١- امرؤ القيس
٢- زهير بن أبى سلمى
٣- كعب بن زهير
٤- النابغة الذبياني
٥- المسيب بن علس
٦- المتلمس
٧- طرفة بن العبد
٨- الحارث بن حلزة
٩- لقيط بن معمر
١٠- أوس بن حجر
١١- المرقش الأكبر
١٢- المرقش الأصغر
١٣- علقمة بن عبدة
١٤-عدي بن زيد العبادي
١٥-عمرو بن كلثوم
١٦-أبو دؤاد الإيادي
١٧-حاتم الطائي
١٨-عنترة بن شداد
١٩-الأسود بن يعفر
٢٠-الأعشى
٢١- عبيد بن الأبرص
٢٢-بشر بن أبى خازم
٢٣-سلامة بن جندل
٢٤-لبيد بن ربيعة
٢٥-زيد الخيل
٢٦-النابغة الجعدي
٢٧-مهلهل
٢٨-أبو زبيد الطائي
٢٩-حسان بن ثابت
٣٠-النمر بن تولب
٣١-تأبط شرًا
٣٢،٣٣- مزرد والشماخ
٣٤- ربيعة بن مقروم
٣٥- الحطيئة
٣٦- النجاشي الحارثي
٣٧- عامر بن الطفيل
٣٨،٣٩-مالك ومتمم ابنا نويرة
٤٠- خفاف بن ندبة
٤١-الخنساء
٤٢-المساور بن هند
٤٣-ضابئ البرجمي
٤٤-مالك بن الريب
٤٥-عمرو بن أحمر
٤٦-يزيد بن مفرغ
٤٧-سليك بن السلكة
٤٨-ابن فسوة
٤٩-عمرو بن معدي كرب
٥٠-عمرو بن قميئة
٥١-زهير بن جناب
٥٢-الأضبط بن قريع
٥٣-المستوغر
٥٤،٥٥ سويد ويزيد ابنا خذاق
٥٦-أبو الطمحان القيني
٥٧ - حميد بن ثور
٥٨-المثقب العبدي
٥٩-الممزق العبدي
٦٠- سالم بن دارة
٦١-المنخل
٦٢-المغيرة بن حبناء
٦٢-عبد بنى الحسحاس
٦٣-نصيب
٦٤-العديد بن الفرخ
٦٥-الراعى
٦٦-أفنون
٦٧-المخبل
٦٨-سويد بن أبى كاهل
٦٩-أبو محجن الثقفي
٧٠-عمرو بن شأس
٧١- يزيد بن الطثرية
٧٢- أبو الغول
٧٣- زياد الأعجم
٧٤- جميل بن معمر العذري
٧٥- توبة بن الحمير
٧٦- ليلى الأخيلية
٧٧- شبيل بن ورقاء
٧٨ - طفيل الغنوي
٧٩- ابن مقبل
٨١، ٨٢، ٨٣ أمية بن أبى الصلت ، وأبوه : أبو الصلت ، وابنه : القاسم
٨٤- خليد عينين
٨٥- جرير
٨٦- الفرزدق
٨٧- الأخطل

٨٨- البعيث
٨٩- اللعين المنقرى
٩٠- الصلتان العبدى
٩١- كثير
٩٢-الأحوص
٩٣- أرطأة بن سهية
٩٤- ذو الرمة
٩٥- نهار بن توسعة
٩٦- ابن قيس الرقيات
٩٧- أيمن بن خريم
٩٨- مسكين الدرامي
٩٩- عمر بن أبى ربيعة
١٠٠- الأقيشر
١٠١- المجنون
١٠٢- العرجى
١٠٣- موسى شهوات
١٠٤- عروة بن أذينة
١٠٥- الكميت بن زيد
١٠٦- الطرماح
١٠٧- العجاج
١٠٨- رؤبة
١٠٩- أبو نخيلة
١١٠- أبو النجم
١١١- دكين الراجز
١١٢- الأغلب الراجز
١١٣- أبو دهبل الجمحى
١١٤- عدى بن الرقاع
١١٥- عروة بن حزام
١١٦- قيس بن ذريح
١١٧- ثابت قطنة
١١٨- عمرو بن الأهتم
١١٩- سويد بن كراع
١٢٠- أوس بن غلفاء
١٢١- نهشل بن حرى
١٢٢- الأعور الشني
١٢٣- حريث بن محفض
١٢٤- سحيم بن الأعرف
١٢٥- فرعان بن الأعرف
١٢٦- خداش بن زهير
١٢٧- حصين بن الحمام
١٢٨،١٢٩- كعب وعميرة ابنا جعيل
١٣٠- عبد الله بن همام
١٣١- أبو ذؤيب الهذلي
١٣٢- المتنخل
١٣٣- أبو خراش، وإخواته
١٣٤- عروة بن مرة
١٣٥- أبو جندب بن مرة
١٣٦- خويلد بن مطحل
١٣٧- مالك بن الحارث
١٣٨- أسامة بن الحارث
١٣٩- أبو كبير الهذلي
١٤٠- عروة بن الورد
١٤١- طريح الثقفي
١٤٢- عمر بن لجأ
١٤٣- أبو الهندي
١٤٤- الكذاب الحرمازي
١٤٥- مرة بن محكان
١٤٦- أوس بن مغراء
١٤٧- أبو الزحف الراجز
١٤٨- السرادق الذهلى
١٤٩- هدبة بن خشرم العذري
١٥٠- زيادة بن زيد العذرى
١٥١- سعد بن ناشب
١٥٢- المرار العدوي
١٥٣- المرار بن سعيد
١٥٤- أبو وجزة السعدي
١٥٥- الشمردل
١٥٦- القتال الكلابي
١٥٧- القلاخ بن جناب
١٥٨- ذو الإصبع العدواني
١٥٩- لقيط بن زرارة
١٦٠- البرد خت
١٦١- خلف بن خليفة
١٦٢- العجلاني
١٦٣- جران العود
١٦٤- القطامي
١٦٥- عبدة بن الطبيب
١٦٦- أبو الاسود الدؤلي
١٦٧- ابن الدمينة
١٦٨- أبو جلدة
١٦٩- الأجرد
١٧٠- مدرج الريح

١٧١- أنس بن أبى أناس
١٧٢- المقنع الكندى
١٧٣- يحيى بن نوفل
١٧٤- العباس بن مرداس
١٧٥- دريد بن الصمة
١٧٦- ابن هرمة
١٧٧- العماني
١٧٨- بشار بن برد
١٧٩- سديف
١٨٠- مروان بن أبى حفصة
١٨١- أبو عطاء السندي
١٨٢- ابن ميادة
١٨٣- أبو حية النميرى
١٨٤- أبو دلامة
١٨٥- حماد عجرد
١٨٦- مالك بن أسماء
١٨٧- عبيد بن أيوب
١٨٨- الأحيمر السعدي
١٨٩- خلف الأحمر
١٩٠- أبو العتاهية
١٩١- أبو نواس
١٩٢- العباس بن الأحنف
١٩٣- صريع الغواني
١٩٤- أبو الشيص
١٩٥- دعبل الخزاعي
١٩٦- إسحاق الخريمي
١٩٧- منصور النمري
١٩٨- كلثوم العتابي
١٩٩- على بن جبلة
٢٠٠- ابن مناذر
٢٠١- عبد الله بن محمد بن أبى عيينة
٢٠٢- وأخوه أبو عيينة
٢٠٣- محمد بن يسير
٢٠٤- أشجع السلمي.

أصول الإخراجة الثانية

١-نسخة ليدن:

الأصل الذي اعتمده دي غويه في طبعته (هو نسخة ليدن؛ لأن النص فيها جيد غالبا)[١]، وقد نُسخت من (مخطوطة كانت في حوزة مصطفى أفندي السباعي في دمشق، وقد أعطاها العالمان: بريم، وسوكين هدية إلى مكتبة ليدن، ونص هذه النسخة يختلف في مواضع كثيرة مع مخطوطة فينا . والتي تمثل الإخراجة الأولى - وهو في الغالب أغزر منها مادة بكثير... والنص فيها جيد غالبًا)[٢]، وتحمل اسم "طبقات الشعراء"، كما جاء في خاتمة النسخ [٣] وكما أخبر دي غويه في مقدمته [٤].

(١) مقدمة دي غويه، ص ٤٣ .
(٢) السابق، ص ٤٣ .
(٣) طبعة دي غويه، ص ٥٦٥، ونقلها شاكر، ص ٨٨٥ .
(٤) ص ٤ .

٢- نسخة برلين

تتفق معها نسخة ليدن (ولكن هذه المخطوطة نادرة الشكل، كثيرة الخطأ)[١] وقد قارن دي غويه بين نسخة ليدن ونسخة برلين (والنص فيها أقل جودة، ولكنها كانت - على أي حال-مفيدة في كثير من الأحيان ... وبالرغم من أن الخطأ قد يتكرر فيهما، وتسقط قطع منهما جميعًا إلا أنهما تتفقان إلى حد بعيد)[٢].

ويسمى الكتاب (كتاب "طبقات الشعراء" في هامش مخطوطتي: برلين، وليدن، وكذلك في عنوان مخطوطة القاهرة)[٣].

٣- نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة

مكتوبة (بخط نسخ حسن من خطوط القرن العاشر الهجري)[٤] في ١٢٥ ورقة، بها تملُّك مؤرَّخ بسنة ١١٦٥هـ، وفيها شيء من الضبط والتقييد، وهي تطابق بشدة نسخة ليدن - أصل طبعة دي غويه - في المتن، والترتيب خاصة التراجم الأخيرة[٥]، وفى الاسم "طبقات الشعراء".

- ويبدو من الإشارة إليها ووضع رمز المعارضة "م" لها في مقدمة طبعة شاكر الثانية[٦]، أنه وقف عليها بآخرة؛ لكنه لم يكد يستفيد منها بشيء، إذ عاجلته المنية مع بداية عمله.

٤ - نسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٢٤٧ أدب - نسخة القاهرة عند دي غويه:

مكتوبة سنة ١٠٥٩هـ، بخط عيسى بن محمد بن سلمان، في ١٤٧ ورقة، وقد صنع لها فهرسًا في أول النسخة[٧].

وبهذه النسخة من التعديل والزيادات[٨] ما يجعلنا نجزم بأن ابن قتيبة قد عاد إلى

---

(١) مقدمة دي غويه، ص ٤٦

(٢) ص٤٣، ٤٤

(٣) ص ٤٤

(٤) من بطاقة التعريف في معهد المخطوطات العربية .

(٥) يأتي خبرها لاحقا

(٦) المقدمة، ص ٥٧

(٧) جاء عقب اسم عبد الله بن محمد بن أبى عيينة في هذا الفهرس،حاشية هي (هذا الاسم زيادة على نسخة السيد فتح الدين بن سيد الناس)وهو الإمام العلم صاحب التصانيف المتوفى سنة ٧٣٤هـ.

(٨) مثلا معظم استدراكات السيد صقر في نقده لتحقيق شاكر مصدره تلك النسخة -أو فروعها ، وراجع كلامه ص ١٣، رقم ٤، ص ١٧ و١٨ ، رقم ١٩، ص ٢٣ ، رقم ٢، ص ٢٤ ، رقم ٥

كتابه مرة ثالثة فزاد في متنه وعدل في ترتيب تراجمه الأخيرة فقط[١].

قال عنها دي غويه:(مخطوطة القاهرة - والإجماع على أنها تتفق في الغالب الأعم مع مخطوطة ليدن - تختلف عن مخطوطة ليدن في مواضع غير قليلة، وفي هذه المواضع إما أن تتفق مع مخطوطة فينا، وإما أن تأتي بعبارة جديدة، كما حدث أحيانا، ولذلك فالحقيقة فيما يبدو لي هي أن المؤلف أملى كتابه من كراسته في فترات مختلفة، فكان يستعمل في كل مرة عبارات متغايرة، ويضيف أحيانا عبارات من عنده، ويهمل عبارات كان قد أملاها في مرة سابقة)[٢].

وفي حواشي تلك النسخة معارضات بنسخة أخرى تشبه النسخ السابقة، وتعليقات كثيرة بخطوط مختلفة وتحتاج زيادات تلك النسخة إلى تأمل مديد، ودراسة متمهلة، حتى يستبين ما هو لابن قتيبة أصالة، وما عساه أن يكون حاشية لأحد القراء، وأدخلها مر الزمان وتتابع النسخ؛ فهي متأخرة العهد

٥- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٩١٦٠ أدب

كُتبت سنة ١١١٣هـ، بقلم محمد بن علي بن حيدر بن محمد بن نجم الحسيني الموسوي، في ١٤٩ ورقة.

وهي تطابق النسخة السالفة الذكر حتى في بعض الحواشي الخاطئة، والزيادات، وترتيب التراجم الأخيرة، ولكن أعجب ما فيها هو ذاك العنوان المرقوم على طرتها "أخبار الشعراء"، وتلك تسمية لم ترد في أي مرجع سوى (ملاحظة على المحاسن للجاحظ، ص ١٨٤)[٣].

٦- نسخة المكتبة الأزهرية

مخطوطة تحت رقم ٢٨٠أباظة - ٦٨٨٥ أدب، متأخرة جدًا، كتبت سنة ١٣٠٣هـ، تتفق مع النسختين السالفتين تمامًا، والعنوان على طرتها هو "طبقات الشعراء"[٤].

---

(١) ترتيب التراجم الأخيرة فيها بعد النمري جاء هكذا: أشجع السلمي، العتابي، علي بن جبلة، ابن مناذر، عبد الله بن محمد بن أبي عيينة وأخوه: أبو عيينة، محمد بن يسير. وهناك زيادة جليلة أثبتها عنها دي غويه، ص ١٠٤، وتبعة شاكر، ص ٢٦١، ٢٦٢ / ح ٤ في حاشية الكتاب. وهي أصيلة جديرة بالمتن.

(٢) المقدمة، ص ٤٣. ووهم الشيخ شاكر والأستاذ صقر حين قدّرا أن المقصود بمخطوطة القاهرة هو نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥٠ أدب، فتلك تمثل الأولى، والمقصودة تمثل الثانية، وعنوانها "طبقات الشعراء" كما ذكر دي غويه، ص ٤٤، وحواشيه ومعارضاته تشهد بذلك.

(٣) مقدمة دي غويه، ص ٤٤، وتجدها في حاشية كتاب "المحاسن والأضداد" ط الخانجي - ص ١٢١

(٤) سمحت لي المكتبة الأزهرية بالاطلاع عليها دون تصويرها

٧-نسخة خزانة الآباء اليسوعيين ببيروت

دأب لويس شيخو على الإشارة إليها والنقل عنها في كتابه "شعراء النصرانية"، ناسبًا إياها لأبى عبيدة معمر بن المثنى، فلما تناقل عنه الناس الخبر، كذبه (في تعقيبه على كتاب جورجي زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية "، قال:

(كتاب "طبقات الشعراء" الذي بين مخطوطات مكتبتنا الشرقية ليس هو لأبى عبيدة كما ظن - يعنى زيدان - وإنما هو نسخة من كتاب ابن قتيبة الشهير، مع بعض اختلافات في الروايات وزيادات شتى)[١].

ومن خلال هذه التسمية وهذا الوصف نظن أنها من الإخراجة الثانية - أو أكثر - والله أعلم بأمرها، وقد علم دي غويه بهذه النسخة، وتأسّف إذ لم يقدر أن يرجع لها [٢].

٨-نسخة أبى الفرج الأصفهاني التي نقل عنها في كتابه "الأغاني":

أبو الفرج الأصفهاني - ت٣٥٦هـ -أخبرنا عنه معاصره ابن النديم: أن (له رواية يسيرة، وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الأصول الجياد)[٣]، وكان يعتذر هو نفسه عما ندَّ عنه من الأخبار لانقطاع وضعف الرواية ، و(خلوّ العصر من مدوّن الخبر أو ناقل الأثر كما كان المتقدمون قبلهم)[٤].

وقد ضم أبو الفرج في هذا الكتاب - الأغاني - مادة عدد كبير من الكتب، منها ما وصلنا ومنها ما لم يصل إلينا منه إلا ما نقله أبو الفرج عنها، وقد اهتم أبو الفرج في اقتباساته بأن ينهج نهج علماء الحديث[٥] وبالإسناد عن إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة روى الأصفهاني نصوصًا من كتاب ابن قتيبة (تتفق مع مخطوطة ليدن)[٦] - أي الإخراجة الثانية.

وهذه النسخة التي حازها أبو الفرج من كتابنا نسخة عالية وثيقة الصلة بالقتيبى، لم تصلنا نسخة مثلها [٧]، فبها من النصوص ما لا يوجد في كل ما جاءنا من أصول

(١) مقال مخطوطتان منسوبتان إلى أبى عبيدة خطأ . مجلة معهد المخطوطات العربية مج ١٣ ص ٣٤١

(٢) مقدمة دي غويه، ص ٤٣ .

(٣) الفهرست، ص ١١٥، وكذلك ذكر الخطيب في تاريخ بغداد ج ٩ ص٣٠٢

(٤) مقاتل الطالبيين، ص ٥ .

(٥) تاريخ التراث العربي م١ ج٢ ص٢٨٠

(٦) مقدمة دي غويه، ص ٤٤ .

(٧) السابق، قال دي غويه: (مؤلف الأغاني يعتمد على نسخة أطول)

الكتاب[١]، بل يدل أحدها على كون إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ هذا كان تلميذا مباشرا للقتيبى، يعلل له أستاذه سبب بعض تلك التعديلات التي كان ابن قتيبة يأتي بها بين إخراجات كتابه[٢].

٩-نسخة ابن خلكان. ت ٦٨١هـ. التي نقل عنها في كتابه" وفيات الأعيان"

استعان ابن خلكان في كتابه الأشهر "وفيات الأعيان " بكتاب ابن قتيبة في إخراجته الثانية كما تخبرنا نقوله.

فهو (يذكر موضعا من كتاب الشعر والشعراء، فلا نجده في مخطوطة فينا، ولكنا نجده قد ورد في هذا النص)[٣].

والمؤكد أن النصوص التي نقلها ابن خلكان عن "طبقات الشعراء" لابن قتيبة في وفيات الأعيان ج١٣ ص ٣٥٤ من ترجمة ثابت قطنة، والتي نقلها الأصفهاني بإسناده في " الأغاني" ج ١٤/ص ١٦٣، توجب أن تكون نسخته من الثانية فترجمة ثابت لا توجد إلا فيها، وهي على نحو آخر تعضد ما سبق. وفى ترجمة ذي الرمة نصوص عدة تتفق رواية الأغاني عن ابن قتيبة مع نقول ابن خلكان عن " طبقات الشعراء" مع كتابنا[٤] .

وثمة نص آخر[٥] في ترجمة امرئ القيس منقول في الوفيات عن "طبقات الشعراء" لابن قتيبة ـالإخراجة الثانية.

- وفى الوفيات[٦] عن ابن قتيبة في كتابه "الطبقات " أن اسم الفرزدق هُميم، وكذا جاءت في نسخة ليدن[٧].

---

(١) خبر موت عمرو بن معدي كرب في الأغاني ج١٥ ص٢٢٤ عن إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة وغيره، ولا أثر له فيما بين أيدينا من أصول. وقد أشار إلى ذلك بركلمان ج ٢ ص٥٥٣ في الحاشية . وفى ج٢٠ ص١٢١ من كتاب "الأغاني" ذكر عن دعبل بإسناده عن ابن قتيبة ما لا وجود له بأيدينا. وإسناد القتيبى الموجود في الأغاني ج ١٤ ص ٣٢٢ غير موجود في رقم ١٣٩٩ ، وكل ما سوى ذلك عن إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة في الأغاني موجود لدينا

(٢) الأغاني ج١٦ ص٣١٧، والشعر والشعراء، ص ٦٧، وذلك مما غيره ابن قتيبة بين الإخراجة الأولى والثانية -- نسب الشعر في الأولى لجرير، وجعله في الثانية للمعلوط . .

(٣) مقدمة دي غويه، ص ٤٢، وهو يقصد نسخة ليدن التي تعود للثانية.

(٤) انظر نص رقم ١٧ وحاشية ٢ ط شاكر، ورقم ٩٢٤، ٩٢٥ والأغاني ج ١٨ ص ٢٨ والوفيات ج ٢ ص ٢٤٦، ورقم ٩٢٦ والأغاني ج ١٨ ص١ والوفيات ج ٢، ٢٤٦، ورقم ٩٢٧ والأغاني ج ١٨ ص٣٨ والوفيات ج٢ ص٢٢٧

(٥) رقم ١٧١ .

(٦) ج٣ ص٢٤٩ .

(٧) ص ٢٨٩ طبعة دي غويه، ولم يذكرها شاكر .

- كما نقل صاحب الوفيات[١] عن كتابنا عبارة جاءت في ترجمة زيد الخيل[٢]، وثمة نصوص أخر[٣].

١٠-نسخة باتنة في الهند:

ذكرها بروكلمان في كتابه النافع "تاريخ الأدب العربي "[٤] ولا معلومة حولها لتدلنا إلى أية إخراجة تنتمي!

نتائج دراسة الإخراجتين وأصولهما

● تتميز كل إخراجة بنصوص، وتراجم كاملة لا توجد في الأخرى، فترجمة الأفوه الأودي، وسحيم بن وثيل، وأمية بن أبي عائذ، وصخر الغي، وأبي العيال جميعها لا توجد إلا في الإخراجة الأولى، ويمكن إرجاع حذفه للأربع تراجم الأخيرة لصغرها وجهالة شعرائها؛ وذلك ما نص ابن قتيبة على إهمال ذكره في المقدمة[٥]؛ لكن ترجمة الأفوه ليست كذلك، بل الأرجح في أمرها أنه كان ينوى تأخيرها عن موضعها، فنسيها ولم يعد إليها كما عاد، وتذكر ترجمة العباس بن مرداس، ودريد بن الصمة بآخرة.

● أما الإخراجة الثانية فتتميز بنصوص كثيرة وتراجم عدة لا توجد في الأولى، فترجمة لقيط بن معمر، والأسود بن يعفر، وربيعة بن مقروم، وثابت قطنة، ودريد بن الصمة، والست عشرة ترجمة الأخيرة لا توجد إلا بها.

● للإخراجة الأولى الحظ الأوفر في التخليط والأوهام، خاصة في الأنساب ، وتأمل ما قاله في الأولى عن نسب زهير بن أبي سلمى، ونسب المسيب بن علس، وما قاله في الثانية، وهو الصحيح .

● وكان في الجمع بين الناسخ -الثانية -والمنسوخ - الأولى - في تلك الطبعة المشتركة[٦] - مع عدم وضوح الأمر - ذريعة لاتهام الرجل بالاضطراب والتناقض، يقول القول ثم لا يلبث أن يقول خلافه وكأنه يهذي!!

---

(١) ج١ ص ٢٩٣ .

(٢) الشعر والشعراء ص ٢٨٦ .

(٣) انظر الشعر والشعراء ص ٤٧٢، ٤٧٥، ٥٠٩ والوفيات ج ٣ ٣٥٥، ٢٥٤،ج٢ ٢٨٧ على الترتيب .

(٤) ١ ص ٥٥٢ .

(٥) ص ٥٩، وقال (وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء ... فأما من خفي اسمه، وقل ذكره، وكسد شعره فما أقل من ذكرت من هذه الطبقة)

(٦) خاصة طبعة شاكر.

من ذلك - على سبيل المثال - بيت المسيب الذى نسبه لزهير في الأولى - ص ١٣٩- ثم عاد ونسبه في الثانية على وجهه الصحيح للمسيب - ص ١٧٧ - ، فرماه الناس بالاضطراب والتخليط[١].

ووهم في الأولى فقال (السرادق الهذلي) وانتبه في الثانية وسماه (السرادق الذهلي)، بدت وكأنها اختلاف في النسخ، والأمر من القتيبى نفسه رجع عن وهمه[٢].

وهذا لا يعنى خلو الثانية من التخليط تمامًا، وانظر ما حدث في ترجمة دكين الراجز، وحواشي المحقق -رحمه الله-[٣].

- الإخراجة الثانية هي الأوفر حظًا في الوجود في النسخ الخطية، وكذلك النقول.

- جل الأصول الخطيّة التي وصلتنا متأخرة أجمعت على النقص والسقط والتحريف[٤]، وفى نسخة أبى الفرج في كتابه "الأغاني"، ونسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٢٤٧ أدب خير دليل على ذلك.

أهمية ما وصلنا من مخطوطات وإخراجات متنوعة لكتاب ابن قتيبة

-يعد كتاب ابن قتيبة "الشعر والشعراء" نموذجًا جليلاً للتأليف الأول، والثاني - وربما الثالث - لعالم شهير عَلَم من علماء المسلمين الموسوعيين، وصلنا كاملا بشكل يتيح لنا البحث والاستكشاف في أسس التأليف والتصنيف، ودواعي الزيادة والحذف والتغيير والتبديل

(فأكثر ما انتهى إلينا أخبار عن التأليف الأول والثاني، وقد ذكر ابن النديم في "الفهرست" بعضًا منها، ككتاب "الخراج" لأبى القاسم عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الكلوذانى. قال: وله من الكتب كتاب الخراج نسختين، أوله عملها في سنة ست وعشرين، والثانية سنة ست وثلاثين وثلاثمائة اهـ . فبينهما عشر سنوات ولكن ابن النديم لا يحدثنا عن الفرق بين النسختين حذفًا وإضافة، أو تنقيحًا وتعديلاً.

---

(١) شاكر نفسه ص ١٣٧/ح٣، وأيضا صاحب كتاب ابن قتيبة ص ٢٠٥ وتجد مثالا آخر في طبعة شاكر ص ٢١٣ ح٥ .

(٢) ص ٦٩٠ .

(٣) ص٦١٠ .

(٤) انظر ما لاحظه شاكر، ص ٢٩٠ ح٤ - بين ما أجمعت عليه الأصول الخطية وخالفته إجماعًا الأصول المنقولة في ذكر سن النابغة الجعدي.

وكذلك قال عن كتاب " البيان والتبين " للجاحظ بأن له نسختين، أولى وثانية، والثانية أصح وأجود)(١).

اسم الكتاب

تنازعت ثلاثة أسماء عنوان مصنَّف ابن قتيبة هذا، وهي:

١-الشعر والشعراء

وجاءت به نسخ الإخراجة الأولى أجمع، وكذا جاء عند ابن النديم في "الفهرست"(٢).

وفى مقدمته قال ابن قتيبة : (هذا كتاب ألفته في الشعر)(٣) وهذا الاسم - الشعر والشعراء - (أدق تعبيرًا عن مادة الكتاب ودراسته لكل جانب منهما مستقلة حتى لتكاد تصبح كتابًا قائمًا بنفسه)(٤) ولذلك الاسم حظ واسع من الانتشار والقبول، فعلاوة على مناسبته لبنية الكتاب ومحتواه؛ فإن أقدم الطبعات(٥) اتخذت من هذا الاسم عنوانا لها، وكذلك طبعة شاكر، وهي الأكثر ذيوعًا بين عموم الدارسين.

٢-طبقات الشعراء

وكذا جاء في أغلب نسخ الإخراجة الثانية، وبهذا الاسم سماه القفطى في "الإنباه"(٦) وحاجى خليفة في "كشف الظنون"(٧) .

وفى صفحة ٦٢ قال ابن قتيبة ولاحتجنا(أن نذكر صحابة رسول الله - ص-...، ونجعلهم في طبقات الشعراء)

وقد رفض بعض الباحثين هذه التسمية؛ (لأنه لم يجعل الشعراء طبقات كما فعل ابن سلام في كتابه)(٨) .

(١) مقال حماسة البصري: دراسة في أسس الاختيار والتأليف الأول والثاني والثالث. مجلة معهد المخطوطات مج ٤١ ج٢ ص ١٠٦ . وقد ذكر أمثلة عديدة أخرى

(٢) ص ٧٧

(٣) ص٢ ط دي غويه. ص ٥٩ ط شاكر، وكذا في الإخراجة الأولى، أما في الثانية فغيرها إلى (الشعراء)

(٤) مصادر الأدب، ص ١٥٣ .

(٥) نشرة ريترهوزن سنة ١٨٧٥ هـ .

(٦) ج٢ ص١٤٥ .

(٧) ج٢ ص ٩٣ عن كتاب " ابن قتيبة العالم الناقد الأديب " ص ١٤٥ .

(٨) ابن قتيبة العالم الناقد الأديب، ص ١٤٥ .

والأمر لا يخضع للذوق أو الرأي، بل يجب علينا رواية اختيار صاحب النص، ولنا الحكم والتقييم.

على أن ابن قتيبة - كما قرر هو - (اتبع الترتيب الزمنى العصري الإجمالي، أعنى أنه ترجم أولا لشعراء الجاهلية والمخضرمين، ثم ترجم بعد ذلك لشعراء العصر الأموي، ثم لشعراء عصر بنى العباس. بيد أنه لم يتبع في ترتيب شعراء كل عصر الترتيب الزمنى الدقيق، كما ذكرنا، فقد يترجم لشاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام قبل شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام، وليس لذلك من علة سوى الرابطة[١] أيا كان نوعها ... والخلاصة أن ابن قتيبة لم يراع الترتيب الزمنى الفردي؛ ولكنه راعى الترتيب الزمنى المجموعي إن صح هذا التعبير)[٢].

أخبار الشعراء

جاءنا في مخطوطة واحدة فقط؛ هي نسخة دار الكتب المصرية رقم ٩١٦٠ أدب، كما جاء نقل عن كتابنا في حاشية كتاب "المحاسن والمساوئ" المنسوب للجاحظ بهذا الاسم الفريد[٣] وكان يمكن الضرب عن هذا التفرُّد صفحًا لولا أن هذا الاسم جاء في مواضع عدة من الكتاب ذاته، مثل قوله: (أخبار أوس بن حجر)، وقوله: (ذكرته في أخبار زهير)، وقوله: (وقدمتُ في أخبار الشعراء ما أخذه من أشعارهم)، وقوله: (وقد ذكرتُ الخبر في أخبار الفرزدق)[٤].

أسس ترتيب التراجم

عند ابن قتيبة

ابن قتيبة متهم (بسرد سير الشعراء وبعض أشعارهم على غير منهج واضح، ولا مبدأ في التأليف)[٥].

والحق أن القتيبى (يتبع في ترتيب الشعراء نهجًا تاريخيًا إلى حد ما)[٦] ولا نجد له معيارا فنيا سار عليه في ذكر تراجمه.

(١) يأتي خبرها في مبحث أسس ترتيب التراجم .

(٢) ابن قتيبة العالم، ص ٢٩٧، ٢٩٨ ، ص ١٢١ .

(٣) ص ١٢١ .

(٤) على ذلك الترتيب ص ٢٠٢، ٥٣٣، ٨٥٢، ٧١٤ .

(٥) النقد المنهجي، ص٢٢ .

(٦) ابن قتيبة -زغلول سلام - ص ٦٢ .

لكن ثمة روابط ما تعلل تتابع بعض التراجم دون بعض ، علاقات مختلفة تبرر ذكر تلك عقب هذه.

(فالملاحظ أنه يعاقب في أحيان كثيرة بين الشعراء الذين تربط بينهم رابطة الدم أو القرابة أو الأصالة القبلية، ولعل السر في ذلك راجع إلى تداعي الأفكار فيما أعتقد، فمثلا ترجم لزهير بن أبى سلمى ثم لابنه بعده، وترجم للمرقش الأكبرثم للأصغر وهو أخوه في رواية وابن أخيه في رواية أخرى، وترجم لخفاف بن ندبة السلمي وبعده لابنة عمه الخنساء، وهما من بني سليم، وترجم للأضبط بن قريع، وبعده للمستوغر؛ لأنهما من بنى كعب بن سعد، وترجم للمثقب العبدي ثم للممزق العبدي؛ لأنهما من نُكرة [1].

والأخوة -بطبيعة الحال- من أقوى أسباب تداعي الأفكار؛ ولذلك نراه يتناول الشاعرين الأخوين في ترجمة واحدة؛ كما صنع مع مالك ومُتمم ابني نويرة، ومع سويد ويزيد ابني خذاق، وهما شاعران قديمان كانا في زمن عمرو بن هند، ومع كعب وعميرة ابني جعيل، وغيرهم.

وقد يدعوه إلى ذلك روابط أخرى، مثل رابطة العشق والغرام؛ ولذلك نراه يترجم لتوبة بن الحمير عاشق ليلى الأخيلية ثم يترجم لها بعده. وهناك رابطة أخرى من لون آخر تستدعى ذكر القرين بقرينه؛ فترجم لجرير والفرزدق والأخطل على التوالي. ولم يرع في ذلك كبر السن بدليل أنه جعل الأخطل آخر الثلاثة مع أنه كان أسنهم. ويبدو لي أنه رتبهم على حسب أقدارهم الفنية؛ لأن جريرًا أعلاهم كعبًا. ثم ترجم بعد للبعيث لصلته بهم، إذ شارك في الخصومات التي احتدمت بينهم كما نعرف. وقد ذكر بعد ترجمة الأخطل مجموعة طيبة مختارة من شعر هؤلاء الشعراء الثلاثة [2].

وتمشيًا مع هذه الرابطة-رابطة القرينية - نراه يترجم لكُثير عزة ثم للأحوص، وهما غزلان. ثم تركهما وتناول شعراء من لون آخر، وعاد بعد ذلك إلى شعراء النسيب والعشق، فترجم للمجنون ثم للعرجى. وكذلك ترجم لعروة بن حزام صاحب عفراء، وبعده لقيس بن ذريح صاحب لُبنى.

(١) والممزق ابن أخت المثقب ص ٣٩٩/ج٢، وأيضا ترجم لأمية بن أبى الصلت، وذكر معه أباه وابنه ص٤٥٩ . ٤٦٢ .

(٢) وأتى بترجمة اللعين المنقري والصلتان بعدهم: لأنهم كانوا حكامًا بينهم، وذكرهم الفرزدق في شعره، كما ذكر القتيبى .

والرابطة عند ابن قتيبة مهما تنوعت ألوانها تعتبر صلة تدعو إلى ذكر الشاعر بذكر قرينه؛ فرابطة الصداقة جعلته يترجم للكميت بن زيد الأسدي، ثم للطرماح بن حكيم بعده؛ لأنه كان بينهما من المودة والمخالطة ما لم يكن بين اثنين على تباعد ما بينهما في الدين والرأي والأصل(١) .

ولصلة القرابة والفن ترجم للعجاج الراجز، ثم لابنه رؤبة، ثم ترجم بعدهما لأبي نخيلة الراجز، ثم لأبي النجم، ثم لدكين الراجز، ثم ترجم لراجز آخر مغمور اسمه الأغلب. والرابطة التي تربط بين هؤلاء جميعا فنية خالصة، ويكادون يتعاصرون.

ونراه يترجم لشعراء هذيل متتابعين، وقد وضع هذا العنوان "شعراء هذيل" والرابطة بينهم قبيلة. ويترجم لأبي نواس ثم للعباس بن الأحنف، ثم لصريع الغواني؛ لأنهم جميعا يتقاربون في المشارب، وقد حدت به رابطة القرابة إلى أن يترجم لأبي الشيص ثم لدعبل ابن عمه) (٢) .

وعلى ذلك النحو وجدته ترجم لهدبة بن خشرم وزيادة بن زيد في ترجمة وجران العود والرحال في أخرى، وبينهم من الأمر ما هو معروف.

أيضًا يدفعه تشابه الأسماء إلى الجمع بين الشعراء؛ كما فعل في ترجمة عمرو بن قميئة فمعه ترجم لعمرو بن قميئة الضبعى، وتابع بين سحيم بن الأعرف وفرعان بن الأعرف -في الثانية -، وكذلك تابع بين المرار العدوي والمرار بن سعيد الأسدي.

كذلك التلمذة، فقد ذكر البكري(٣) أن منصور النمري كان تلميذا للعتابي وراويته، وقد عاقب ابن قتيبة بينهما في الترجمة.

وترجم لعبد بنى الحسحاس ونصيب متتابعين، وكلاهما عبد أسود غير عربي الأصل نبغ في قول الشعر.

وفى خلال ترجمة أبي كبير الهذلي، جاءت أخبار عن تأبط شرا؛ فكان ذلك مدعاة لترجمة عروة بن الورد بعد أبي كبير؛ لكون تأبط شرا وعروة بن الورد من أشهر الشعراء الصعاليك.

---

(١) الشعر والشعراء، ص ٥٨١ .

(٢) ابن قتيبة العالم الناقد الأديب، ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .

(٣) اللآ لى، ص ٣٣٦ .

كل ذلك يعزِّز تلك الفكرة ويرسِّخها ويعلِّل لتقديمه بعضهم على بعض، هو صانع كل ذلك عن قصد واختيار، سوى ترجمة العباس بن مرداس ودريد بن الصمة، فأراه نسيهما ثم ذكرهما بآخرة، فجاءا في الإخراجة الثانية وسط شعراء لا مناسبة بينهما وبينهم. أما الترجمة الأولى للعباس بن مرداس فهي من زيادات الأولى وضعها دي غويه في هذا الموضع، وتبعه من تبعه [١].

طبعات كتاب "الشعر والشعراء"، لابن قتيبة

ذلك مبحث كدتُ أقصره على طبعتي دي غويه، وشاكر، لولا ما توفر لدى حوله من معلومات وأخبار، مع انتشار طباعة الكتب بالتصوير عن الطبعات القديمة التي لا يعرف عنها كثير علم؛ لذلك كان حتما علينا معرفة خبر تلك الطبعات، حتى لا يغتر بها أحد إن جاءته في إهاب جديد.

طبعة ليدن الأولى

قال دي غويه: (كتاب الشعر والشعراء الذي أنشره الآن، اشتهر بين العلماء من مخطوطة فينا، وترجم نلدكه مقدمته إلى اللغة الألمانية سنة ١٨٦٤م، ونشر ريتر هوزن متنه مع ترجمة هولاندية سنة ١٨٧٥م، وريتر هوزن اعتمد في ترجمته على المخطوطة التي كانت في حوزة شيفر، والنص في مخطوطة شيفر يتفق مع مخطوطة فينا في كل المواضع تقريبًا) [٢].

وهذه الترجمة المبكرة، والنشرة الأخرى المتقدمة هما المسئولتان عن ذيوع اسم "الشعر والشعراء" عَلَما على الكتاب دون ذلك الاسم الآخر -"طبقات الشعراء". رغم أنه الأكثر انتشارًا في النقل عن كتاب ابن قتيبة، وكذلك مخطوطاته، فهي الأوفر حظًا في دور الكتب والمكتبات العريقة، لكن الله هيأ للاسم الأكثر تطابقا لمضمون الكتاب الذيوع والانتشار والقبول. وهذه الطبعة - كما قال شاكر: (أقل منها - طبعة ليدن الثانية- وأشد ندرة) [٣].

---

(١) قال زغلول سلام في كتابه عن ابن قتيبة ص ٦٢ (ويتبع في ترتيب الشعراء نهجًا تاريخيًا إلى حد ما، فيبدأ بشعراء الجاهلية القدماء الذين لم يدركوا الإسلام، ثم بالذين أدركوا الإسلام كلبيد بن ربيعة والنابغة الجعدي، ولكن هذا النظام لم يطرد أحيانًا، فقد أورد مثلا مهلهل بن ربيعة بين النابغة الجعدي والعباس بن مرداس. ومهلهل شاعر قديم جاهلي يقال إنه أول من هلهل الشعر، والنابغة والعباس ممن أدركوا الإسلام).

(٢) مقدمة دي غويه ، ص ٤٢، وعلى هذا فتلك النشرة تمثل الإخراجة الأولى فحسب .

(٣) مقدمة شاكر، ص ٣٨ .

طبعة الأستانة

نشرت سنة ١٣٢٢هـ، ولم أقف عليها؛ لكن صورتها إحدى دور النشر البيروتية باسم "الشعر والشعراء" ورأيت أحد من جمعوا ديوان المسيب بن علس اعتمد عليها في جمعه، فإذا هي تعود إلى الإخراجة الأولى وحدها[١]، وقد أدى اعتماده على هذه الطبعة إلى أوهام[٢].

طبعة الخانجي

ونشرت سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، تصحيح السيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي، على نفقة محمد أمين الخانجي، عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥٠ أدب، كما جاء في نهاية النسخة[٣].

طبعة مطبعة الفتوح الأدبية بالقاهرة

ونشرت سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، على نفقة محمود أفندي الكتبى، تصحيح (أديب من أدباء العصر ؟!)، عاينتها! وليتني لم أرها!؛ فهي صورة طبق الأصل من طبعة الخانجى متنا وتعليقًا، وكأن أمر السطو على جهود الناس قديم!

طبعة ليدن الثانية

وخرجت إلى النور سنة ١٩٠٢م، تحقيق المستشرق الهولندي الكبير دي غويه -ت ١٩٠٩م - (والذي وُكِل إليه تنظيم المخطوطات، والكشف عن كنوزها في مكتبة ليدن)[٤] وأثمرت مجهوداته عن الكشف عن بعض نفائس التراث العربي التليد.

من ذلك كتابنا - الشعر والشعراء-فحين وقف على نسخة ليدن، واكتشافه لما بها من زيادة على سائر النسخ هرع لكل ما طالته يده - وما لم تطله . من نسخ مخطوطة في فينا، وباريس، وبرلين، والقاهرة، وتلك الأخرى المتضمنة خلال كتب: خزانة الأدب،

---

(١) انظر ص ١٥ من شعر المسيب .

(٢) انظر ص ١٦، ١٧، وقد أنكر ما هو موجود في "الشعر والشعراء" في الإخراجة الثانية - كنية المسيب: أبو فضة - ص ٢٠ . وقد خسر تخريج الشعر الكثير الذي أورده ابن قتيبة في الثانية في نشرته تلك .

(٣) قال أحمد شاكر في مقدمته ص٣٨: (سألت السيد الخانجي . رحمه الله - وهو الخبير بالكتب، العارف بها، فاعتذر لي بأنه طبعه عن نسخة دار الكتب المصرية، وأنه لم يكن قد وصل إليه خبر عن طبعة ليدن.) وقد رأيتها بعيني .

(٤) من التعريف به في مقدمة "الفهرست" لابن النديم، ص ٣٨ .

والأغاني، ووفيات الأعيان، وقدم لنا تلك النشرة التي تعد ثورة في تاريخ هذا الكتاب، فكان أول من رصد وجود إخراجات متعددة وأسماء أخرى[١].

وقد اتخذ من نسخة ليدن - الإخراجة الثانية - أساسًا لطبعته، فالتزم ترتيبها، وأدخل خلالها كل ما تميزت به نسخ الإخراجة الأولى، وبعض زيادات نسخة القاهرة دون بعض[٢] ، مميزًا لها بالقوسين ( ) تارة، وحين كان الأمر يطول عليه ليصل إلى تراجم برمتها كان يرفع الأقواس. ويشير في الحاشية إلى أن تلك الترجمة هي نص نسختي: فينا، وشفر.

ولن أناقش أخطاء له في الضبط والقراءة؛ فهو رجلُ أعجمي (لا يعرف العربية) [٣] بل سأحمد له جهده الشاق وتتبعه لأصول تراثنا شرقًا وغربًا، وتسخيره لكل ما يملك من طاقات وقدرات من أجل علم قصدهُ، وتراث حضارة رفيعة رامها؛ بل طاقات وقدرات غيره.

فقد استعان بعدد من زملائه المستشرقين في معارضة النسخ التي لم تكن تحت يده، فنتج عن ذلك أوهامٌ غِلاظ، ألزمت القتيبى بما هو منه براء، ووصمته بالتناقض لأجلها، وفيها شيء من تناقض المنهج عند دي غويه نفسه، فهو لم يلتزم في شأنها سبيلا واحدًا .

من ذلك ما زاده إلى النص من حواشي بعض قراء مخطوطاته ومكانه الطبيعي هو الهامش، وما جعله في الهامش وهو ثابت أصيل في متن الكتاب عن ذات النسخة.

ففي ص٤٨ ، س ١٥، ح k زاد عن نسخة القاهرة - التي عارضها له هرتمن . حاشية دخيلة على النص هي (هو وأبو شفقل)، وقد أخطأ هرتمن قراءتها وموضوعها، فهي (هو أبو شفقل) تعريفًا باسم راوية الفرزدق نفسه، وتبعه دي غويه، وجعل الناس يحاجون ابن قتيبة فيما هو منه براء، وعلى النقيض تمامًا، فقد جادت علينا تلك النسخة القيمة نفسها بزيادة أصيلة في المتن حقيقة به، فجعلها دي غويه في الهامش[٤].

---

(١) أثبت دي غويه علي طرّة الكتاب الاسمين الأشهرين معا: (كتاب الشعر والشعراء وقيل طبقات الشعراء تأليف ابن قتيبة) .

(٢) وقفت علي ذلك.

(٣) من مقال المستشرق شارل بلا حول كتاب البغال مجلة معهد المخطوطات مج ٣ ص١٦٢ .

(٤) ص ١٤٠ ح A طبعة دي غويه . ص٢٦١، ٢٦٢ طبعة شاكر . وقد جعلها في الهامش أيضًا!

طبعة مطبعة المعاهد بالقاهرة

(طبعه في سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م محمود أفندي توفيق بمطبعة المعاهد بمصر، وصححه. وعلق حواشيه صديقنا الأديب العلامة مصطفى السقا، واعتذر في مقدمته بأنه لم ير الطبعة الأوروبية إلا حين كاد يفرغ من تصحيح الملزمة الثامنة عشرة من طبعته، أي حين أتم نحو ثلاثة أرباع الكتاب، وهذه الطبعة مختصرة غير كاملة، مثلها مثل طبعة الخانجي، لا تزيد عليها إلا قليلا) (١).

طبعة أحمد شاكر

أخرجها سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٦م - الجزء الأول - وسنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م - الجزء الثاني - عن دار إحياء الكتب العربية، للسيد عيسى الحلبي.

(وقد اعتمد الأستاذ في تحقيق هذا الكتاب على طبعة ليدن اعتمادًا كليًا؛ حتى جاءت طبعته وكأنها صورة من الأولى، إلا أنه قد شرح بعض الألفاظ الغريبة شرحًا مقاربًا، وراجع كثيرًا من النصوص على ما بين يديه من المصادر، ودل على أماكن وجودها في الكتب المختلفة، ولكنه لم يثبت اختلاف الروايات إلا قليلا) (٢).

وهذا خطأ علمي فادح، لا ينفع فيه من عذر إلا عدم الطول للنسخ المخطوطة للكتاب؛ و في دار الكتب المصرية منه طوع اليد اثنتان منها، وقد علم بأمرها، ونقل عن فهرس الدار بياناتها (٣)، وليس جمع النسخ المخطوطة حذلقة - كما زعم هو(٤)- ، وكان في الرجوع إليها كثير من البيان لحقيقة الكتاب، وصنيع دي غويه في نشرته، ونجاء من كثير مما أخطأ فيه.

كما أن في هذا النهج تخليًا من الشيخ الجليل عن منهجه الذى التزمه في سائر تحقيقاته السالفة من جمع المخطوطات والمطبوعات ، ودرسها درسًا عميقًا قبل الشروع في العمل ، وهى بين أيدينا تشهد بما له من جهد جهيد(٥) .

---

(١) مقدمة شاكر، ص ٣٨ .

(٢) مقالة السيد صقر في نقده للطبعة، ص ٨ .

(٣) مقدمة نشرته، ص ٣٨ وقد نبهه صقر إلى اثنتين أخريين، ص ٨ .

(٤) قاله تعليقًا على نقد صقر له في هذا ج ١، ص ٩.

(٥) انظر مقدمة تحقيق كتاب "الرسالة" للشافعي-ت ٢٠٤هـ . وكيف أفرغ فيها جهده واستشارته لأهل العلم حوله. وأيضًا "جماع العلم" للشافعي، قال في مقدمة نشرته (وقد رجعت إلى المخطوطة التي وصف، وهي في دار الكتب المصرية برقم ٧٣٢ فقه شافعي، وقابلتُ الكتاب عليها حرفًا حرفًا)، ص ٩ . ومقدمة تحقيقه لكتاب "لباب الآداب" لأسامه بن منقذ (ت ٥٨٤).

ويتوازى مع ترك الجمع وتحري الأصول إهمال الدرس ، وكان في مراجعة نصوص الكتاب على المصادر (خصوصًا المصادر التي تنقل عن هذا الكتاب)[١] بيان كاف وتنبيه لاختلاف صور الكتاب التي كانت بين أيدي السابقين ؛ فقد وضع الشيخ يده مرارًا على اختلاف النقل عن ذات الكتاب من صاحب "خزانة الأدب" إلى صاحب "الوفيات" وصاحب "الأغاني" ، وموافقة الأول لنسخ الإخراجة الأولى ، وموافقة التاليين لنسخ الإخراجة الثانية في عين المواضع[٢].

وإذا كان تنبه لبعض الحواشي التي جعلها دي غويه في المتن[٣] ، لكنه غفل عن غيرها لعدم وقوفه على الأصول الخطية[٤] ، وأهمل غيرها مما جعلها دي غويه في الحواشي وهى أصيلة النسبة لابن قتيبة لا ينطق بها إلا هو[٥].

وعلى الجهد الكبير الذى بذله الشيخ في مراجعة نصوص الكتاب على المصادر السابقة واللاحقة ، والتي أفلحت في إنارة كثير من ظلام الكتاب ؛ بل الكشف عن كثير من أوهام ابن قتيبة نفسه[٦] ، فإن الرجل قد أعوزته المراجع خاصة دواوين الشعراء، في كتاب قائم أساسًا عليهم ، وقد أشار إلى ذلك السيد صقر في نقده للتحقيق[٧].

وقد أثمرت العجلة، وعدم المراجعة أخطاء وأوهاما لا شك في معرفة الشيخ شاكر بها وقدرته على تصويبها [٨].

وبُعَيد صدور الجزء الأول كان ذلك النقد المدوي للسيد أحمد صقر، الذي أنصف فيه الشيخ أحمد، ولم يتجن فيه على حق العلم، وذكر فيه كثيرًا من الحقائق، وأومأ فيه إلي نقص في النص وتلفيق.

---

(١) مقدمة شاكر، ص ٤٠

(٢) انظر تحقيقه ج ٢ ص٢٣٦، ج٣ ص ٢٥٠، ج٤ ص ٣٢٩، ٣٥٣، ٣٦٩، ج٢ ص ٥١٠.

(٣) ج ١ ص١٤٥، ح٢ ص٥١٤ .

(٤) ج ٥ ص ١٢٢ .

(٥) ص ٢٦١، ٢٦٢، ص ٢٨١ ط دي غويه

(٦) راجع ج٢ ص ٢٣٧، ج٤ ص ٢٦٧، ج٦ ص ٢٦٨، ج ١ ص ٤٩٢، ج٥ ص ٥٧٨. هذا الوهم يعود إلى الإخراجة الأولى، وقد حذفه القتيبى في الثانية، وأعاده دي غويه بين قوسين، ج١ ص ٦١٠، ج٢ ص ٧٠٧، ج٢ ص ٧٦٣.

(٧) في مواضع عدة من نقده، واقرأ رد شاكر عليه في مقدمة الطبعة الثانية، ص ٦، والأمر لا يحتاج إلى جدل عقلي !!

(٨) ص ١٢٨ / ح علق على بيت لامرئ القيس بأنه من المعلقة ؟!، ص ٧٧٣/ح قال: (ولست أدرى من بلال بن حمامة هذا!) وقد انتقد هذا صقر - ص ٢٩ وغيره: لكنى أود أن أذكر أنه جاء في أحد أشهر الكتب التي حققها شاكر نفسه، وأعنى "اختصار علوم الحديث" لابن كثير، ص ٢٣١ .

الأمر الذي دعا شاكر إلى رجائه (أن يقابل النسخة المطبوعة بتحقيقه على النسخ الخطية التي أشار إليها في مقاله الأول، وعلى ما قد عساه يوجد من مخطوطات أخرى من الكتاب، ويثبت ما يجده من تصويب أو اختلاف: تمهيدًا لتحقيق الكتاب مرة أخرى، لنخرجه في الطبعة القادمة - إن شاء الله - متعاونين مشتركين؛ حتى نؤدي الأمانة حقها)(١) .

لكن السيد صقر لم يفعل ذلك قط، وإن أوهمت تلك الخاتمة التي حررها الأستاذ أسامة أحمد شاكر سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م الناس مراجعة صقر لطبعة شاكر(٢)؛ لكن أمرا من هذا لم يحدث؛ بل إن بعض الأخطاء الطباعة الموجودة في الطبعة الأولى - طبعة عيسى الحلبي-ما زالت قائمة في الطبعة الثانية - طبعة دار المعارف(٣) .

وقد حصل الشيخ أحمد بآخرة على مخطوطة عارف حكمت، لكن الزمان لم يسمح له سوى إثبات رمزها في مقدمة الطبعة الثانية، دون أية استفادة منها.

طبعة دار الكتب العلمية ببيروت

سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، تحقيق د. مفيد قميحة!! وقد ذكر أنه اعتمد في (تحقيق هذا الكتاب على نسختين الأولى طُبعت في القسطنطينية ١٣٢٠هـ، والثانية في بريل ١٩٠٤هـ)(٤) وهي خالية بالمرة من أي معارضات أو شرح، تقدم نصًا لا غير، رديئة للغاية!!

نشرة ديمومبين في باريس

و كانت سنة ١٩٤٧م،و قد ذكرها بروكلمان(٥)، وهي مقدمة الكتاب فقط (متنا وترجمة مع التعليق عليها) (٦) .

(١) مقدمة شاكر، ص ٣٢ .

(٢) انظر خاتمة الكتاب، ص ١٠٣٩ .

(٣) غالبا ما تحرف رمز؛ المعارضة (س. ف) والمقصود بهما نسختي: باريس، وفينا إلى (س، ب). وكذلك كان الحال في طبعة الحلبي

(٤) مقدمة نشرته

(٥) تاريخ الأدب العربي ج٢ ص٥٥٢ .

(٦) تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص ٢٥٢ .

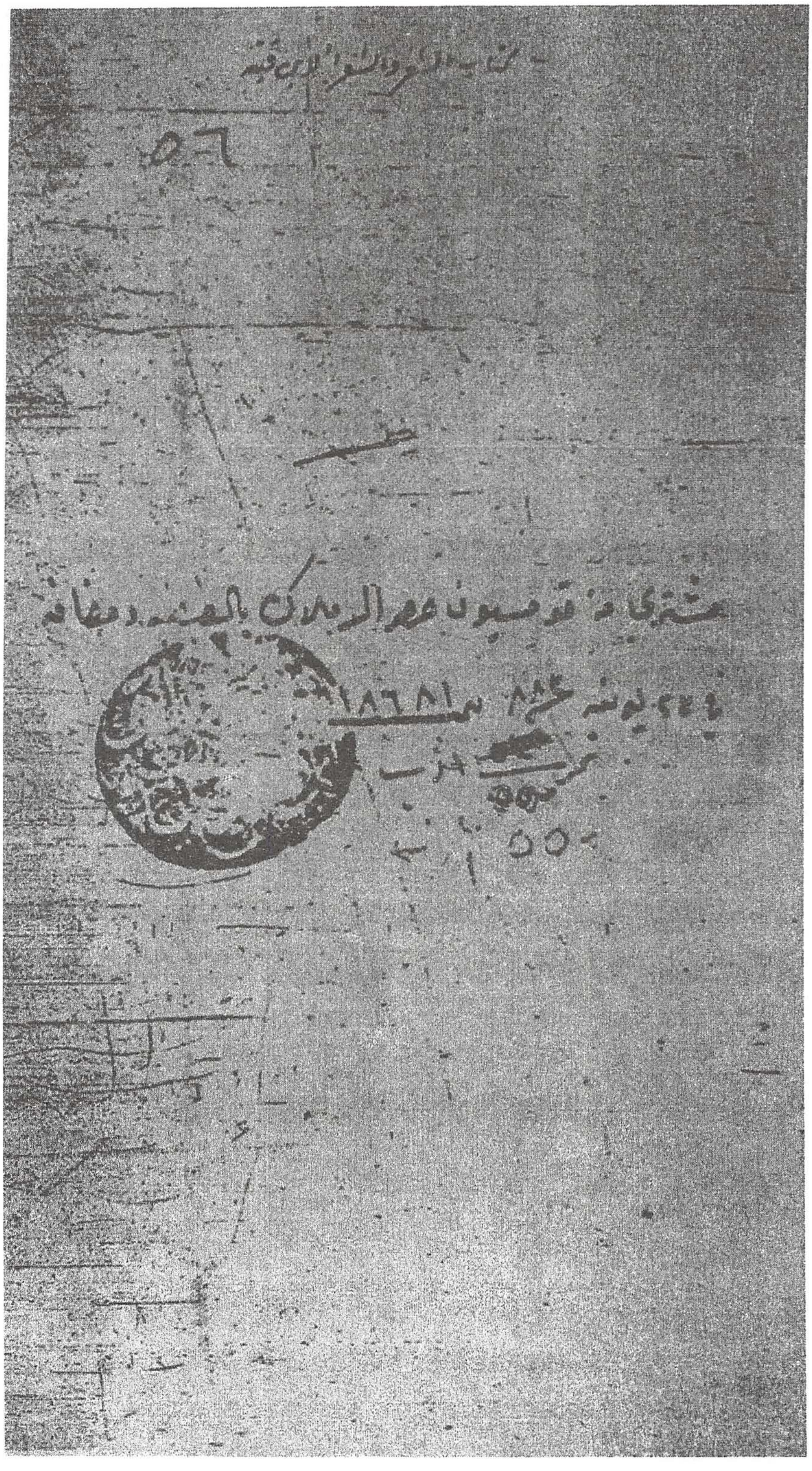
كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة
٥٦

كتاب طبقات الشعرا تأليف الشيخ العالم العلامة
أبي محمد عبد الله بن مسلم
بن قتيبة
تغمده الله
برحمته
آمين

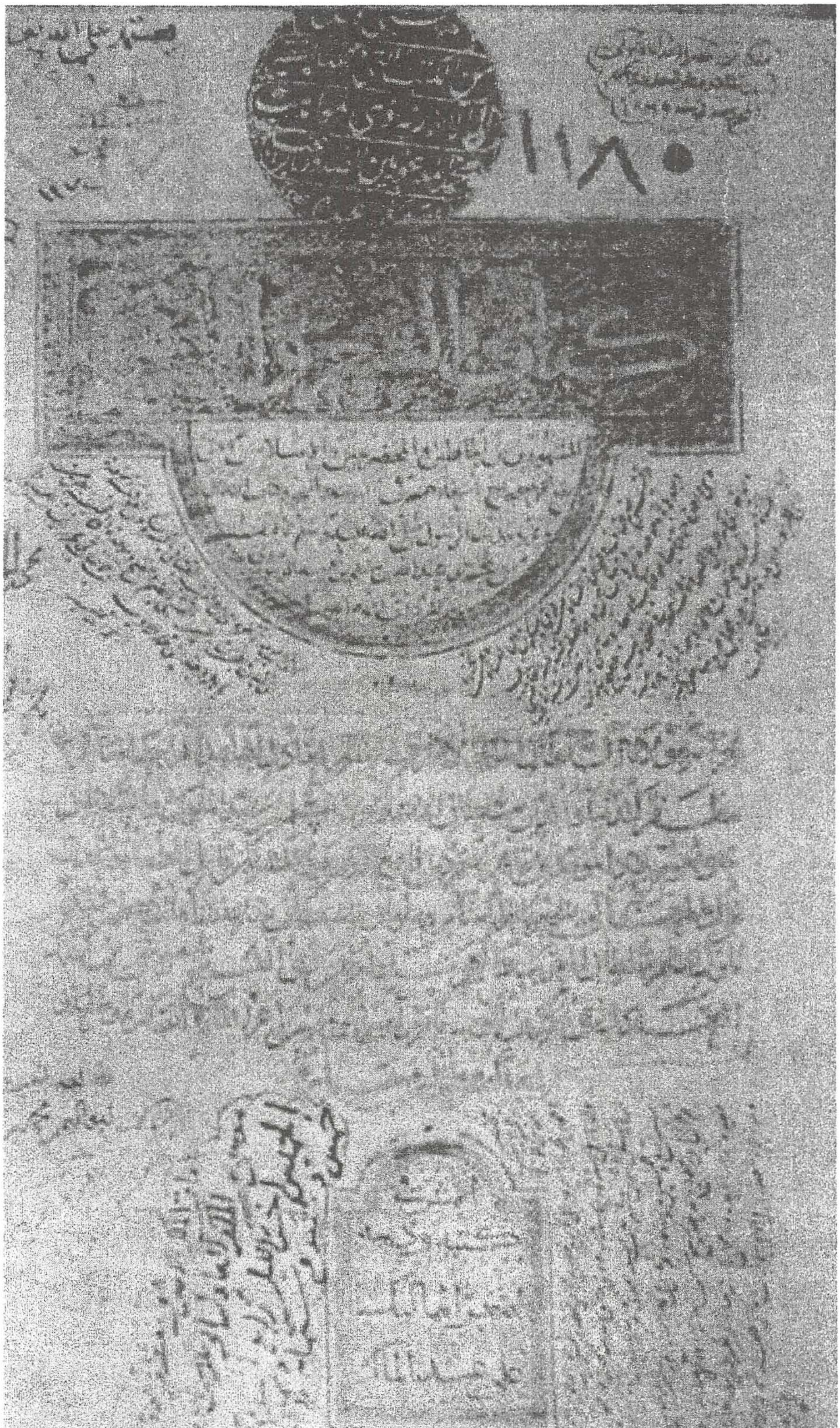

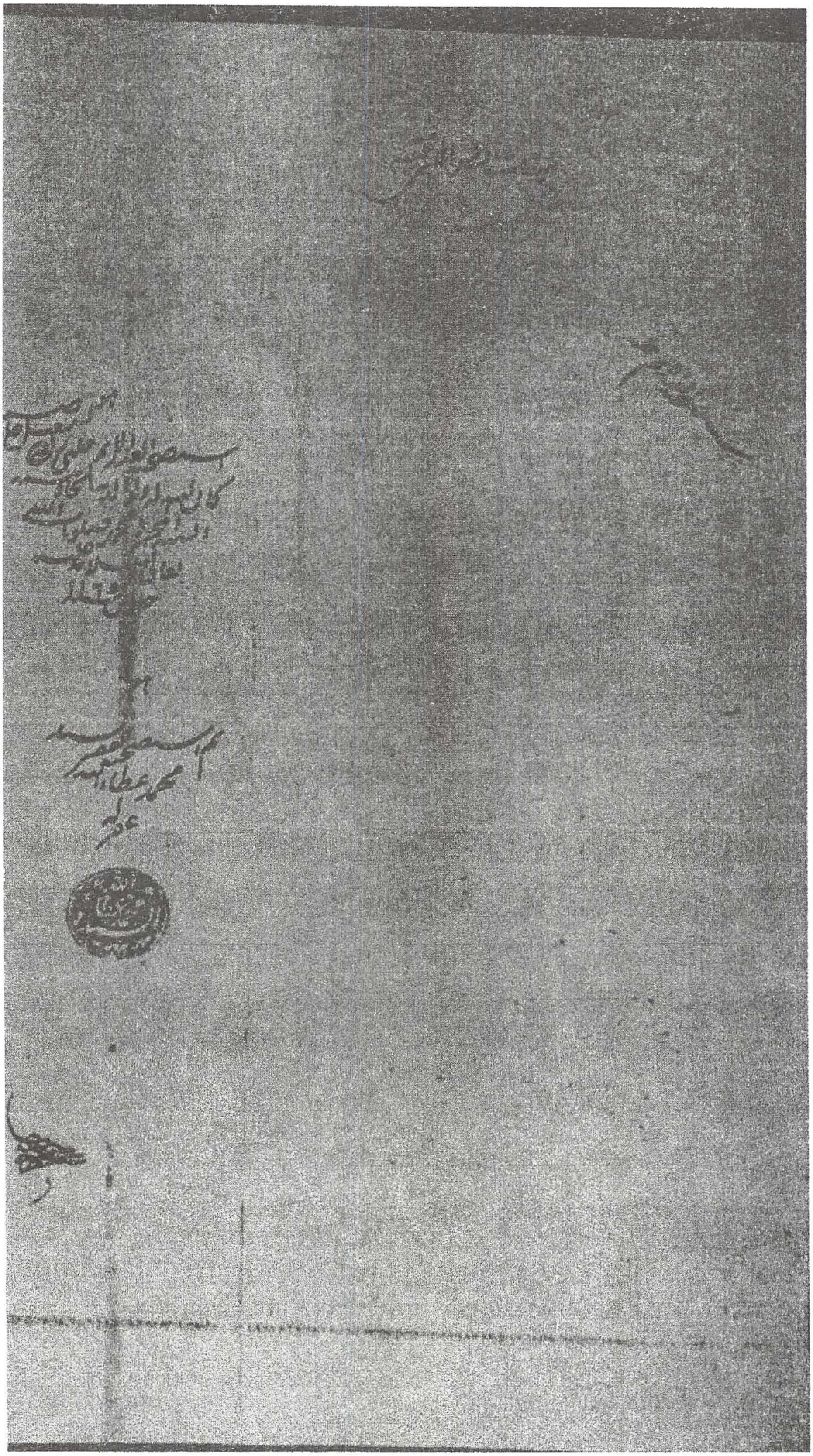

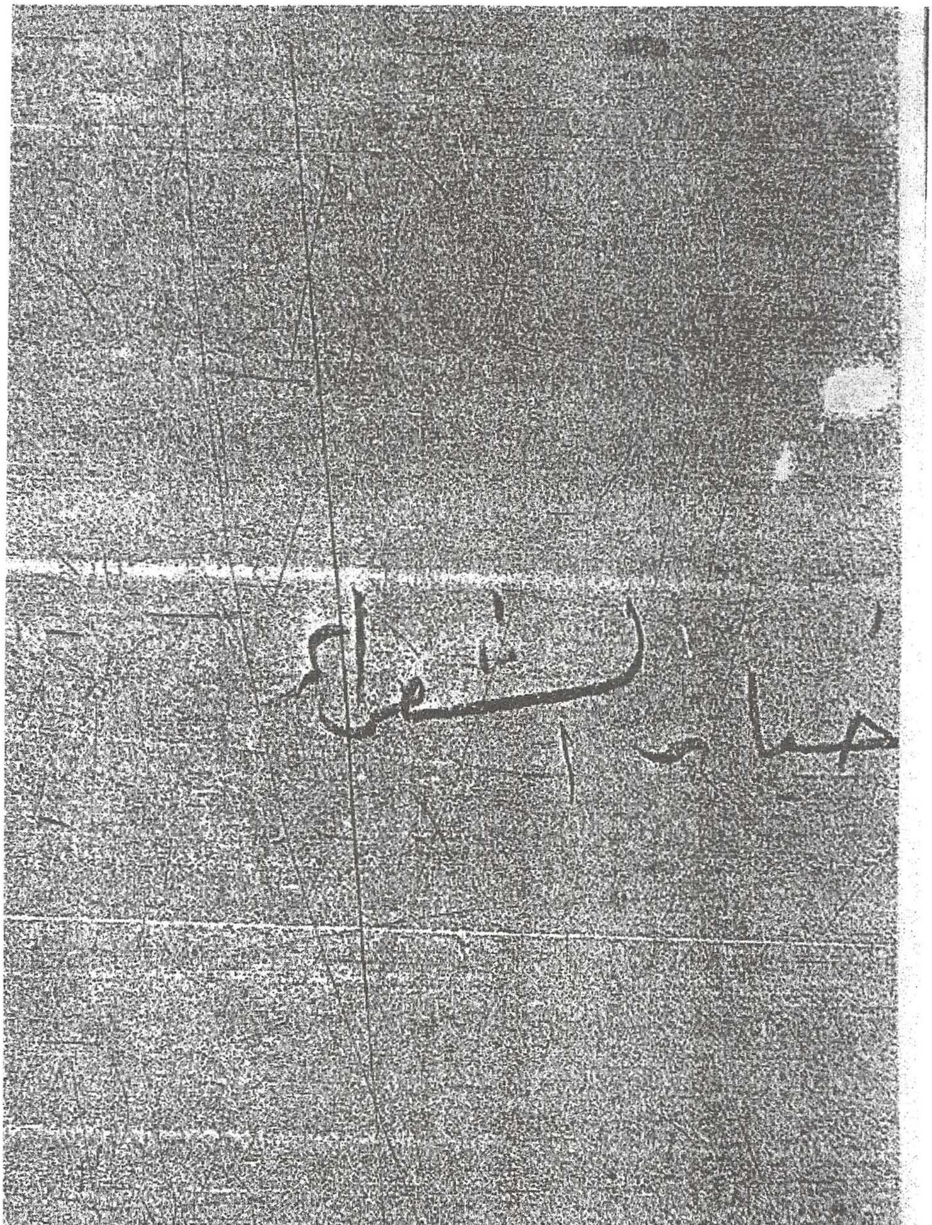

فهرس المصادر والمراجع

- ابن قتيبة ... العالم الناقد الأديب. تأليف د. عبد الحميد سند الجندي. سلسلة أعلام العرب . المؤسسة المصرية العامة للنشر

- ابن قتيبة تأليف د. محمد زغلول سلام. سلسلة نوابغ الفكر العربي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م

- اختصار علوم الحديث، لابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر. الثالثة. القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد على صبح . د.ت

- الأغاني، لأبى الفرج الأصفهاني، القاهرة: طبعة دار الكتب المصرية، والهيئة العامة للكتاب.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

- تاريخ الأدب العربي، تأليف: كارل بروكلمان. ترجمة د. عبد الحليم النجار وآخرين، القاهرة: دار المعارف المصرية.

- تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون .الخامسة . القاهرة: مكتبة السنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

- جماع العلم، للشافعي، تحقيق: أحمد شاكر. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. دت.

- تاريخ التراث العربي، تأليف: فؤاد سزكين، ترجمة: د. محمود فهمي حجازي وآخرين. السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- جمهرة أشعار العرب، لأبى زيد القرشي، تحقيق: د. محمد على الهاشمي. السعودية: جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

- حاشيتان خفيفتان على كتاب المخطوطات العربية، مقال د. نهاد الموسى . مجلة معهد المخطوطات العربية . مج ١٣ . القاهرة

- حماسة البصري دراسة في أسس الاختيار والتأليف الأول والثاني والثالث. مقال د. عادل سليمان جمال. مجلة معهد المخطوطات العربية. مج ٤١ ج٢ .

- حول كتاب البغال. مقال الأستاذ شارل بيلا . مجلة معهد المخطوطات العربية. مج ٣ . القاهرة.

- خزانة الأدب، للبغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون. الرابعة، القاهرة: الخانجى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

- دراسة في مصادر الأدب، تأليف: د. الطاهر أحمد مكي. الثالثة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م .

- ديوان امرئ القيس. تحقيق: محمد أبو الفضل. القاهرة: دار المعارف. ١٩٦٩م.

- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. تأليف: محمود شاكر. القاهرة: الخانجى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .

- الرسالة، للشافعي، تحقيق: أحمد شاكر. الثانية. القاهرة: دارالتراث. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

- سمط اللآلي شرح الأمالي، للبكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م

- الشعر والشعراء، أو طبقات الشعراء، لابن قتيبة ، تحقيق: دي غويه، ليدن، ١٩٠٢م

- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني. القاهرة: ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م

- الشعر والشعراء، لابن قتيبة. القاهرة: مطبعة الفتوح الأدبية. ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م

- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد شاكر. الثانية. القاهرة: دار المعارف.

- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق: د. مفيد قميحة. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- شعر المسيب بن علس، جمع وتحقيق: د. عبد الرحمن الوصيفي. الأولى. القاهرة: مكتبة الآداب. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م

- صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني الراوية. تأليف: محمد أحمد خلف الله. الثانية. الأنجلو المصرية. ١٩٦٢م.

- طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر. المدني. ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

- عيار الشعر، لابن طباطبا. مقال الأستاذ السيد صقر.المجلد ٣ . القاهرة: مجلة

معهد المخطوطات العربية .

- عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي، تحقيق: د. عبد العزيز المانع. القاهرة: الخانجي. دت.

- الفهرست، لابن النديم، تحقيق: فلوجل. عارضها بغيرها وترجم المقدمات والحواشي: د. محمد عوني عبد الرؤوف، د. إيمان السعيد جلال. سلسلة الذخائر. القاهرة، ٢٠٠٦م .

- لباب الآداب، لابن منقذ، تحقيق: أحمد شاكر- مصورة عن الأولى - القاهرة: مكتبة السنة. ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

- المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ. القاهرة: الخانجي. ١٣٢٤هـ

- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، تأليف: د. محمود الطناحي. القاهرة: الأولى. الخانجي. ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م

- مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهاني، تحقيق: السيد صقر. الذخائر. مصورة عن طبعة الحلبي. القاهرة.

- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، تأليف: د. محمود الطناحي. الأولى. الخانجي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م

- النقد المنهجي عند العرب، تأليف: د. محمد مندور. الرابعة. القاهرة: نهضة مصر .

- وفيات الأعيان، لابن خلكان. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى. ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

من أخبار التراث

د. حسام أحمد عبد الظاهر(*)

يناير ٢٠١٥م:

- صدر عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن "فهرس مجاميع المكتبات الخاصة بدار الكتب المصرية"، في ثمانية أجزاء، تحرير الدكتور أحمد عبد الباسط. ويجدر بالذكر أن هذا الفهرس يتضمن ٦٩٩٣ عنوانًا لمجاميع مخطوطات المكتبات التي كانت ملكًا لبعض الأمراء أو العلماء أو هواة جمع المخطوطات، ثم أُضيفت إلى مخطوطات دار الكتب بعد ذلك محتفظة باسم ملاكها وجامعيها، بجانب بعض المكتبات الخاصة الأخرى كمكتبة مصطفى فاضل، والشنقيطي، وقولة، وحليم، وخليل أغا، وطلعت، وأحمد تيمور.

فبراير ٢٠١٥م:

- خلال الفترة من الأحد ١٥ إلى الخميس ١٩ فبراير نظم معهد المخطوطات العربية بالتعاون مع مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية دورة تدريبية حول (فنون المخطوط الإسلامي)، حاضر فيها الدكتور إدهام محمد حنش حول موضوعات: فنون المخطوط الإسلامي (التاريخ والجغرافيا)، ولغة فنون المخطوط (المصطلحات)، والخط بين الفن والوظيفة، والزخرفة بين الهندسة والطبيعة، والصور والأشكال (الأنواع والوظائف)، نماذج من كتب الهيئة والجغرافيا والعجائب والعلوم، واللون والتذهيب - الأساليب والدلالات، والصنعة الفنية للمخطوط، والتحقيق الفني - علم تحقيق الصورة. وحاضر في هذه الدورة كذلك الدكتور فيصل الحفيان، والدكتور سامح البنا، والدكتور تامر مختار.

- خلال هذا الشهر أصدر مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة طبعة جديدة من ثلاث كتب حققها أستاذنا الدكتور أيمن فؤاد سيد، وهي السيرة المأمونية أو أخبار مصر لابن المأمون (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م)، الجزء الأربعون من أخبار مصر للمسبحي (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م). والجدير بالذكر أن هذه الكتب الثلاثة صدرت في إطار سلسلة جديدة يصدرها مركز تحقيق التراث عن (مصادر مصر الإسلامية).

(*) باحث بمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية.

● وأصدر المركز في هذا الشهر أيضًا كتاب (المشيخة الشامية) تحقيق صديقنا الأستاذ أحمد عبد الستار عبد الحليم (الباحث بمركز تحقيق التراث)، ومراجعة الدكتور أحمد معبد عبد الكريم.

مارس ٢٠١٥م:

● خلال يومي الإثنين والثلاثاء ٢و٣ مارس نظم مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب أفريقيا بكلية الآداب واللغات - جامعة أدرار بالجزائر الملتقى الدولي الثاني للمخطوط تحت عنوان "المخطوطات الجزائرية في عيون العرب والمستشرقين". ومن بين الأوراق التي قُدمت في هذا الملتقى:

- أصول تحقيق المخطوطات والسجلات والدفاتر وحفظها عند القدماء والمحدثين، للدكتور محمد مسعود أبو سالم.
- عبد القادر بن عمر البغدادي ومنهجه في تحقيق النصوص في كتابه "خزانة الأدب"، للدكتور محمد ضياء الدين خليل إبراهيم.
- إشارات التحقيق في معجم "تاج العروس" للزبيدي، للدكتورة عائشة يطو.
- النص العربي المحقق بين عيوب النسخ والطباعة وإشكالية التأويل والقراءة، للدكتور المغيلي خدير.
- التراث العربي الإسلامي ودور المستشرقين في الحفاظ عليه، للدكتور محمد عبدمرزوك.
- إسهامات المخطوطات العربية في النهضة الثقافية - الجزائر وموريتانيا نموذجًا، للأستاذ محمد الأمين ولد أحمد.
- تراث بجاية في القرن السابع الهجري، للدكتور الحاج بنيرد.

● وفي يوم الأربعاء ٤ مارس ٢٠١٥م عُقدت ندوة "أندلسيات" بقاعة المؤتمرات بكلية الآداب - جامعة القاهرة. وقد شارك فيها مجموعة من الباحثين، وتضمنت الأوراق المقدمة للندوة مايأتي:

- ازدهار الحياة العلمية في قرطبة ودورها في ازدهار الوراقة، للأستاذة رانيا عدلي.
- موارد دخل العلماء في الأندلس وأثرها على مواقفهم السياسية في عصر بني أمية، للدكتور علي سليمان

- خطة الرد في الأندلس، للدكتوره داليا عبد الهادي
- رحلات المفتين الأندلسيين إلى نهاية القرن الخامس الهجري، للدكتورة شيماء فرغلي.
- العلاقات التجارية بين الأندلس والشرق الأقصى في عصري المرابطين والموحدين، للأستاذ محمود أحمد علي هدية
- التحولات الفكرية في الأندلس في عصر الموحدين، للدكتور عبد الباقي السيد.
- الأوضاع الحضارية في بلاد الأندلس من خلال الحسبة في فتاوى ابن رشد الجد، للأستاذة ميساء يوسف.
- العلاقات العلمية بين مصر والأندلس من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري، للأستاذ محمد جمعة.
- موقف الدولة العثمانية من سقوط الأندلس ومحاولات الاسترداد، للأستاذة سارة عزب.
- أحمد زكي باشا وكتابه غير المنشور عن الأندلس، للدكتور حسام عبد الظاهر.

● وفي إطار الموسم الثقافي السنوي لمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية والذي يدور موضوعه هذا العام عن التراث وبعض قضايا العصر عُقدت ندوة يوم الخميس ٥ مارس ٢٠١٥م عن صفات الحاكم في تراث ابن المقفع. تحدثت عن الموضوع الأستاذة علياء عبد الخالق (الباحثة بالمركز)، وأدار الندوة أستاذنا الدكتور حسين نصار.

● عُقدت بالعاصمة التركية خلال الفترة ٦-٨ مارس فعاليات المؤتمر الدولي (حاجي خليفة - الببليوجرافيا وتصنيف العلوم في الحضارة الإسلامية: الرؤية التاريخية وأسئلة العصر). وقد شاركت في تنظيم هذا المؤتمر عدة جهات يأتي على رأسها: معهد المخطوطات العربية، ومركز البحوث الإسلامية (إيسام). ومؤسسة إستانبول للبحث العلمي (إيثار). وقد بلغ عدد البحوث المقدمة للمؤتمر ثلاثة وثلاثين بحثًا لمشاركين من: الأردن. وإسبانيا. والإمارات، وتركيا. والجزائر، وجنوب أفريقيا. والسعودية، وسوريا. والعراق. وفلسطين، وقطر، وكندا. والكويت، ومصر، والمغرب، والولايات المتحدة الأمريكية. ومن الأبحاث التي قُدمت في المؤتمر:

- الكشف والببليوغرافيا، للدكتور أحمد شوقي بنبين.
- فلسفة العلم في العصر العثماني - حاجي خليفة نموذجًا، للدكتور محمد عبد الوهاب جلال.
- خصوصية الرؤية الإسلامية في التأليف الببليوغرافي، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- فهرست ابن خير الإشبيلي - ببليوغرافيا أندلسية، D. Cumhur Ersin Adiguzel
- معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف - ببليوغرافيا من الهند، للأستاذ صاحب عالم الأعظمي.
- تصنيف العلوم بين الفارابي وابن حزم، D.Tuncay Basogla
- العلماء المحليون في العمل العالمي - الطبقات الأندلسية والمغربية في "الكشف"، D.Virginia Vazquez Hernandez
- تاريخ الكتاب في ضوء "الكشف"، للدكتور عبد الحكيم الأنيس.
- تصنيف علوم اللغة وأعلامها من خلال "الكشف"، للدكتور ناصر الدين أبو خضير.
- موارد حاجي خليفة في "الكشف"، للدكتور عابد المشوخي.
- "الكشف" والنص - الطبعات والتراجم، للدكتور حسن العثمان.

● وفي أخريات هذا الشهر صدر عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية كتاب "نُورُ حديقة الأبصار ونَوْر حديقة الأنظار" [في علم المناظر] للدمشقي الراصد (ت٩٩٣هـ/١٥٨٥م)، بتحقيق الأستاذ حسن عبد الحفيظ أبو الخير، ومراجعة الدكتور أحمد فؤاد باشا.

أبريل ٢٠١٥م:

● صدر خلال هذا الشهر عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة كتاب "الموسم الثقافي الثالث عشر"، إعداد وتحرير الأستاذ إكرامي عشري (الباحث بالمركز). وهو كتاب يتضمن نصوص المحاضرات التي أُلقيت في هذا الموسم.

● وخلال هذا الشهر أصدر مركز تحقيق التراث أيضًا الطبعة الثالثة من كتاب "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" للتيفاشي (ت ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م)، تحقيق: محمد يوسف حسن، ومحمد بسيوني خفاجي، والجدير بالذكر أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب

كانت قد صدرت سنة ١٩٧٧م، وطبعته الثانية صدرت سنة ٢٠١٠م. وأصدر المركز أيضًا طبعة ثالثة من كتاب برجستراسر " أصول نقد النصوص ونشر الكتب"، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، وكان قد صدر قبل ذلك في عامي ١٩٦٩ و١٩٩٥م.

- وفي إطار الموسم الثقافي السنوي لمركز تحقيق التراث عُقدت ندوة يوم الخميس ٢ أبريل ٢٠١٥م عن رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الوالي. تحدثت فيها الأستاذة مروة محمد علي (الباحثة بالمركز)، وأدارت الندوة الدكتورة مها مظلوم.

- خلال الفترة من ٤ إلى ١٨ أبريل نظم معهد المخطوطات العربية احتفاليته السنوية (يوم المخطوط العربي)، بالتعاون مع عدة مؤسسات ثقافية، ومما تضمنته هذه الاحتفالية من محاضرات وورش عمل ومعارض ما يأتي:

- يوم السبت ٤ أبريل (بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء): معرض تعريفي بالتراث العربي المخطوط والمطبوع.

- يوم الأحد ٥ أبريل (بمعهد المخطوطات العربية): معرض رحلة تدوين المصحف الشريف، ومعرض اللوحات الخطية للخطاط سيد إبراهيم، والاحتفاء بشخصية العام التراثية (د. عبد الله عسيلان)، وإلقاء ثلاث محاضرات: أولها للدكتور عبدالله عسيلان تحت عنوان (رحلتي مع المخطوط)، وثانيها للدكتور خالد فهمي بعنوان (منجز الدكتور عسيلان في تحقيق النصوص بين التنظير والتطبيق، والمحاضرة الثالثة كانت عن تطور دراسة علم المخطوطات (الكوديكولوجيا) للدكتور أيمن فؤاد سيد.

- يوم الاثنين ٦ أبريل (ببيت السناري بالقاهرة): ندوة حول (الطبخ في المخطوطات) تحدث فيها الدكتور خالد عزب، وورشتي عمل حول تعليم الخط العربي للأطفال، وتعليم فن الزخرفة والتهذيب، ومعرضين يضم الأول منهما صور مخطوطات الطبيخ، والثاني لإصدارات معهد المخطوطات العربية.

يوم الاثنين ٦ أبريل (اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم - قطر): ندوة عن المخطوطات العربية (المحتوى والصناعة)، شارك بالحديث فيها الدكتور يوسف ذنون، والأستاذ بلال السويدي.

- يوم الثلاثاء ٧ أبريل (مركز توثيق التراث الحضاري، التابع لمكتبة الإسكندرية): قصة الضوء في التراث، للدكتور مصطفى لبيب. وإعادة اكتشاف الصوفي الرازي، للدكتور فتحي صالح، وتعقيم المخطوطات باستخدام النباتات الطبية، للأستاذة

أميرة عزب، وتقنيات التحليل الطيفي للمخطوطات، للأستاذين إبراهيم الرفاعي وهند ناصر، والآلات الفلكية في الحضارة الإسلامية، ورشة عمل للأستاذ أسامة فتحي.

- الثلاثاء ٧ أبريل (متحف المخطوطات - مكتبة الإسكندرية): محاضرة عن التصوير والزخرفة في المخطوط العربي للأستاذة إيناس بدوي، ومحاضرة عن تجليد المخطوط العربي للأستاذ وائل إبراهيم، ورشة عمل عن فن المنمنمات للأستاذة لمياء عنتر.
- الأربعاء ٨ أبريل (ساقية عبد المنعم الصاوي بالقاهرة): ثلاث محاضرات، الأولى تحت عنوان (ما المخطوط) للدكتور أحمد عبد الباسط، والثانية عن علم الصيدلة في التراث العربي الإسلامي، للدكتور محمود مهدي، والثالثة للأستاذ أسامة فتحي عن علم الفلك في الحضارة الإسلامية. وورشة عمل حول صناعة الأحبار في المخطوطات العربية للأستاذة أميرة عزب.
- الخميس ٩ أبريل (المكتبة المركزية - جامعة القاهرة): ندوة (التراث العربي ما له وما عليه)، تحدث فيها الدكتور عبد الستار الحلوجي.
- الجمعة ١٠ أبريل (مخبر المخطوطات بجامعة زيان عاشور - الجلفة - الجزائر): ندوة عن (مخطوطات منطقة الجلفة وضرورة تحقيقها) تحدث فيها: الأستاذة فتيحة قاسم، والأستاذة فطيمة العيداني، ومعرض لبعض مخطوطات الجلفة، ومعرض آخر لبعض الأحبار وأدوات الكتابة القديمة.
- الأحد ١٢ أبريل (دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة): أربع محاضرات عن المكتبة التيمورية ومخطوطاتها العربية والتركية والفارسية، حاضر فيها: الدكتور حسين نصار، والأستاذ صالح عبد الفتاح، والأستاذ حسن محمدين، والأستاذة أمنية مجدي.
- الأربعاء ١٥ أبريل (كلية لندن الجامعية - قطر): معرض صناعة المخطوط الإسلامي - الآلة والأداء.
- السبت ١٨ أبريل (مديرية الثقافة - الجزائر): معرض مخطوطات، وعدة محاضرات، منها: محاضرة عن طرق وأساليب تحقيق النص التاريخي لخير الدين شترة، ومحاضرة عن المحاولات العربية لإعداد بطاقة فهرس نموذجية للمخطوطات العربية للدكتور عادل غزال، ومحاضرة عن أهمية المخطوط في

الحفاظ على الهوية والتاريخ، للأستاذ محمد فؤاد القاسمي، ومحاضرة عن فنون التجليد والزخرفة في التراث المخطوط للدكتور شوقي براركة.

● توفي يوم الاثنين ١٣ أبريل المؤرخ والمحقق الكبير الأستاذ الدكتور محمد محمد أمين (١٩٣٨/٣/٥-١٣-٢٠١٥/٤/١٣م) بعد حياة علمية حافلة بالعطاء العلمي. ومن الجدير بالذكر أن الإنتاج العلمي لأستاذنا الراحل قد تركز غالبًا في الدراسات التاريخية الوثائقية، وتحقيق التراث التاريخي، فيما يخص عصر سلاطين المماليك في مصر.

ومن أعماله التحقيقية الصادرة عن مركز تحقيق التراث:

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، للحسن بن عمر بن الحسن بن عمر، ابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، دراسة ونشر وتحقيق، صدر في ثلاث مجلدات، ١٩٧٦- ١٩٨٦م.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ليوسف بن تغري بردي المتوفى ٧٨٤هـ/١٤٧٠م. دراسة ونشر وتحقيق، ١٣ جزءا (الجزءان الثالث والخامس من تحقيق د. نبيل محمد عبد العزيز)، خلال الفترة ١٩٨٤- ٢٠٠٩م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م. القسم الخاص بعصر سلاطين المماليك، دراسة ونشر وتحقيق. صدر منه خمسة أجزاء (٦٤٨-٧١٢هـ/١٢٥٠-١٣١٢م)، أصدرها مركز تحقيق التراث خلال الفترة ١٩٨٧- ٢٠٠٩م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م. دراسة ونشر وتحقيق للمجلد رقم ٢٨ (أخبار ملوك الديار المصرية من سنة٢٦٤ -٥٩٦ هـ) بالاشتراك مع أ.د. محمد حلمي أحمد، ١٩٩٢م.
- درة الأسلاك في دولة الأتراك، للحسن بن عمر بن الحسن بن عمر، ابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، دراسة ونشر وتحقيق. صدر منه جزءان، ٢٠١٤م.

ومن أعماله التحقيقية خارج مركز تحقيق التراث:

- مرسوم السلطان برقوق إلى رهبان دير سانت كاترين بسيناء: دراسة ونشر وتحقيق (المرسوم المحفوظ بمكتبة الدير رقم ٤٥، والمؤرخ ١٧ شعبان سنة ٨٠٠هـ). مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد الخامس ١٩٧٤م.

- وثيقة وقف السلطان قايتباي على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط: دراسة ونشر وتحقيق (الوثيقة رقم ٨٨٩ ق أوقاف، وصورتها رقم ٧٠٣ج بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة)، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٢٢ سنة ١٩٧٥م.
- وثائق من عصر سلاطين المماليك، دراسة ونشر وتحقيق تسعة نماذج متنوعة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨١م.
- تفويض من عصر السلطان العادل طومان باي "صانع السلاطين": دراسة ونشر وتحقيق (الوثيقة رقم ٧٣٩ ج بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة، والمؤرخة ١٢ رجب ٩٠٦هـ، وهو تفويض صادر من السلطان جان بلاط)، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٢٧ سنة ١٩٨٢م.
- الشاهد العدل في القضاء الإسلامي، دراسة تاريخية مع نشر وتحقيق إسجال عدالة من عصر سلاطين المماليك. دراسة ونشر وتحقيق (الوثيقة رقم ٧٩١ ج بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة، والمؤرخة سنة ٨٦٠هـ)،مجلة حوليات إسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، المجلد ١٨ سنة ١٩٨٢م.
- منشور بمنح إقطاع عن عصر السلطان الغوري: دراسة ونشر وتحقيق (الوثيقة رقم ٧٨٩ ج بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة، والمؤرخة ٧ ذو الحجة سنة٩١٦هـ)، مجلة حوليات إسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، المجلد ١٩ سنة ١٩٨٣م.
- مقامة الكاوي في تاريخ السخاوي للسيوطي. دراسة ونشر وتحقيق. ضمن كتاب "سعيد عاشور إليه في عيد ميلاده السبعين"، مركز النشر لجامعة القاهرة، ١٩٩٢م.

وبجانب التحقيقات له أعمال أخرى في مجال الفهرسة أو المجال المعجمي مثل:

- فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٣٢٩-٩٢٣هـ/ ٨٥٣/١٥١٦م)،مع دراسة و نشر وتحقيق تسعة نماذج.المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨١م.
- المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية. بالاشتراك مع ليلى علي إبراهيم، دار نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة،١٩٩٠م.

● خلال يومي الثلاثاء والأربعاء ٢١ و٢٢ أبريل نظم مركز تحقيق التراث ندوة حول تحقيق التراث ونشره بدار الكتب المصرية. وقد دارت موضوعات البحوث والأوراق المقدمة في الندوة حول:

- مناهج التحقيق عند القدماء والمُحدَثين، للدكتور حسين نصار.
- مركز تحقيق التراث - لجنة الأدب نموذجًا، للدكتورة سيدة حامد عبد العال.
- بدايات نشر النصوص عند المستشرقين، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- مشكلات في تحقيق نصوص العلوم الشرعية، للدكتور عبد الحميد مدكور.
- ذكرياتي مع دار الكتب المصرية، للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب.
- تحقيق ونشر أول موسوعة طبية، للدكتور خالد حربي.
- دور مؤسسة أنجمن ترقي أردو في تحقيق التراث في شبه القارة الهندية، للدكتورة منى سويف.
- تحقيق التراث العلمي بدار الكتب المصرية « سلسلة تراثنا العلمي نموذجًا»، للدكتورة مها مظلوم.
- مشكلات عامة في تحقيق في العلوم اللغوية، للدكتور عبد الكريم جبل.

ومما صاحب هذه الندوة من فعاليات:

- عرض فيلم تسجيلي عن رحلة التحقيق في دار الكتب المصرية.
- شهادات عن دار الكتب المصرية وتحقيق التراث بها: وشارك فيها، وهم: الدكتور عبد الحميد مدكور، والدكتور عبد الستار الحلوجي، والدكتور رفعت فوزي عبدالمطلب، والأستاذة مشيرة اليوسفي.
- توزيع دروع وشهادات على بعض كبار الأساتذة الذين أسهموا في الأعمال التراثية بدار الكتب، ومنهم: الأساتذة الدكاترة: حسين نصار، ومحمود علي مكي، وسعيد عبد الفتاح عاشور، وطه الحاجري، وكمال الدين البتانوني.

● وفي يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٨ و٢٩ أبريل ٢٠١٥م عقدت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مؤتمرها السنوي ، ودار مؤتمر هذا العام حول (المؤرخون العرب والدراسات التاريخية منذ إنشاء الجامعة المصرية)، ومن الموضوعات التي شملتها بحوث المؤتمر:

- مصر الإسلامية في كتابات جيل الرواد، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- الاتجاهات الفكرية في كتابات الدكتور السيد عبد العزيز سالم، للدكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم.
- محمد مصطفى زيادة رائد دراسات تاريخ العصور الوسطى، للدكتورة نعيمة محمد داود.
- الدور المصري في الدراسات العربية الأندلسية، للدكتور محمد بركات البيلي.
- مؤرخو التاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية الأهلية، للدكتور حسام عبدالظاهر.

● صدر عن مركز تحقيق التراث خلال هذا الشهر، وعلى هامش احتفالية دار الكتب كتاب (جهود دار الكتب المصرية في تحقيق التراث ونشره)، للدكتور حسام عبدالظاهر (الباحث بالمركز)، وهو كتاب تعريفي يتضمن:

- دراسة عن إصدارات الدار التراثية عبر تاريخها منذ صدور أول عمل تراثي سنة ١٨٩٣م وحتى الآن.
- قائمة حصرية بإصدارات الدار التراثية خلال أكثر من مائة وعشرين عامًا.
- قائمة بالإصدارات الأخرى للقسم الأدبي ومركز تحقيق التراث.
- المطبوعات التراثية التي قامت دار الكتب بطباعتها للغير.
- كشاف عام ببحوث مجلة تراثيات ومقالاتها، منذ صدور عددها الأول في يناير ٢٠٠٣م وحتى عددها الصادر في يناير ٢٠١٥م. وهي المقالات التي تعكس اهتمام دار الكتب بالبحث العلمي المتناول للمخطوطات وتحقيق التراث.
- جدول بالنشاط الثقافي لمركز تحقيق التراث، المتمثل في ندوات المواسم الثقافية للمركز خلال أكثر من عشر سنوات.
- ملحق وثائقي يتضمن الوثائق المتعلقة بإنشاء لجنة إحياء الآداب العربية، وكذلك إنشاء مركز تحقيق التراث.

مايو ٢٠١٥م:

● في إطار الموسم الثقافي السنوي لمركز تحقيق التراث عُقدت ندوة يوم الخميس ٧ مايو عن (الحسن بن الهيثم ورسائله في البصريات)، تحدث فيها الدكتور أحمد فؤاد باشا، وأدارها الدكتور عبد الحميد مدكور.

● توفي يوم الخميس ٢١ مايو العالم الجليل الدكتور ناصر الدين الأسد، ومن أبرز تحقيقاته:

- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، لابن حزم (ت ٤٥٦هـ - ١٠٦٣م) (تحقيق بالاشتراك) القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م.
- تاريخ نجد، لابن غنام (ت ١٢٢٥ هـ/ ١٨١١م). القاهرة، مطبعة المدني،١٩٦١م؛ دار الشروق ١٩٨٥م.
- ديوان قيس بن الخطيم (ت نحو ٢ ق هـ/ ٦٢٠م). القاهرة، دار العروبة، ١٩٦٢م؛ بيروت، مكتبة دار صادر ١٩٦٧م.
- ديوان شعر الحادرة. ضمن مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، المجلد الخامس عشر سنة ١٩٦٩م. ثم نشر مستقلاً، بيروت، دار صادر، ١٩٧٣م؛١٩٩١م.
- مصحف الشروق المفسّر الميسّر .تحرير وتحقيق لمختصر ابن صمادح التجيبي الأندلسي (ت ٤١٩هـ/١٠٢٨م) لتفسير الإمام الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٣م)، القاهرة، دار الشروق ١٩٧٧م.
- تحقيقات لغوية. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م.
- تحقيقات أدبية. عمان، أمانة عمّان الكبرى، ٢٠٠٦م.

ومن مؤلفاته الأخرى:

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. القاهرة، دار المعارف، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦م حتى السادسة سنة ١٩٨٢م، والطبعة السابعة نشر دار الجيل ببيروت سنة ١٩٨٨م، ثم ما تلاها من طبعات.
- القيان والغناء في العصر الجاهلي. الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر ودار بيروت،١٩٦٠م، والطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٨م، والطبعة الثالثة، بيروت، دار الجيل ١٩٨٨م. ثم ما تلاها من طبعات.
- الجراد في التراث العربي. عمان، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٠٨ .

● توفي يوم السبت ٢٣ مايو الدكتور عاطف جودة نصر أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب بجامعة عين شمس. ومن الجدير بالذكر أن مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية كان قد أصدر للراحل تحقيقه لكتاب "شرح مشكلات الفتوحات المكية" لعبد

الكريم الجيلي (ت ٨٢٠هـ/ ١٤١٨م). ومن مؤلفات الدكتور عاطف جودة الأخرى: "أصوات من التراث"، و"الرمز الشعري عند الصوفية"، "آداب السلوك الصوفي في خطاب أبي مسلم الأشعري".

يونيو ٢٠١٥م:

- إطار الموسم الثقافي السنوي لمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية عُقدت ندوة يوم الخميس ٤ يونيو ٢٠١٥م عن (دور الشيخ مصطفى عبد الرازق في تأسيس الفلسفة الإسلامية)، تحدث فيها الدكتور عبد الحميد مدكور، وأدارها الدكتور أحمد فؤاد باشا.

- يوم السبت ١٣ يونيو وفي رحاب كلية الآداب بجامعة القاهرة نوقشت رسالة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي (الفتوى وأثرها في الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر ملوك الطوائف (٩٢-٤٨٤هـ/ ٧١١ - ١٠٩١م)، للباحثة شيماء فرغلي سيد علي، وقد تشكلت لجنة المناقشة من الأساتذة الدكاترة: منى حسن أحمد محمود، وأحمد عبد الله زايد، وعطية أحمد القوصي، ومحمد عيسى الحريري. وبعد مناقشة الباحثة مناقشة علنية قررت اللجنة منحها درجة الدكتوراه في الآداب - فرع التاريخ الإسلامي بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة جامعة القاهرة وتبادلها مع الجامعات الأجنبية.

- توفي المحقق الكبير الأستاذ مصطفى حجازي يوم الإثنين ٢٩ يونيو ٢٠١٥م. ويجدر بالذكر أن للمحقق الراحل إسهامات عديدة في مجال تحقيق التراث العربي: حيث حقق العديد من الكتب، كما راجع تحقيقات لمحققين آخرين، ومن تحقيقاته:

- تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن، لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٣م)، بيروت، دار العودة، صنعاء، دار الكلمة، ١٩٦٥م.
- المنازل والديار لأسامة بن منقذ(ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م). القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٨م، وأعيد طبعه مرارًا بعد ذلك.
- عشرة أجزاء من كتاب "تاج العروس شرح القاموس المحيط"، للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠ م) وهي الأجزاء (٥ و١٢ و١٧ و٢٢و٢٤و٢٥و٢٧و٣٠و٣٥و٣٧)، والجزء ١٥ بالاشتراك بتكليف من وزارة الإعلام بدولة الكويت، وصدرت تباعًا فيما بين سنتي ١٩٦٩و٢٠٠١م.

- الأجزاء ٩ و١١ و١٢ من المحكم في اللغة لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦م)، بالاشتراك، وصدرت عن معهد المخطوطات العربية في سنوات ١٩٩٦ و١٩٩٨ و١٩٩٩م.
- الجزء ٣٣ من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري، وقد صدر عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية سنة ١٩٩٧م.

وقد قام - رحمه الله - بمراجعة تحقيق بعض الكتب، ومنها:

- منال الطالب في طوال الغرائب، لابن الأثير (ت٦٠٦هـ/١٩٠٩م)، تحقيق: محمود الطناحي. مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. ١٤٠٢هـ: القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٨٣م.
- أدب الطبيب لإسحاق بن علي الرُّهاوي (ت ق ٣هـ/٩م)، تحقيق: مريزن سعيد عسيري. مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي(ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م). الأجزاء ٢١ و٢٣ و٢٦ و٣٣ و٣٤ بتحقيق: عبد العليم الطحاوي، وعبد الفتاح الحلو، وعبد الكريم العزباوي، وإبراهيم الترزي، وعلي هلالي. الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، خلال السنوات (١٩٨٤-٢٠٠١م).

الشرق والغرب في كتابات الطيب صالح
قراءة في رواية: موسم الهجرة إلى الشمال

أ. د. عبدالستار الحلوجي (*)

(ملخص)

تحكى الرواية قصة شاب سوداني يعود إلى الخرطوم بعد غيبة سبع سنين قضاها في إنجلترا، فيقابل مصطفى سعيد بطل الرواية الذي كان طالبًا نابهًا درس في الخرطوم، وأكمل دراسته في القاهرة، ثم سافر إلى إنجلترا حيث حصل على الدكتوراه، وعيِّن مدرسًا للاقتصاد بجامعة لندن ولمَّا تجاوز الرابعة والعشرين من عمره.

في لندن عاش مصطفى سعيد زير نساء، وتزوج من الإنجليزية جين موريس، ولم ينجب منها، ثم اتُّهم بقتلها وبدفع ثلاث نساء أخريات للانتحار، فسُجن، وبعد خروجه من السجن عاد إلى السودان، واستقر في قرية نائية على النيل، واشتغل بالزراعة، وتزوج من (حسنة) إحدى بنات القرية، وأنجب منها طفلين، وأخفى عنها كل ماضيه، ولكنها لاحظت أنه كان يتمتم في منامه بعبارات إنجليزية. وفي فناء منزله بنى حجرة على الطراز الإنجليزي، احتفظ فيها بكل ما يتصل بماضيه في لندن، وأغلقها وأعطى مفتاحها لراوي القصة، وأوصاه ألا يفتحها إلا عند موته.

ويدهم الفيضان القرية، ويخرج مصطفى من منزله بلا رجعة، ولا أحد يدري إن كان قد غرق أو انتحر. فيفتح الراوي حجرة الأسرار وينكشف ما كان خافيًا، ويحكم التقاليد تُكره (حسنة) على الزواج من عجوز لاتريده فتقتله وتنتحر.

وفي الرواية يبدو مصطفى سعيد كدون جوان تُفتن به الإنجليزيات، ويجدن فيه ما لا يجدن في الرجل الأوروبي، وكأنه وفد إليهم من عالم آخر، يحمل بداخله روح أفريقيا وحضارات مصر القديمة ووادي النيل، وكأنه عُجن بتراب القارة السوداء ومائها.

وعلى الرغم من أن مصطفى سعيد لقي رعاية كريمة من أسرة إنجليزية حينما كان صبيًا يدرس في القاهرة، وعلى الرغم من أنه عاش في بريطانيا، ودرس في جامعاتها، وحصل على جنسيتها، وتزوج من إحدى بناتها إلا أنه لم ينجب منها وقتلها، وكأنه يريد أن يقطع أي صلة له بالغرب.

والنغمة السائدة في الرواية هي رفض مصطفى سعيد للحضارة الغربية، وإصراره على الانتقام منها في شخص المرأة الأوروبية، يتضح ذلك من الكتب التي ألَّفها عن أفريقيا وتُحدث فيها عن الاستعمار واستغلاله ثروات الشعوب، ومن وصفه الحضارة الغربية بأنها سممت التاريخ، ومن إخفائه كل ما يتصل بالغرب عن أسرته، ومن تصويره

(*) كلية الآداب - جامعة القاهرة.

المرأة الغربية على أنها عاهرة تبحث عن اللذة الجسدية، ومن تكراره عبارة : «لقد جئت إلى بلادكم غازيًا لكم في عقر داركم».

ومع أن الراوي حاول أن يبيِّن أن الحضارة الغربية لم تكن شرًا كلها، وأن الأوروبيين بنوا المدارس والمستشفيات وأنشأوا السكك الحديدية في المستعمرات. إلا أن مصطفى سعيد لم يكن يرى إلا بعين واحدة، ولم يكن يتكلم إلا بلغة واحدة، ولم يكن يرى الأشياء إلا بيضاء أو سوداء، ولم يكن الشرق والغرب في نظره إلا نقيضين لايمكن أن يلتقيا.